

أخرج عبد الناصر حافظه نقوده وقال: هي الحكاية كلها

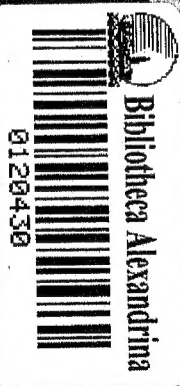
# أسرار حكومة بيوليو

لها السياسي الكبير:

حى رضوان

ها وعلق عليها:

يأء الدين بيبرس



كيف بدأ طريق العودة بين الإخوان المسلمين وعبد الناصر

هي الحكاية كلها

رضوان المعروج

محمد نجيب لم يحجه طربوش



فتحي رضوان

بيروى لـ

ضياء الدين بپرس

# أسرار حكومة يوليو

مع دراسة شاملة بعنوان  
هوامش على لعبة  
المذكرات السياسية  
بقلم:  
ضياء الدين بپرس

---

الناشر: مكتبة مدبولي - القاهرة

---

● مطبعة المعرفة ●

الى أنور السادات

الرجل الذى عقد العزم • مهما كانت النتيجة •  
على الا يصادر صاحب رأى ، ولا يصادر • مهما كان هذا  
الرأى ..

أحييك يا سيدى • وأنتظر منك المزيد •

(( ضياء ))

- الصور التاريخية :
- عدسة الفنان حسين الرملى
- الخطوط والفلاف :
- للفنان العمورى عقل

# هوامش على لعبة المذكرات السياسية

● مقربة بقم: ضياء الدين بيزين ●

- ١ -

شرح رنين التليفون المتواصل قلب الليل .. ورفعت السماعة  
متوجسا .. فما تعود التليفون قط أن يحمل الى أذني أخبارا سعيدة حين  
يرن في مخدعي قبل الفجر ...

كان المتحدث على الطرف الآخر سيدة .. يمكن جدا أن يتورط القلم  
في اسباغ صفات المهابة والاجلال عليها .. من باب المجاملة .. أو من باب  
الانبهار .. وكانت تلك السيدة قرينة شخصية كبيرة ممن اقتربوا من  
ذروة السلطة وصنع القرار في أعوام صعود ثورة ٢٣ يوليو وتحولها من  
ثورة الى سلطة ..

أدهشنى هذا الاتصال التليفونى الليلى بقدر ما أزعجنى .. ثم رجحت كفة الازعاج لما سمعتها تطلب الى الا أنشر حلقات مذكرات زوجها التى لم يكن قد مضى على موافقته على نشرها الا أقل من عشر ساعات .. وأستطردت السيدة قائلة ان هذه الحلقات تحتاج الى مراجعة جديدة على الرغم من اننا راجعناها ثلاث أو أربع مرات، (وكانت آخر مرة من ساعات) وتلقيت من صاحب المذكرات بعد تلك المراجعة الأخيرة - فى حضور زوجته وبمشاركة منها فى بعض الأحيان - الثناء المستطاب بلا حساب على اسلوبى فى العرض ، ودقتى فى السرد ، وعلى .. وعلى .. مما يتخرج القلم فى ترديده هنا أو التوسع فيه أو الاشارة اليه ! .

على أية حال ، لم يكن بد مما ليس منه بد ، على الأقل من باب احترام حقوق هذا النوع من الشخصيات العامة فى أن يراجعوا أنفسهم ، ولو أدت المراجعة الى التراجع ! .

وفعلا ذهبت فى صباح نفس اليوم الى قصر الوزير الخطير السابق الذى كان يسكن قبل الثورة فى شقة ايجارها ثلاثة جنيهات شهريا بضاحية من ضواحي القاهرة ، فانتقل بقدرة قادر بعد شهر من توليه الوزارة الى هذا القصر الشامخ .. ورأيت نفسى أفتح ملف المذكرات من جديد . وأقرأ الحلقات التى سبقت قراءتها كلمة كلمة ، والموافقة عليها حرفا بحرف ، والتى كيل لها المديح بغير حساب ..

وفوجئت بأن زوجة الوزير الخطير السابق تمسك بزمام الحديث بينما جلست أنا وهو صامتين كان على رؤوسنا الطير .. واذا بها تطلب حذف



كل ما جاء بالمذكرات عن أسرار علاقة الثورة بالاخوان المسلمين !  
وسألتها وقد تذرعت بابتسامة يلين لها قلب الحديد : لماذا يا ست  
هانم !

هى - لأن موقف الحكومة من الاخوان لم تتضح معاملة بعد ...

أنا - ولكن نظام السادات أخرج كل سجناء الاخوان من المعتقلات ..  
وسمح لكتب الشهيد سيد قطب بالتداول .. ولم يعد ذكر الاخوان من  
المحررات .

هى - وهذا هو بالضبط سبب « اصرارنا » على حذف سيرة  
الاخوان .. ان الوقت لا يسمح بالمجازفة بمدحهم .. فقد ترجع الحكومة  
فى كلامها .. ولا بانتقادهم .. فقد تبعث قوتهم من جديد .

وبدأت فى صمت حزين أشطب عدة صفحات من المذكرات .. واذا  
بها تلاحقنى قائلة :

هى - وكمان أرجو أن ترفع من المذكرات كل « ماذكرناه » عن علاقة  
الثورة بالسودان .

أنا - ( فى أدب شديد ) - لماذا يا ست هانم ؟ ان ما رواه « معالى »  
الزوج المحترم يكشف وقائع مذهلة عن الرسالة السرية التى أرسلها  
عبد الرحمن المهدي باشا القطب السودانى الكبير الى الرئيس الراحل  
عبد الناصر .. ثم عن الأسرار التى لم تذع حتى الآن عن قصة صلاح

سالم مع السودان ابتداء من السبعة عشر مليون جنيه التى ذهب بها وعاد من غيرها ٠٠ وكانت من أسباب انقلاب السودانين - وهم قوم ذوو كبرياء وأنفة - علينا ٠٠ لغاية نتائج رقصة الحرب التى رقصها شبه عار فى جنوب السودان ٠٠ لغاية الظروف الحقيقية التى تراكمت وأدت فى النهاية الى اخراج صلاح سالم من صورة السلطة ! ٠

هى - يا أخ ضياء أنت تنفخ فى قربة مقطوعة ، نحن أدرى بطروفا وبمواقع السياسة ... أحذف كل ما جاء فيه سيرة السودان لأنها مسألة حساسة وغير قابلة للنقاش ٠

وبدأت أشطب صفحات كاملة جديدة ٠٠ ولم أكن قد فرغت من هذه المذبحة حين عاجلتنى بالضربة الثالثة قائلة : أشطب أسرار اتفاق الانجليز والأمريكان فى عام ١٩٥١ على ضرورة قيام ثورة عسكرية ضد الملك فاروق ٠

انا - ودى فيها ايه كمان يا ست هانم ٠٠

هى - لا نعرف بالضبط اذا كان هذا الكلام سيغضب الأمريكان ام لا ٠٠ ولا تنس ان الوزير - هكذا كانت السيدة تتكلم عن زوجها طول الوقت - رجل سياسى ، وليس من السياسة التحرش بالأمريكان الآن ٠٠

وسكتت لحظة ثم أردفت : لا تغضب يا أخ ضياء ٠٠ فهناك أشياء أخرى يريد «الوزير» حذفها ٠٠ مثل قصة الاقتراح الذى قدمه «معاليه» ذات يوم على مائدة الافطار لعبد الناصر وعبد الحكيم عامر وزكريا محيى الدين أيام

الوحدة بتهجين جنود الجيش المصرى المسرحين الى شمال سوريا لاستزاعها ٠٠ كذلك أرجوك أن تحذف قصة المقابلة التى هياها السيد محمد أحمد للوزير ،عقب اخراجه من الوزارة ، ليقابل الرئيس عبد الناصر، وكيف انتهت المقابلة بأن قال الرئيس الراحل للوزير ان المشير عبد الحكيم عامر هو السبب الحقيقى فى اخراج الوزير من الحكم ٠

قلت وأنا أكبح جماح أعصابى بصعوبة : ان « الوزير » روى لى ان عبد الناصر أرسل له ، بعد انتهاء المقابلة بـ ٢٤ ساعة، سبعمائة جنيه من جيبه الخاص على سبيل النقوط لابنتكم التى كانت على وشك الزفاف ٠٠ فهل أحذف هذه أيضا ؟

قالت : نعم ٠ لا داعى لرواية شىء من هذا على الاطلاق ٠ كذلك لا داعى لكتابة قصة الاشاعات التى زرعتها المخابرات وقتها ضد الوزير لتلطix سمعته انتقاما لصدامه مع عبد الحكيم عامر فى مداولات مجلس الوزراء ٠

قلت : هل تخافون المخابرات ! ان المخابرات لم تعد تخيف الا الحونة وأعداء البلاد ٠ ولم تعد تأخذ الأبرياء بالاشاعات ٠٠ فما الذى يخيفكم من الحديث عن جهاز لم يعد زبائنته القدامى عليه موجودين فى الصورة !

قالت : أنظر الحرية التى يمارسها صلاح نصر يا أخ ضياء ثم تسأل معنى : الا يدل تحركه فى حرية كاملة على أن له سطوة هائلة ٠٠ وأن المخابرات الجديدة تشعر بانتساب بدرجة ما الى المخابرات القديمة ؟

قلت : أبداً .. ان حرية السيد صلاح نصر فى الدفاع عن نفسه دليل فقط على ان السادات صادق مع نفسه ومع الناس حين يقول ان الحرية حق مباح للجميع ...

قالت السيدة : اذن أنت ساذج . ولا أضيف الى هذا أكثر من أنك شخصيا موضوع تحت رقابة المخابرات .. وقد حذرنا الصحفى فلان الفلانى - وذكرت اسم صحفى كبير - من الاتصال بك أصلا .. والمهم ان تحذف قصة المخابرات مع زوجى .. كذلك احذف كيف جعلت البلدية من البقعة الواقعة أمام بيتنا « مقلب زباله » فى ثالث يوم لخروج الوزير من الوزارة .. ولم ترفعها الا بعد أن عاد « الوزير » بعد سنين كثيرة الى منصب آخر !

قلت : ياست هانم .. وماذا سيبقى من الذكريات !

قالت : كذلك لا داعى لكتابة أى شىء يفضب الناصريين لانهم مازالوا قوة هائلة فى البلاد العربية .. ولا تكتب أى شىء يرضى الناصريين لأن الشعب المصرى مفعم مرارة من اسلوب الحكم قبل عهد السادات .. يعنى لا تكتب ضد عبد الناصر ولا مع عبد الناصر ..

قلت : هذا يلغى مجهودنا تماما لأن تلك المذكرات تحاول أن تروى شهادة رجل اقترب من عبد الناصر كثيرا فى حقبة هامة وفاصلة من حياة ثورة ٢٣ يوليو ..

قالت : وماذا فى هذا ؟ .. بصراحة « نحن » نفضل لو ألغيت

مشروع هذه المذكرات أصلا ٠٠ « فالوزير » لم تنته حياته السياسية  
 ٠٠ وليس من المفروض أن يكتب السياسى ذكرياته مادام لم يفقد امكانية  
 أن يعود الى صورة الحياة السياسية .

قلت محاولا ألا تفصح أسابير وجهى عن مشاعرى التى امتزح فيها  
 الذعر بالحزن وبالاحتقار : ولكن « الوزير » كان أصلا صاحب فكرة أن  
 أكتب مذكراته ٠٠ وهو الذى اتصل بى واقترح على أن أكون لسانه  
 وقله . وهذا نظام معروف فى أوروبا وأمريكا . وقد راجع ما صنعته  
 على لسانه كلمة كلمة . وقد أنفقت شهرين فى هذا العمل ٠٠

قالت ، وكأنما تتأمل وجهة نظرى من علو شاهق : ايه يعنى  
 شهرين من حياتك فى مقابل مستقبل « الوزير » .

وتحولت الى « الوزير » الخطير السابق صامتا وكأننى أستغيث  
 به . وأشهد ان الرجل كان ولا يزال به شىء من الحياء ٠٠ على الرغم من  
 انه يتحول الى قط سىامى وديع فى حضور زوجته ٠٠ فاذا بشخصيته  
 المهيبة التى يعرفها الناس عنه ويعرفه الناس بها ويتعرف عليه الناس من  
 خلالها ٠٠ اذا بهذه الشخصية وكأنها قناع يتقمصه فوق مسرح الحياة  
 العامة . فاذا ماذهب الى بيته خلع قناعه مثلما يخلع ملابسه ٠٠٠

وتلملم الوزير الخطير السابق تحت وطأة نظراتى . . واقترح،بدافع  
 من حيائه ، أن نقسم البلد بلدين ، فنحذف بعض ما طلبت السيدة قرينته  
 حذفه . ونبقى الجانب الآخر ، مع اثرائه بمزيد من الذكريات التى  
 لا يتسبب نشرها فى احراج أو وجع دماغ ٠٠

وفعلا بدأنا عملية « ترقيع » واسعة النطاق كانت أشق بكثير من عملية صياغة المذكرات الأصلية . واضطرت - بأسلوب المقامر الذى يتورط فى مزيد من بعثرة المال على مائدة القمار على أمل أن يعوض خسارته - أقول اضطرت الى أن أضيع أسابيع جديدة فى التردد على منزل الوزير السابق الخطير ، لاجراء عملية « الترقيع » المشار اليها . . وكانت السيدة الفاضلة زوجة « الوزير » تجلس فى أثناء حوارى مع زوجها صامتة لا تتكلم . . ترمقنى بعينى صقر. وعلى شفيتها ابتسامة ياردة غامضة .

وكنا قد اتفقنا على أن نقرأ الصياغة الجديدة للمذكرات بعد الحذف والاضافة حلقة حلقة . . فما يكاد « الوزير » يسمع الحلقة حتى يهبل لها ويكبر ، ويصوغ من روائع الكلام قلائد مدح يطوق بها عنقى ، فلا أكتفى بذلك ، وانما أتحوّل الى السيدة الجليلة قرينته أسأله رأياً ، فتجيبنى بإيماء موافقة من رأسها . . فلا أكتفى بهذه الإيماء وانما ألاحقها بمزيج من المداهنة والأصرار حتى نسمع منها وبصوتها ، الموافقة الصريحة وان جاءت من خلال أسنان مطبقة ، وشفاه مرتجفة ، وأنفاس لاهثة .

وأتنفّس الصعداء ، وأهرول الى بيتى سعيدا بما أنجزت ، وأنام قريح العين حتى يوقظنى رنين التليفون بعد نصف الليل - ودائما بعد نصف الليل ! . . وما أكاد أرفع السماعه حتى يتناهى الى صوتها المعدنى يسألنى عن الصحة ، وعن المدام ، وعن الأولاد ثم تقول لى فى هدوء صاغق : يا أخ ضياء . . الحلقة التى راجعناها اليوم نريد أن تحذف منها كذا وكذا حتى لا تغضب الجهة الفلانية أو يتضايق علان بن ترتان . .

كذلك نريد أن تضيف كذا وكذا حتى نسترضى الجهة الفلانية ويرتاح من جهتنا بال مشن عارف مين ابن مين !

وأذهب من جديد في الصباح واجف القلب بعد سهرة انكب فيها حتى الفجر في إنجاز التعديلات المطلوبة .. وأقرؤها على عجل على الزوجة بحضور « الوزير » الخطير .. وما أكاد أنتهى من القراءة حتى أتحوّل الى « الست. هانم » أسأله عن رأيها فتقول لى : لماذا تسألنى ؟ أسأل الوزير .. فهو الذى يقرر وهو الذى ينقض وهو الذى يأمر وهو الذى ينهى !

ويطرق الوزير الخطير الى الأرض ، ويقول لى فى مزيج من ضيق مكبوت وحياء سافر : لا شلت يدك يا بنى .. والله لولا متناقضات السياسة لما أربكتك ولما أربكنا أنفسنا الى هذا الحد ...

على هذا النحو استمررت من جديد ، حتى فرغنا من صياغة جديدة نالت موافقة الزوجة الفاضلة وزوجها الوزير . وقلت وأنا أجمع أوراقى وأنا أتأهب للانصراف : ما ينتهى على خير يكون خير .. وكل ما آمله من الله ومنكم بعد كل هذا الجهد الا تفاجئوني بتعديلات جديدة .

فإذا .. « بالوزير » ينهرى قائلاً فى صوت دبت فيه الحرارة لأول مرة منذ زمن بعيد . أعوذ بالله ، والله تكون الحكاية لعب عيال .. وأكون أنا شيخ الأنذال .. اذا ما اعترضنا بكلمة بعد ذلك .. أنشر هذا الكلام على بركة الله وبرضاي وبأذني .. واعطنى ورقة وقلما لاعطيك تصريحاً بالنشر ياى صيغة تشاء ؟

قلت : يا سيدى • يكفينى منك أن نقرأ الفاتحة سويا ، وأن تقرأها  
معنا صاحبة العصمة زوجتك •• أما أن أستكتبك اقرارا فهذا ما تأباه  
على مكانتك عندى ، وقيمتك فى قلبى •••

قال الوزير ملحا : اسمع كلامى • ودعنى أكتب لك الاقرار •

قلت فى نوبة من نوبات « الدون كيشوتيه » : مستحيل ، تكفينى  
الفاتحة •• ان الفاتحة عندى أهم من كل عقود العالم ومن كل الاقرارات  
المدونة والمسجلة !

وقرأنا الفاتحة •

وقلت : الآن ألبى دعوتكم التى أجلتها عشرين مرة على الأقل الى  
الغداء ••

وكانت مفاجأة ضاحكة ، فقد اعتاد أهل البيت كثيرا فى اعقاب  
جاساتى مع الوزير أن يلحوا على فى المكوث لتناول الغداء ، واعتدت  
أن أعذر قائلا : اننى اذا عدت الى البيت فى الساعة الرابعة بعد الظهر –  
موعد انتهاء الجلسات – دون أن أتناول الغداء فى بيتى فقد تشك زوجتى  
فى أننى قد تزوجت غيرها •• فكان الوزير وقرينته يعفنيانى من الغداء  
حرصا على سعادتى الزوجية •• أما فى ذلك اليوم المشهود – يوم الاقرار  
النهائى للصيغة الثالثة أو الرابعة للمذكرات – فقد فاجأتهما بدعوة نفسى  
الى الغداء •

كان الغداء بسيطا ولكنه شهى وسخى •• قلقاس متقن الطهو  
باللحم ، ومكرونة سباجيتى باللحم ، وشوربة باللحم ، وكان عيشا وملحا



ولحما بمعنى الكلمة . . وشاركنا أولاد وبنات «الوزير» هذا العيش والملح  
واللحم . وأمضينا وقتا سعيدا صافيا ، وخرجت من قصر الوزير وقد  
غسلت هذه اللحظات البسيطة السعيدة كل ما كان بقلبي من مرارة . . .  
وذهبت الى مكتب لآلة الكتابة لكي أملئ للمرة الثالثة الصياغة الثالثة  
للمذكرات . وأمضيت عدة ساعات الى جوار الطابع ، فأننى كنت لا أأتمن  
احدا على هذا النوع من المذكرات . . . ووصلت آخر الأمر الى بيتى قرب  
منتصف الليل . وكنت منهوك انقوى ولكنى كنت مرتاح البال . . وإذا بى  
اجد برقية فى انتظارى بتوقيع «الوزير» يطلب فيها الى الا انشر حرفا واحدا  
مما أملاه على والا فعل بى كيت وكيت وشكأنى الى مش عارف مين ومين . .

لم أصدق عينى ، ورحت أنهب البرقية بعينى من جديد . . وإذا  
برنين التليفون يشرح كالعادة قلب الليل . . وإذا بصوت الزوجة الفاضلة  
تسألنى من بعيد : يا أخ ضياء . . هل وصلتك البرقية ؟  
قلت : نعم . . .  
قالت : الحمد لله . . .  
ثم وضعت السماعة بلا سلام أو كلام !

- ٢ -

وقد قيل ان المؤمن لا يلدغ من جحر واحد مرتين . ومع ذلك  
فلا أزال آمل وأظن وأزعم أننى مؤمن صادق الايمان على الرغم من اننى ،

بعد القصة السالفة ، لدغيت من جحر نفس ذلك الوزير الخطير السابق مرة ثم مرة . فقد حدث أننى نذرت للرجمن صوما عن الكلام فيما حدث لى ومعى وبى على يد هذا الوزير وزوجته . ورفضت ، حتى بينى وبين نفسى ، أن أفكر بصوت عال أو هامس أو هاجس فى حقوقى المنهوبة ووقتئ الضائع وأعصابى التى تمزقت بين الرجوع والمراجعة والتراجع والرجعة . وظلمت بعض الوقت أسير دهشة يستعبد بها الذعر لمجرد التفكير فى ان من الممكن أن رجلا كهذا كان له فى وجدانى شئ من المهابة يمكن أن يتكبر بهذه البساطة للكلمة شرف توثقها وتعزها وتباركها قراءة فاتحة الكتاب . وبدأ عقلى يفكر من جديد فى المعلومات والأسرار التى أدلى بها الى هذا الرجل . ورحت افنطها وأعيد ترتيبها من جديد فى عملية «مونتاج» ذهنية بأسلوب يقف فى منتصف المسافة بين خيال كاتب الدراما وبين قواعد المنهج الديكارتي فى اعادة تركيب الحقائق بعد تحليلها الى عناصرها الأولية . . . .

واذا بى أصل الى استنتاجات مفزعة فى اطار نفس المعلومات التى رواها لى ذلك الرجل بعد ترتيبها الجديد . فقد كان بتلك المعلومات هنا وهناك ارهاصات تشير الى ان هذا الوزير (قبل أن يكون وزيرا) كان من الموهوبين العظام الذين ترصدهم أوكار المخابرات العالمية العاتية وتسيطر عليهم من خلال نزوات تمس شرف الانسان واعتباره . . . ثم تدفع بهم الى أعلى حتى يقتربوا من مراكز صنع القرار ، فينقلوا أخبارها ويؤثروا فيها ويساهموا فى صياغة فكرها . . وفى نفس الوقت فان تلك القوى الجهنمية العاتية تدس فى يد الحاكم الذى سبق لها أن زجت بين أعزانه بهؤلاء الموهوبين الملوئين . . . أقول تدس فى يده أسرار هؤلاء الموهوبين ، ومواطن ضعفهم ، حتى يغالى الى الثقة بهم ، ويسرف فى الارتكان اليهم ،

مطمئنا الى سيطرته عليهم من خلال البقع السوداء التى تشوه ملفاتهم ٠٠٠  
والحاكم عادة يفضل أن يستعين بالموهوب الملوث على الموهوب النظيف لان  
الآخر قد يسبب له الصدام اذا أحب أن يناقش أو يعترض أو يستقيل ٠٠

فى اطار قاعدة « الموهوب الملوث » ، أذن ، وصل الوزير الحظير الى  
صورة السلطة فى عهد الرئيس الراحل عبد الناصر ٠ الى أن ضببطت  
الاجهزة للوزير تسجيلات بصوته مع بعض أعضاء البعث السورى ينتقد  
عبد الناصر ٠ فلما كان من الرئيس الراحل الا أن أعطى النور الأخضر  
لضبط ذلك الوزير متلبسا بتلك النزوة المشينة التى عرفت عنه ٠٠  
واقطع الرجل بهذه الحالة الى بيت عبد الناصر حيث ارتقى على أقدامه  
قائلا : ان الله غفور رحيم ياسيادة الرئيس ٠٠ فاذا بعبد الناصر يقول  
له فى صوت بارد : انهض يافلان ٠٠ اننا لا نؤاخذك بهذا الذى ضبطناك  
به ٠٠ ولكننا نؤاخذك بهذا الذى سجلناه عليك !

ثم ان الرئيس أمر بادارة التسجيلات التى تحوى محاورات الوزير  
مع بعض رجال البعث ٠٠٠ واستطرد بعد أن انتهت المحاورات قائلا  
يخاطب الوزير : هدام بيتك يافلان من زجاج ٠٠٠ فلماذا تهرمينى  
بالحجارة وأنا الذى رقيتكم من درجة شحاذ الى درجة وزير !

على هذا النحو مضت استنتاجاتى فعذرت الرجل واستراحت  
نفسى ٠٠٠ قلت لنفسى : لعل زوجته التى وقفت الى جواره فى ابان تلك

المحنة أمام الرئيس أصبحت تسيطر عليه بعد أن كسرت عينه ٠٠٠ أو  
لعل الرجل راجع نفسه هو وزوجته فخافا أن تذكر مذكراته الناس  
بالفضيحة القديمة فقررا أن يسدا الباب الذي تجيء منه الريح ٠٠  
أو لعلهما أدركا أن القارئ الذكي يمكن أن يقرأ ما بين السطور فيستنجز  
مثلا استنجز كاتب هذه السطور ٠٠٠ على أية حال - استطردت مناجيا  
نفسى - لا بأس من أن أخرج من القصة كلها بالعظة التي توجيها  
التجربة ٠ وغفرت للموهوب الملوث ما فعله ٠ وأضفت ما حصلت عليه  
من مذكراته - بصورها الثلاث - الى رصيدي من المعلومات والأسرار ١٠٠

ولكن حدث أن أملت بالرجل محنة معينة لا أزيد أن أشير اليها  
هنا لاننى حريص على ألا يتعرف عليه الناس من خلال تلك السطور ٠٠٠  
فاذا به يبادر الى الاتصال بى قائلا : ان الله يأمرنا بأن نتقى دعوة  
المظلوم ٠٠ فهل دعوت على ؟ قلت له صادقا : لا ٠٠٠ قال : اذن فادع  
لى ٠ قلت : أسأل الله أن يسامحك ٠٠٠ قال : ويشفينى ٠٠٠ قلت :  
ويشفيك ٠ قال : اذن تعال نقرأ صياغتك لمذكراتي قراءة رابعة وأخيرة  
٠٠٠ فان خيالك ألم بى فى ذروة محنتى وكأنه يعتب على ٠٠٠ ولست  
أريد أن ألقى ربه الا اذا أصلحت أمرى معك ٠

وذهبت اليه ٠٠ وقرأنا صياغتي لمذكراته قراءة رابعة كانت فى  
واقعها قراءة صورية ارضاء لمزاج « الست هانم » التي جلست تتربص  
بكلمة هنا وتترصد لجملة هناك ٠ وكانت نظراتها الى تعذبنى وأنا أقرأ  
وأجف القلب ما كدت أحفظه عن ظهر قلب ٠ وبعد أن انتهيت من قراءة

معظم الحلقات بادرتنى قائلة : يا أخ ضياء انك تتجاهل أن وراء كل عظيم امرأة ٠٠٠ وهذه المذكرات ستظل ناقصة ما لم تسرد فى حلقة كاملة قصة دورى فى حياة الوزير . قلت لها وأنا أنحت من قلقي اكذوبة كبيرة : « سيدتى . أنت لا تستحقين حلقة فقط... أنت تستحقين كتابا بأكمله » ٠٠٠ هنالك انفرجت شفتاها عن ابتسامة صفراء مرصعة بأسنان كنيوب الليث ، بارزة . ٠٠٠ واعتبرت كلامى هذا وعدا بكتاب مستقل أدبجه عنها ٠٠٠ ومن جديد أجازت هى وزوجها النشر مقسمين بأغلظ الايمان انهما لن يتراجعا مهما حدث . وأمسك الزوج الوزير الخطير السابق بالقلم وقد أخذته الجلالة ليوقع على تصريح كتابى بالنشر ٠٠٠ ولكنى رفضت من جديد أن أحصل على توقيعه ، وقلت له ان قراءة الفاتحة تكفى .

وقرأنا الفاتحة رقم ( ٢ ) ٠٠٠ !!

ولا شك ان القراء معذورون اذا هزوا أكتافهم لروايتى عما حدث من هذين الزوجين معى بعد ذلك . ولا شك أن بعضهم سيتهمنى بالماسوكية وأن البعض الآخر سيهمسون بينهم وبين أنفسهم بما معناه بالموسوكية ( أى التلذذ بتجمل العذاب ) وأن البعض الآخر سيسهمون بينهم وبين انفسهم بما معناه أن ذنبى على جنبى . فالذى حدث اننى أرسلت المذكرات الى عاصمة عربية . وما كادت تعد للنشر حتى وصلت الى رئيس تحرير المجلة العربية برقية عاجلة بتوقيع الوزير الخطير يطلب تأجيل النشر لاجراء مراجعة جديدة . ومن بيروت اتصل بى رئيس التحرير ضاحكا ليقول : صاحبك الوزير طلب منى أن أسلمه الأصول قائلا ان المعلومات التى فيها ملكه . . فرضت لأن الصياغة من انشائك أنت . .

ثم عاد صاحبك الوزير فسألني كم يتقاضى ضياء الدين ببيرس على الحلقة الواحدة من هذه الذكريات فقلت له انها تعامل على أساس انها أحاديث صحفية هامة لأن مجهود الصحفي فيها أضخم من مجهود صاحب المذكرات على أى حال نحن في مجلتنا لم نعد نحترم هذا الرجل .. فأغلق صفحته، وأبدأ صفحة جديدة !

### - ٣ -

ولكننى بطبيعة الحال لم أطو تلك الصفحة الأليمة بالسهولة التى نصحنى بها ذلك الصديق الصحفى العربى . فقد كنت، مع تسليمى بكثير من جوانب الضعف الانساني ، كنت أظن أن هناك حدودا لانعدام الحياء ، ولكل القيم السلبية مثل الغدر والختل والنفاق .. ولهذا صممت على أواجه ذلك الوزير ولو على سبيل الفضول لأرى كيف يمكن أن يثبت عينه فى عيني بعد هذا التصرف الـ ٠٠٠ رباه ، ماذا أقول !

على أية حال بدأت أمارس مع ذلك الوزير السابق ويمارس معى لعبة المطاردة بالتليفون . أطلبه فيسألنى سفيرجى البيت عن اسمى ، ثم يرد فى سرعة رجع الصدى أن الوزير غير موجود . فأسأل - عارفا بالجواب مقدما هذه المرة - عن السيدة الجليلة قرينة الوزير فيقال لى انها غير موجودة. ولكننى كنت واثقا طول الوقت انهما على «السماعة الأخرى» !

و « السماعة الأخرى » هى تلك السماعة التى يرفعها صاحب التليفون فى نفس الوقت الذى يرفعها فيه أهل البيت أو خدمهم ، حتى

يتعرف المطلوب على صوت طالبه أو اسمه ويقرر ما اذا كان يرد على الفور أو يشير الى الشخص الآخر بأن ينفي وجوده . وكل تليفون مركب فى بيت معظم الناس المهمين وأنصاف المهمين فى مصر فضلا عن الفانيات وأنصاف الفانيات له « سماعة أخرى » ، بل انى أعرف رجلا ، كان مهما فى وقت من الأوقات ، أصبحت هوايته الجنسية ، بعد انحسار نفوذه واستكائه الى معاش الوزير ، أن يرفع « السماعة الأخرى » ويتمتع بعبارات الغزل التى يصحبها بعض أصدقائه فى اذن زوجته القابعة على مرمى متر واحد منه ، دون أن يعرف الصديق المتغزل ان الزوجين يتأهبان للعبة الحب الكبرى بفضل تدفق بيانه ، وعاطفته الحياشة ، ونبرته المضطربة ، وعباراته الساخنة . . . وهكذا أصبحت « السماعة الأخرى » تؤدى أدوارا لم تكن فى حساب مخترعيها الذين استغنوا بها عن عبارة « الباشا فى الحمام » التى كان يضطر اليها ساسة ما قبل ١٩٥٢ . فى تلك الأيام التى بلغ من رجعتها وتخلفها ، إنما لم ترتق الى تكنولوجيا « السماعة الأخرى » !!

على اننى لم أسمح للملل أو الغضب أن يرذا أصابعى عن ادارة قرص تليفون الوزير السابق اياه . ذلك لأن لعبة انكار نفسه كانت فى حد ذاتها تستهوينى ، لا من باب استعذاب العذاب ، ولكن من باب الايمان بأن كل مرة ينكر فيها نفسه كانت تطلعه هو على حقيقة نفسيته . وكنت قد حرصت على ألا يبدو فى صوتى المرة تلو المرة اثر اللضيق أو الانفعال ، بل اننى كنت أترك له فى كل مرة رسيالة شفوية تبدأ بالتحية وتنتهى بالاحترام . . . حتى مل هو نفسه اللعبة قبل أن أملها ، وجرو ذات مرة على أن يرد على . وجاءنى صوته ممزقا بين الحجل والتحفز .

وسألته عن السيب الذى جعله يطعننى فى ظهرى تلك الطعنة . . فاندفع  
يقول انه هو نفسه لا يعرف كيف انه يقع تحت تأثيرى كلما جلست اليه  
فاذا ماخلا الى نفسه ندم على أنه باح لى بكل ماروى . . . ثم أعطانى  
محاضرة فى مقتضيات السياسة - ودواعيها ، ثم سألنى هل لدى  
ما أقوله ؟ فقلت له بالحرف الواحد : ليس لدى الا أن أدعو الله أن  
يتولانا جميعا ويجزيانا بما نستحق . . وانتهى الحديث عند هذا الحد .  
وفى اليوم التالى قرأت ان خيرا ما أصاب هذا الرجل . . . ففزعت الى  
السماء أسألها وأنا ممزق الوجدان بين الحيرة والايمان عن الحكمة فى  
أن تجعل الشر يزدهر وينتصر الى هذا الحد . ولولا بقية من فطرة طيبة  
لتخاذل الايمان فى قلبى امام الحيرة .

ولست انكر أننى ساورتنى فى الايام الحزينة التى أعقبت حديث  
التليفون الأخير أفكار بأن أنشر تحت عنوان « لعبة التكذيب » ، نفس  
المذكرات التى صفتها على لسان ذلك الوزير ، راويا القصة الكاملة  
للرواية ثم للتراجع . . . ثم أعلن مقدما أن ذلك الوزير قد يكذب هذه  
الأسرار واذن فأنا لا أنسبها اليه وانما أرويه على انها معلومات عرفتھا  
من مصدر لم يأذن لى بأن أنسبها اليه صراحة . . وفعلا اتفقت مع دار  
نشر عربية على ذلك . ثم عدت فتوقفت لما سمعت بخبر مرض جديد عاود  
الرجل . . . ولم أشأ أن أضاعف محنته بأن أفضحه .

حتى حدثت واقعة مدهشة . ذلك أننى كنت أزور عاصمة أوروبية  
وإذا بزميل صحفى معروف يقول لى ان الوزير السابق فلان موجود فى  
تلك العاصمة . وانه سمع منه - أى من الزميل - بوجودى فى تلك العاصمة



وأنه يحب أن يرانى ، لأنه نادم على ما فعله معى . فقلت للزميل : إذا كان هذا الرجل قد سمع منك بوجودى هنا فهو يستطيع أن يعرف منك رقم تليفون فندقى . قال الزميل : هو يخشى أن ترده ردا غير كريم . قلت : لماذا لا يجرب ؟

وفعلا اتصل بى الوزير . وجاءنى على السماعه صوته مختنقا بشئ لم أدر ان كان الحياء أم كان الدموع . وقال لى انه اكتشف ان فطرتى تختلف عن فطرة الصحفيين ، وأنه يثق فى أننى لن أتردد فى زيارته وهو فى محنته . فقلت ضاحكا اننى لا أعرف تصوره لفطرة الصحفيين ولكنى أحب أن ألفت عنايته الى اننى صحفى حتى أطراف أصابعى ، وأن كثيرا من الناس قد يختلفون حولى وحول طباعى وأخلاقي وأسلوبى فى التعامل ، ولكنهم يتفقون على شئ واحد اننى صحفى قح .. ولهذا السبب - استطردت - فأنا لا أحب أن أتصور أن مفهومه عن فطرة الصحفيين يختلف عن فطرتى . أما عن زيارته فهذه مسرة لى ، ثم قلت له : أننى قادم اليك .

وذهبت الى شقته الأنيقة التى ينزل فيها فى العاصمة الأوروبية على حساب دافع الضرائب المصرى أحمل فى يمينى تورتة أناناس ، واستقبلتنى زوجته بابتسامة أكثر اتساعا من فتحة صدر فستان ابنتها . وكان هناك - أيضا - ابن الوزير وأحد مريديه وهو طالب دكتوراه ، وأخيرا فقد كان هناك أيضا ابتسامة عريضة على شفتى الوزير لم تنخل عنهما الا لحظة أن قبل رأسى وهو يقول على ملأ من الجميع : انه نادم وآسف على كل ما فعله معى ... وأنه يستغفر الله ويستغفرنى !

ولست أنسى قط نظرة الدهشة الهائلة فى عيني الزوجة المصونة  
والجوهرة المكنونة وهى تسمع هذا الكلام ... كما لا أنسى فحيحها وهى  
تقول فى غضب مكبوت يستتر نفسه بابتسامة باردة : على ايه يعنى  
الكلام ده يا فلان .. الأبخ ضياء صحفى وأنت سياسى . ومن طبيعة  
مهنته ألا ينشر كل ما يسمع .. كما أن من طبيعة حياتك ألا تقول كل  
ما تعرف ...

وأطرق الوزير السابق بعينه الى الأرض ، وقال : « الرجل  
ضعيفنا يا فلانة . وقد عذبناه كثيرا » . فقالت فى صوت رنان : « أهلا  
به وسهلا .. أما تلك الهدية فهى فى غير مكانها فكلانا فى بلد غريب » .  
فقلت لها : « ياسست هانم ... النبى قبل الهدية » . فراحت يدها  
تعبث بالستائر ، وخرجت بالصمت عن لا ونعم . فقلت دفعا للخرج  
أننى جئت زائرا ولم أجد صحفيا .. وأنه خير لنا جميعا أن ننسى  
القصة كاملة ، وأننى شخصا سامحت الوزير فلا داعى لنبش ما دفناه  
جسويا ...

وكلام كثير فى هذا المعنى ..

وإذا بى أفاجأ بأن الوزير يقول لى : انه مصمم على أن يسمح لى  
هذه المرة بالافراج عما رواه لى . فقلت له : الحقيقة ان ورائى امورا  
كثيرة تشغلنى ، وأننى أعتذر عن بحث هذا الموضوع الآن ..

قال : اذن أنت مازلت غضبان ..

قلت : أبدا يا « معالي » فلان • كل ما فى الأمر أن القصة كلها تجلب لى الارتكاريا ( الحساسية ) • وأفضل أن نبدأ علاقة جديدة • قال : وهو كذلك • وعلى كل حال فقد جئت فى موعدك ، والله يعلم اننى كنت أفكر فيك كثيرا حتى قبل أن أراك • ذلك أن عندى أقوالا واسرارا هامة أريد أن ارد بها على ما ينشره فلان • (وذكر اسم شخصية سياسية محترمة ) ••

وفعلا ناولنى دفتتر رسائل أزرق اسمه باللاتينية على أوراقه ، وراح يملئ على أسرار سياسية هامة ، بعضها سبق رواه لى ، وبعضها جديد تماما ، حافل بالهجوم على عبد الناصر (وأذكر أنه وصف سياسة مصر الداخلية فى عهده فى حقبة الوحدة المصرية السورية بأنها كانت سياسة « مراحيض » ، ولما راجعته فى الكلمة أصر على اثباتها ونسبتها الى زميل آخر له ) ••• وأدركت من جسارته هذه المرة ومن الحاحه الشديد على تجريح عبد الناصر أنه يظن أن النور الأخضر فى مصر مضاء للهجوم على الرجل • ولم أناقشه ، فأنا نفسى لست ناصريا بالمعنى الحزبى الذى يسبغ على عبد الناصر أوصاف الملائكة والقديسين ويجعل عهده خيرا كله ••• ولكنى فى نفس الوقت لست من الذين يعتبرون أن عهد عبد الناصر كان شرا ينبغى أن يشن عليه هجوم بشع يمزق ، بين ما يمزق ، شرف أمة بأسرها • ثم ان فى رأى أن الذين أكلوا على مائدة عبد الناصر وصعدوا على حسبه وربوا لحم أكتافهم من خيره واقتنوا السيارات الفاخرة والشقق الخاصة المكيفة والاموال المهربة من ورائه يجب يكونوا آخر من يطعن فى عبد الناصر ••• وقد أبيع لا مثالى أن ينتقدوا نظرية « تفضيل أهل الثقة على أهل الخبرة » التى تبناها عبد الناصر

فقسمت البلد الى عسكر وحرامية وشردت الكفاءات وسوست روح الأمة  
وسمحت لبعض الأوغاد والجهلاء أن يضعوا أقدامهم القذرة على أعناق  
الأشراف ، وأن يحاصروهم من خلال لقمة العيش ٠٠٠ أقول قد أبيع  
لأمثالي أن ينتقدوا عهد عبد الناصر انتقادا موضوعيا فيذكروا شرف  
نواياه وانتقاله بآمال المعذبين في الأرض من السفح الى الذرى ، ووضعه  
للكرامة العربية في خانتها الصحيحة .. ولكن عليهم أن يذكروا ذلك الى  
جانب نقدهم لسياسة القهر والارهاب التى حجب ظلامها جانبا من انحازاته  
المضيئة ٠٠٠ ثم اننا فى النهاية ونحن ننتقد عبد الناصر يجب أن نسأل  
أنفسنا : « هل نقبله كله أن نرفضه كله ٠٠٠ » بتعبير آخر : هل اذا  
كان لدينا أن نختار بين ما بعد ثورة ٢٣ يوليو بكل ما فيها من حسنات  
ومن سيئات ٠٠٠ وبين ما قبل تلك الثورة بكل ما فيها من ايجابيات  
وسلبيات ، فأياها نختار ؟

أنا شخصا أختار عهد عبد الناصر رغم ما أصابنى وأصاب الكثيرين.  
من الأكفاء والأشراف والمثقفين على يدى جمعية المنتفعين بعهد الناصر.  
وأجهزته السرية ٠٠٠ ورغم ما أصاب البلد من نكسات قابلة للعلاج فى.  
المدى الطويل . وقد يكون من حقى أن أقول كل هذا بالقلم المليان ٠٠٠  
ولكن ليس من حق الذين صاغوا من أقلامهم وأسلوب حياتهم وجلود.  
وجوههم تيجانا لعهد عبد الناصر أن ينقضوا عليه سعيًا وراء منفعة.  
أو ركوبا لموجة ... دعك من هؤلاء الذين أطلقوا الرصاص على جثمان.  
عبد الناصر وهم الذين مدوا فى حياته الى الكواكب اذرعهم فصنعوا منها.  
قلائد شعر طوقوا بها عنق ذلك الرجل العظيم ، رحمه الله ، وجزاه بقدر.  
أعماله ونواياه !

- ٤ -

أعود - ومعذرة عن الاستطراد ، ولا حيلة لنا فيه - أعود الى شقة الوزير السابق الأنيقة في تلك العاصمة الأوروبية ، حيث كان يعالج على حساب المواطن المصرى المتشعلق على رفارف أوتوبيسات القاهرة ٠٠ أعود اليه وهو يمل على أسرار حافلة بالتجريح لعبد الناصر ٠٠٠ وفى خلال ذلك استأذن طالب الدكتوراه ثم استأذنت الزوجة والأبنة فى الانصراف لأن وراءهما انجازات هامة فى شارعى ريحنت واكسفورد قبل أن تغلق المحلات أبوابها . وبقيت وحدى مع الوزير وثالثنا القلم ودفتر رسائله الزرقاء . ثم ما لبثت أن أصبحت رابعتنا سيدة أجنبية من أهل ذلك البلد ، أتاح لى قدومها أن أعرف أنها كتبت للأطفال بلغة ذلك البلد كتابا من مائة صفحة من الحجم الصغير عن قصة حياة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . وتقاضت على ذلك أجرا من أمير دولة عربية ما يعادل مبلغ خمسين ألف جنيه استرلينى .

وقد رجوت السيدة أن تلتقط لنا - الوزير وأنا - عدة صور . ثم عرضت على الوزير أن أقرأ عليه الحديث فى صورته النهائية قبل أن أرسله الى القاهرة ، فاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم ، ثم بسمل وحوقل وأقسم بعرض العريزة الغالية - زوجته - أنه لن يكرر ما فعل من قبل . وأن ثقته بى لاحد لها ، ، وأنه مازال يتمنى على أن أفرغ لكتابة مذكراته كلها بقلمى الذى صفاته كذا وكيت .

وانصرف مشيعا يدعواته وقبلاته و طرت الى فيينا . . . وفي فيينا  
قابلت الدكتور حسين سعيد وزير التعليم الأسبق، فرجوته أن يحمل معه  
الى القاهرة الرسالة التى تحوى حديث الوزير الخطير اياه . وتكرم الرجل  
وقبل اداء تلك المهمة . . . وفعلا اوصلها الى مجلة قاهرية . . . واذا برسالتى  
التي تحمل الحديث ، تجد فى انتظارها عند رئيس تحرير المجلة التى أرسلته  
اليها ، رسالة من الوزير الخطير السابق : ان ضياء الدين بيبس سيرسل  
اليكم حديثا على لسانى . وضياء صحفى شيطان لا أدرى كيف أقنعنى بأن  
أتكلم . . فمن فضلكم لا تنشروا ما سيرسله ، واعتبروا هذا الرسالة تكذيبا  
لأى كلام ينشر على لسانى ! .

وهكذا عشت حتى رأيت تكذيبا لحديث لم ينشر ! . . وكانت فرصة  
سائحة لافتراس سمعة هذا الوزير السابق الذى وصف نفسه بلسانه  
مرة بأنه « شيخ الاندال » : وذلك بأن رويت قصتى معه كاملة بحذافيرها  
على زملائى فى تلك الصحيفة . ولم أجد أجدا أجدا يتعاطف معى، على الرغم من  
احتقارهم لمنهج هذا الرجل . . فقد كنت فى نظرهم انسانا لم يئأ بنفسه  
عن الجحر الذى سبق أن لدغ منه مرة ومرة .

هذه المرة لم أجد شيئا ادفع به عن نفسى سخريه زملائى وأصدقائى  
. . بل أننى اقتنعت ان رواية مأساتى مع الوزير تدين اطمئنانى الغريب  
اليه رغم كل ما فعله، أكثر مما تدين نذالته . ومع ذلك فقد كان ثمة سؤال  
يلج على وكان فضولى الصحفى يدفعنى الى البحث عن جواب له . هذا  
السؤال هو : ما سر نبرة العداء الواضحة فى الطعنة الجارحة التى ختم

بها الوزير السابق جولته الثالثة معي ؟ ولماذا اختار أن يشتمني في رسالته الى الصحيفة وقد كان يكفيه ان يرسل رجاء بعدم النشر على نحو ما فعل في المرتين السابقتين ؟ ٠٠ ظل هذا السؤال يراودني حتى فوجئت برسالة شفوية من ديبلوماسي يمت بصلة القرابة الى الوزير اياه ٠٠ وفي تلك الرسالة قال لي الديبلوماسي ان الزميل الصحفي الذي كان واسطة اللقاء بيني وبين الوزير في العاصمة الاجنبية كان هو الذي أوغر صدر الوزير وزوجته ضدي هذه المرة . كيف ؟ قال لهما الصحفي ان المفروض أن ضياء الدين بيرس سينشر هذا الحديث في صحيفة « كذا » وهذه المجلة كانت قد تورطت في ذلك الحين - دون تخطيط لذلك - في خصومة عارمة مع شخصية نها مقامها الروحي الجليل في قلوب المصريين وبغير المصريين . وقد اشعلت هذه الخصومة ضدها حملات كثيرة من كل اتجاه . فاذا جاء ذلك الوزير السابق الآن ونشر فيها بعض الآراء والأسرار والذكريات فكأنه يضع يده في يد خصوم تلك الشخصية . . أو كأنه يعلن الحرب على تلك الشخصية .

هنالك ارتاع « شيخ الاندال » لهذا التفسير من الصحفي الذكي الذي راعه ان اظفر دونه بهذا الكنز الصحفي الاخباري . وانتهازها للزوجة فوصة لكي تصب النار على الزيت ، وتمسك بذقنها وتقول لزوجها : « الم أقل لك ؟ » . وبعدها كان من السهل على الحيزيون أن تمسك بيد الشيخ المنهار لتحرك أصابعه برسالته الى الصحيفة . . هذه الرسالة الغريبة التي كذبت حديثا لم يقرأه لا صاحبه ولا القراء ! .

وأذكر . أنني رويت بعد ذلك للاستاذ الكبير فتحى رضوان هذه القصة

بحذافيرها ٠٠ فرأيت في عينيه بريق الفنان وهو يعثر على نموذج انساني مشير صالح لاستغلاله دراميا في عمل فني باهر ٠ وفتحي رضوان كاتب مسرحي من عتاة الساخرين ٠ بل انه يمسرح تعامله مع الناس الى حد أنه يفترض مقدما - ويغفر في نفس الوقت - اخطاء الآخرين ولو كانت في حقه ويبررها ويعتذر عنها باعتبار أنها جزء لا يتجزأ من الطبيعة الانسانية ٠ بتعبير آخر فإن فتحي رضوان فقد القدرة على الدهشة ، ولست أنكر أنني اصببت بخيبة أمل وأنا ارقب أساريه وهو يستمع الى قصتي المفزعة . ففيمما عدا بريق عينيه الذي كان ينم عن التسلية ، لم الحظ عليه ارتياحا أو ذهولا أو دهشة . وكنت اتمنى في قرارة نفسي لو أنه اظهر شيئا من الانفعال أو التعاطف ٠٠ على الاقل ليجاملني ٠٠ ولما وصلت لحد النهاية في قصتي مع « شيخ الانذال » قال في هدوء فاتر وصاعق معا ان السياسة عند بعض النسيالسيين لا شرف لها . وقد أطاح اتاتورك بأصدق اصدقائه - بل ورفيق فراشه على حد تعبير بعض الروايات - أطاح اتاتورك بهذا الصديق لأنه خشى أن يفتن الناس به فينصرفوا عن اتاتورك نفسه . ولم يضيف فتحي رضوان الى ذلك كلمة واحدة على سبيل التجريح لهذا الوزير السابق وان كانت عيناه قد قالتا لي : ان هذا المسلك من ذلك الرجل لا يستغرب ٠٠

وخرجت من عند فتحي رضوان وأنا افكر في كيف ألوى ذراع هزيمتي وهوانى على زميله الوزير الخطير السابق ، بطل هذه المرحلة من هذا الحديث ٠٠ وخطر ببالي أن انشر التفاصيل الكاملة لقصته هو وزوجته . معي ، باعتبار أنها صورة نابضة بالحياة لرجل من صناعات السياسة بل من صناعات القرار في وقت من الاوقات ٠٠ وبعد نشر القصة انشر المعلومات التي رواها لي معلنا انه لم يأذن بنشرها ٠٠ ولكنه بعد أن أضاع من عمري



شهرين ، لم يعد المالك الوحيد لها . فهذه المعلومات ذات شقين : الاحداث والصياغة . والاحداث حين يرويها سياسى لصحفى ليست مثل سياراة يقرضها رجل لآخر ويصبح من حقه استردادها . . وانما هى شهادة تصبح بمجرد انتقالها الى حوزة انسان آخر ، ملكا مشاعا للناس والتاريخ . ثم ان الصحفى ليس ساعى بريد ولا شريط تسجيل ولا ابرة أسطوانة . . . . . بمعنى ان قلمه يغير ويقدم ويؤخر ويفسر . . وهذا هو الذى يبرر وضع اسمه على حديث أجراه أو ذكريات كتبها . . ومن هنا فالفائدة تصبح بعد ان يصوغها الصحفى بقلمه مثل المولود له أب وام . . . . . كلاهما له فيه نصيب . وكل ما يطلب من الصحفى الا يدس على لسان صاحب الذكريات ما لم يقله ، أو يحرف فى آرائه تحريفا يجعل صاحبها يتبرأ منها ، أو يستخدمه ستارا ليضع آراءه هو ( آراء الصحفى ) . ثم ان السياسى حين يتفق مع الصحفى على ان يتفرغ له هذا الاخير ويعطيه وقته الذى كان من الممكن ان ينفقه فى مجهود ذهنى أو فكرى آخر . . . . . كأنه وقع معه عقدا بالنشر ، فلا يجوز له بعد ذلك أن يتراجع مهما كانت الأسباب . ثم ان الصحفى حين يجلس الى السياسى يقوم بدور منشط ذاكرة ذلك السياسى ، ويعاونه أساسا فى تجميع المادة التاريخية ، وفى تفتيق مواطن الرواية ، وفى توجيه الأسئلة التى على أساسها يستطرد السياسى فى الحديث . ومعظم السياسين - ولا ينطبق هذا الكلام بحال من الأحوال على رجل مثل فتحي رضوان - ليسوا من أصحاب الأقلام . بل ان منهم من يلجأ الى آخر ليكتب له رسالة أو بطاقة معايدة فاذا ما جاء الصحفى وأرشده الى كيفية رواية الاحداث وربطها ، ثم عاد السياسى فعدل بعد ذلك عن النشر . . الا يعد ذلك بمثابة سرقة لوقت الصحفى ثم سرقة مجهوده الذهنى ؟

خطرت كل هذه الحواطر ببالي وأنا أقرر أن أروى القصة ...  
 وقصة القصة - بل خطر ببالي أن أنشر ذكريات ذلك الوزير السابق.  
 وصوره معي وأدلة أخرى على انه أملى على المعلومات الواردة بكل سطر  
 أنشره ... ولن يجروء هو على التكذيب ، أو لن يجد أحدا يصدقه اذا.  
 ما جروء على التكذيب ، لسبب بسيط ، هو انه ليس فيما سينشر بطبيعة  
 الحال - على لسانه - ما يسيء اليه ... أما ما يسيء الى الآخرين فمن  
 الممكن حذفه أو اخراجه من سياق التعبير المباشر على لسانه ..

وفعلا بدأت أعد تلك الذكريات للنشر على أنها أحاديث عدل صاحبة  
 عن نسبتها اليه ، وفجأة ... خطرت ببالي فكرة أشد اغراء هي أن أنشر  
 كل مارواه لى ذلك الوزير الخطير السابق على انه معلوماتي الشخصية .  
 وليس فى هذا أى افتراء على الحقيقة بطبيعة الحال . فالصحفى لا ينشر  
 كل معلوماته منسوبة الى مصادرها ... واذن فلا جناح أن أحذف اسم  
 المصدر أصلا وأتكلم عنه بضمير الغائب لا بضمير المتكلم ، فأقول انه  
 فلانا قابل عبد الناصر وقال له كذا بدلا من أن أقول انه قال : أنا قابلت  
 عبد الناصر وقلت له كذا ...

واستراحت نفسى الى هذا القرار .. وفعلا نفذت هذه الفكرة فى  
 كثير مما نشرت من أحاديث ولقاءات ومذكرات وذكريات . وعلى سبيل  
 المثال فأننى وأنا أنقل ذكريات الأستاذ الكبير فتحى رضوان سمحت  
 لنفسى الى آخر مدى بأن أنتقل من ذكرياته الشخصية الى معلوماتي  
 الشخصية . وكثيرا ماكننا نتحاور وهو يراجع البروفة النهائية لتلك

الذكريات فى شأن ما كان يريد حذفه من آراء أو معلومات أنشرها تعليقا على معلوماته وآرائه . وكان منطقى أننى مادمت لا أقول اننى أنشر مذكرات فتحى رضوان بقلم فتحى رضوان ، وإنما أقول اننى أنشر رواية عن فتحى رضوان يكتبها ضياء الدين بيبرس . . . فقد أصبح من حقى أن أحشر أنفى فى سياق الحديث مادمت لا أنسبه اليه . . . ثم أن هذا المنهج كفىل بأن يحفظ حقوق فتحى رضوان فيما بعد فى أن يروى قلمه ذكرياته أو مذكراته كاملة . . . كذلك يحفظ حقوقه الادبية فى ألا ينسب اليه ما يكتبه قلمى . . . فهو نفسه كاتب عظيم وله قلم مميز ومن الظلم له ولقلمه أن ينسب اليه ما كتبه صاحب قلم مثله . باختصار أقنعت فتحى رضوان أن يكون معى مصدرا للتاريخ بدلا من أن يكون راوية له . ورضى الرجل ، ولا أقول اقتنع ، بذلك المزيج العجيب الذى اشتهر به من التسامح والسماحة والسخرية المستترة والكبرياء والايقار .

والواقع أن فتحى رضوان لم يروى كل مذكراته العامة أو الخاصة . . . كما أنه لم يروى كل ذكرياته عن حقبة معينة . فهو قد حجب عنى أشياء كثيرة لأنه على حد قوله أما لا يريد أن يسيء الى احياء أو اموات مازال لهم دورهم فى حياتنا المعاصرة . . . وأما لا يريد أصلا هدم صور استقرت فى نفوس جيل كامل عن شخوص وأحداث . . . ومن ناحية أخرى فهو قد حجبك أنت - اى عن القارىء - أشياء أخرى رواها لى ثم رفض أن أنشرها لأنها تمس ، على حد تعبيره ، حرمان وجوانب شخصية فى كثير من السياسة وصناع القرار . وقد امتثلت لرغبته واحترمتها ولكنى لم أقنعه به . . . ذلك اننى أرى ان تاريخ الأمة ليس مجرد الأحداث الظاهرة والقرارات العلنية والسرية والوثائق الرسمية

والمستترة .. ان تاريخ الأمة هو تفاعل كل هذه الأشياء مع العادات والنزوات والميزات الشخصية للزعماء والسياسة وصانعي القرار .

## - ٥ -

• وهنا يثور سؤال هو : ما هو الحد الفاصل بين حق الشخصية العامة أو الزعيم أو السياسي أو الشاهد .. بين حقه في أن يعتبر هذه المذكرات حكرا له وبين حق الشعوب في أن تعرف أسرار تاريخها ..  
بعبارة أخرى هل مذكرات السياسي ملك له أو ملك للأمة ..

للإجابة على هذا السؤال .. نرجع الى بحث ممتاز للكاتب السياسي جلال السيد في هذه النقطة بالذات ، نشر له في جريدة الجمهورية ١٠٠

يقول جلال السيد :

« منذ وفاة سعد زغلول في ٢٣ أغسطس عام ١٩٢٧ أثرت قضية ، لا تزال حتى الآن بدون حل ، ولم تكن القضية من الذي يخلف سعد في رئاسة الوفد ، فقد حسمت سريعا واختير مصطفى النحاس ، لكن الذي لم يحسم وظل محل خلاف حوالى أربعين عاما ، الموقف من مذكرات سعد ، ففي الاسبوع الأول لوفاة سعد زغلول ، جمعت السيدة صفية زغلول ، مذكرات زوجها ورقمتها ورتبتها ، وظنت انها تستطيع ان تحتفظ بها .

واثيرت - لأول مرة - حق ملكية المذكرات السياسية . هل تكون لورثة سعد ، ضمن ما تركه لهم أم تكون للحزب الذى كان رئيسه ؟ لان ما تركه من مذكرات يتعلق بتاريخ الأمة ، وتاريخ ودور حزبه .

وكانت القضية قانونية ، سياسية ، وظل النزاع قائما بين وورثة سعد - كأسرة - وورثة سعد كحزب سياسى ، ثم تم الاتفاق بين الطرفين الأسرة وحزب الوفد ، على ان تبقى المذكرات تحت يد خليفة سعد - مصطفى التحاس - ويكون له الحق فى نشرها فى الوقت الذى يراه ، ويقوم بمراجعتها من الناحية السياسية ، كما ان للأسرة الحق فى مراجعة الجزء الخاص بالأسرة تم هذا عام ١٩٢٧ .

وبعد ثلاث سنوات - وفى حكومة اسماعيل صدقى - كان الصراع شديدا بين الوفد وصدقى وخشى التحاس ، بسبب ما كانت تتعرض له بيوت السياسيين من هجمات التفتيش ، ان تقع المذكرات فى يد اسماعيل صدقى - وهو خصم لسعد ، وسبق ان طرد من الوفد فى بداية تكوينه ، فوضع المذكرات فى إحدى خزائن بنك مصر .

وظلت مذكرات سعد لغزا محيرا أمام الباحثين والمهتمين بدراسة التاريخ ، فيسمعون عن المذكرات ، ولكن لم يكن هناك أى تأكيد ، ولم يكن يعرف حقيقة الأمر سوى قلة من أعضاء الوفد وقلة من أسرة سعد ، كما هو الحال بالنسبة لمذكرات مصطفى التحاس ومكرم عبيد فى هذه الأيام .

وفي عام ١٩٤٨ ، كان اسماعيل صدقي قد بدأ بتشر مذكراته في مجلة المصور ، وجاء فيها ما اغضب حزب الوفد ، حين تناول علاقته بسعد وتكوين الوفد ودوره في هذا .

وفتحت خزانة بنك مصر - لأول مرة - بعد ١٨ عاما - ليرد الوفد على ما جاء في مذكرات صدقي ، وذلك من خلال مذكراته سعد ..

ويقول محمود سليمان غنام - في كتابه اضواء على ثورة ١٩١٩ - « وكان اسماعيل صدقي قد نشر مذكراته سنة ١٩٤٨ عن بعض نواحي ثورة ١٩١٩ ، فرددت عليه بسبع مقالات في جريدة صوت الأمة واستعنت في هذا الرد بمذكرات سعد زغلول ، التي طلبتها من خليفته مصطفى النحاس ففضل بوضعها تحت تصرفي ، وتوفقت عن متابعة الكتابة لاغراض ورثة سعد زغلول ، وبالرغم من اصرار النحاس على مواصلة الكتابة لمخالفة هذا الاعتراض ، لما استقر عليه الاتفاق الذي حرر بينه وبين الورثة ، لم إشا السير في اتمام المقالات خشية افرض الحراسة القضائية عليها » .

وقد احتج ورثة سعد على طريقة النشر ، لأنه كان مخالفا للاتفاق ، واستطاعوا ايقاف النشر وظلت قضية المذكرات بين النحاس وورثة سعد امام الحكومة منذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٣ الى أن وضعت تحت الحراسة حتى صدر قرار وزارى من وزارة الثقافة بأن أى حائر على أى وثيقة يجب المحافظة عليها وحظر اخراجها من البلاد والتصرف فيها .

ثم صدر قرار وزارى رقم ٢٣٩ لعام ١٩٦٣ ، فى ٢٥ يونيو ،  
باعتبار أن المذكرات السياسية الآتية ذات قيمة للتاريخ القومى وهى :  
مذكرات سعد زغلول - محمد فريد - مكرم عبيد - عبد الرحمن  
فهمى - فخرى عبد النور - محمد على علوية - وكذلك مذكرات  
محمد كامل سليم - اسماعيل صدقى - محمد حسين هيكل .

وكان هذا بسبب تصوير نسخة كاملة من مذكرات محمد فريد  
للطالب ارثر جولد شملت من جامعة هارفارد فى الوقت الذى لم يطلع  
فيها المؤرخون المصريون على هذه المذكرات .

وقد أودعت مذكرة سعد زغلول فى دار الوثائق التاريخية القديمة  
- ٥٣ كراسة - الا أن القضية له تنته بعد .

فحزب الوفد حل منذ عام ١٩٥٣ ، واحد أطراف النزاع وهو  
مصطفى التحاس ، توفى منذ عشر سنوات . ومع ذلك لم يتوقف  
النزاع حول مذكرات سعد زغلول ، وفى هذه المرة بين ورثة سعد  
زغلول ، والدولة حول التعويضات المادية التى ستدفعها الدولة ، وفى  
هذه المرة أيضا - عرض الأمر على القضاء . وشكلت لجنة لتقييمها ،  
لتقدير التعويض اللازم .

وهنا تثار قضية لابد من توضيحها وقرارها - بشكل قانونى -  
هل للورثة الحق فى تعويض للمذكرات السياسية ؟

حفاظا على جزء هام من مصادر تاريخنا ، يجب أن يعوض

أصحاب هذه المذكرات أو ورثتهم ولكن بلا مبالغة ، فعلى أصحاب تاريخنا - ومن الصالح توضيح بعض الغموض - أو اضافة تفسيرات أو وقائع تفيد التاريخ .. كما أن على أصحاب المذكرات أو ورثتهم - أن يتخلوا عن الحساسية - فيما يتعلق ببعض الاخطاء أو ما يرونها غيوباً ، لا يجوز نشرها .

فلقد اعطى سعد زغلول المثال ، فى الصدق مع النفس ، ولم يعبأ بأى حساسية أو حكم ، فسجل نواقصه وعيوبه كما رآها ولم يخجل أن يلوم نفسه - تجاه بعض التصرفات ، وسجلها بأمانة شديدة ، وهذا ليس عيباً أو نقیصة فى سعد ، ولكن العيب أن نترك دوره الأساسى ونركز على بعض التصرفات الشخصية ، والتي كان هو مصدرها ومسجلها . ومن المفيد للباحثين ولكتابه تاريخ مصر ، نشر مذكرات سعد زغلول ، نشرها علمياً ، كاملاً ، خاصة أنه قد مضى على كتابتها وعلى وفاة صاحبها خمسون عاماً ، وهذا كاف جداً للقضاء على كافة الحساسيات الاسرية والسياسية ، فلقد أصبحت تاريخاً ملكاً للامة ، وليس ملكاً لاسرة سعد ، أو لحزبه .

وكما تعرض السياسيون للاضطهاد فى الماضى ، كانت أيضاً مذكراتهم السياسية ، فكانت تهرب وتفقّد ، وتضيع بعض أجزاء منها ، وتختفى ، وتظهر ، شأنها فى ذلك ، شأن السياسيين كتابها . وكما كانت حياة محمد فريد حافلة بالاضطهاد والمضايقات الأمر الذى دفعه الى الهجرة ، لمواصلة النضال ، سارت مذكراته - أيضاً - فى رحلة شاقة بدأت من برلين عام ١٩١٩ ، واستقرت فى دار الوثائق عام ١٩٦٣ .



وتبدأ قصتها بخطاب من محمد فريد - حيث ثقل عليه المرض في برلين - الى صديقه اسماعيل لبیب الذى كان يقيم في جنيف ، يطلب منه سرعة الحضور الى برلين ، وذلك في سبتمبر عام ١٩١٩ ، وحضر اسماعيل لبیب ، فطلب منه محمد فريد أن يتسلم صندوقا أودعه عند سيدة المانية - كان يسكن عندها - وأوصاه أن يحمله الى مصر ويسلمه لابنه عبد الخالق فريد . وكان هذا الصندوق يحتوى على مذكرات وأوراق محمد فريد ، واحتفظ اسماعيل لبیب بوصية صديقه ، وانتظر حتى يكبر عبد الخالق ، ولكن الموت لم يسعفه وقامت زوجته - فيما بعد - بتسليم الصندوق الى عبد الخالق فريد .

واحتفظ الابن بمذكرات ابيه ، ولم يفكر في نشرها - نظرا للظروف السياسية التي كانت تعيشها مصر قبل الثورة .

وعندما كان المؤرخ عبد الرحمن الرافعى يؤلف كتابه عن محمد فريد طلب المذكرات من ابنه .

وكما يقول الرافعى : « ظلت المذكرات عندى لمدة ثلاث سنوات ، وقد أطلعت عليها ودرستها دراسة دقيقة » .

ثم حدث أن جاء طالب من جامعة هارفارد هو ارثر جولد سميت ليعد رسالة الدكتوراه عن الحزب الوطنى ، وحصل من عبد الخالق فريدا على نسخة مصورة كاملة من مذكرات محمد فريد ، كما حصلت الجامعة الأمريكية في مصر على نسخة أيضا ، وهنما ثارت ثائرة المؤرخين ودراسى

التاريخ ، وأثيرت القضية مع وزارة الثقافة ، التي تدخلت لحماية المذكرات السياسية .

ثم ظهر كتاب اليقظة لمحمد صبيح - عام ١٩٦٤ - وبه مذكرات محمد فريد ، ونشرتها أيضا إحدى الجرائد اليومية ، وهنا ثارت ثائرة عبد الرحمن الرافعى ، عبد الخالق فريد ، وكانت القضية حول أسلوب النشر . واحتج عبد الخالق فريد وقال : « ان الأستاذ صبيح أسقط الكراسة الثالثة والتي تبدأ بصفحة ٧٣ وتنتهى بصفحة ١٠٢ من المذكرات ، كما أغفل الكراسة الثامنة ، هذا الى جانب وجود ٣ كراسات لم يطلع عليهم » .

أما عبد الرحمن الرافعى فقد ثار عندما قيل « أن مصطفى كامل كان يضارب في البورصة » كما جاء في المذكرات ، واعتبرها افتراءات . وفي عام ١٩٦٩ - ١٩٧٠ بدأت مجلة الكاتب بنشر مذكرات محمد فريد ، مع بعض المقدمات للفصول والتحقيق العلمى الى درجة ما ، ولكنها لم تستكمل باقى المذكرات .

وفي عام ١٩٧٥ ، ظهر كتاب « مذكرات محمد فريد » القسم الأول ويتناول تاريخ مصر من عام ١٨٩١ حتى عام ١٨٩٧ ، حققه وقدم له الدكتور رؤوف عباس . ( وهى عبارة عن ٥ كراسات من ١٦ كراسة ) . ويرى وجود كراسات مفقودة تتناول الفترة من ١٨٩٧ حتى عام ١٩٠٤ ، ويتساءل أين هذه الكراسات ؟

وقد مرت مذكرات عبد الرحمن فهمي - السكرتير العام للجنة المركزية للوفد عام ١٩١٩ - بنفس الظروف التي مرت بها المذكرات السياسية ، حول نقلها والمحافظة عليها بعيداً عن الخصوم السياسيين ، خاصة أنه كان لديه الخطابات السرية التي كانت بينه وبين سعد زغلول ، وقد نشر عبد الرحمن فهمي عدة مقالات من مذكراته في «الدنيا المصورة» ، وكل شيء والدنيا ، في عامي ١٩٣١ ، ١٩٣٥ ، وظل ابنه مراد فهمي - وزير الأشغال سابقاً - محتفظاً بمذكرات والده وخطاباته وأوراقه ، منذ وفاته عام ١٩٤٦ ، حتى عام ١٩٦٣ . وانتهى نشر منها الدكتور محمد أنيس : دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩ - المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمي - وذلك في عام ١٩٦٣ ، وأودعت المذكرات والأوراق الخاصة والمراسلات في دار الوثائق .

ويوجد أيضاً في دار الوثائق التاريخية ، الى جانب مذكرات سعد زغلول ، محمد فريد ، عبد الرحمن فهمي - مذكرات مصطفى كامل ومجموعة رسائله ومذكرات محمد علي علوبة .

فقد نشر العديد من المذكرات السياسية ، ابتداءً من مذكرات أحمد عرابي ، حتى ما ينشر - هذه الأيام - في الصحف والمجلات - وان كان ما نشر حتى الآن في معظمه لا تستطيع أن نطلق عليه « مذكرات » بالمعنى التاريخي ، فهي أقرب للمذكرات منها للمذكرات ، فالكاتب يتذكر بعد فترة ما أحداث شارك فيها أو عاصرها وطبقها للظروف التي تنشأ فيها هذه المذكرات ، ومن المذكرات المنشورة والتي تلقى أضواء وتكشف بعض الأسرار السياسية في تاريخنا المعاصر .

مذكراتي في نصف قرن - لأحمد شفيق ، مذكراتي في السياسة المصرية لمحمد حسين هيكل ، ايماني - لأحمد حسين ، مذكرات الدعوة والداعية - احسن البنا - قصة كفاح - لعبد الفتاح عنایت ، الكفاح السري ضد الانجليز - اوسيم خالد ، ثم مذكرات اسماعيل صدقي ، عبد الرحمن الرافعي ، أحمد لطفى السيد - عبد العزيز فهمي ، محمد كامل سليم . وقد نشر معظم هذه المذكرات في الصحف والمجلات ، ثم جمعت في كتب ، وربما لا تكون كاملة ، بحكم ظروف نشر المجلات والصحف اليومية ، وبحكم الظروف التي نشرت فيها . ولكنها ظهرت على أى حال ، ومن الممكن استكمال ما ينقصها اذا وجد .

أما الذى يحتاج الاهتمام والبحث والتنقيب فهى المذكرات السياسية الموجودة فعلا ، ولكن لا يستطيع أن يصل اليها أحد ، وهنا يأتى دور وزارة الثقافة ، ودار الوثائق ، تمهيدا لدراستها وتحقيقها ونشرها ونشرها بشكل علمي . وتأتى على رأس هذه المذكرات ، مذكرات مصطفى النحاس ، ويقال - في هذه الأيام - كما قيل منذ خمسين عاما من مذكرات سعد ، لا توجد مذكرات ، لم يكتب شيئا ، لقد مرض عندما بدأ ، ولكن ليس هذا كل شيء . فهناك قصص تروى على هذه المذكرات ، وكيف احتفظ بها ، وانها لدى أحمد أقطاب حزب الوفد ، بل أكثر من هذا أن أحمد (المشتغل) يدراسة التاريخ قد اطلع عليها .

واكن قبل الاسترسال ، علينا أن نحسم الأمر - على ضوء المعلومات - هل فعلا توجد مذكرات سياسية لمصطفى النحاس أم لا ؟

فمن تقديرى الخاص انه توجد مذكرات النحاس ، فليس من المعقول أن يظل النحاس محتفظاً بمذكرات سعد زغلول ، ويودعها بنك مصر ، للمحافظة عليها ، وذلك منذ عام ١٩٢٧ حتى عام ١٩٦٣ ، دون أن تثير في نفسه كتابه مذكرات ، وتدفعه دفعا .

ويؤكد بعض الذين كانوا مقربين من النحاس أنه كان يكتب مذكراته وأنه كان يملئها على بعض أشخاص ، كما كان يفعل سعد زغلول .

واكد هذا الموقف ما جاء في صحيفة الأخبار — بتاريخ أول سبتمبر عام ١٩٧٥ — في صفحتها السادسة تحت عنوان « للحقيقة والتاريخ » بامضاء محمد كامل البنا ، والذي نفى فيها تقبيل النحاس ليد الملك فاروق — يناير ١٩٥٥ — لكن ما يهمنا تأكيده لوجود مذكرات للنحاس .

فقد قرر البنا : انه كان مرافقا للنحاس — في تلك الفترة وما قبلها — ( أى عام ١٩٥٠ ) .

ثم يقول : في يوم ١٠ يناير سنة ١٩٥٠. دعى النحاس لمقابلة الملك وعرض أسماء الوزراء عليه ، وقد طلبنى لأكون على مقربة منه ، فلم يجدننى ، وفى الصباح لم أكد أقابله حتى بادرنى بشدة أين كنت بالأمس ، ولما أهديت له عذرى ، قال انك سببت لى أرقا ليلة أمس ، لانى حرصت على تدوين ما دار بينى وبين الملك فى هذه المقابلة التاريخية ، وبعد أن ركبته معه السيارة قاصدين أداء فريضة الجمعة فى مسجد مولانا

الحسين أملى على بالحرف الواحد ما دار بينه وبين الملك من حديث في هذه المقابلة .

ثم يقول البنا في نهاية تعليقه : نقلت هذه الوقائع باختصار من مذكراتي التي دونتها في حينها ، ومما أملاه على مصطفى النحاس يوم ١١/٩/١٩٥٠ خاصة بهذه الواقعة . وعلى ضوء هذا يبقى السؤال : أين مذكرات مصطفى النحاس ؟ هل لدى محمد كامل البنا وقد سمعت أنه يعمل الآن - في ليبيا - أم هي لدى أحد قطاب الوفد القدامى ؟

هنا يقول جلال السيد :

كما توجد مذكرات 'فتح الله بركات إبراهيم الهلباوى ، حسنى الشنتناوى ، وسيم خالد ، فؤاد سراج الدين، وكلها لم تنشر. وبالطبع هذه أمثلة مما تأكدنا أنها موجودة بالفعل . ولكن من المحتمل أن شخصيات سياسية أخرى لديها مذكراتها أو مذكرات غيرها . وأوراق خاصة ورسائل ، قد تفيد في اللقاء الضوء على تاريخنا .

والقضية تحتاج الى كثير من الاصرار على أهميتها ، وتقدير العمل، والحوار الدائم مع أصحاب المذكرات أو من لديهم مذكرات أو من لديهم مذكرات آخرين ، بما يريح ويطمئن ، من أجل هدف عام ، ومصلحة عامة، من أجل مصر وتاريخها . . أفلاشخاص يذهبون ، ولكن مصر باقية ، وتاريخها خالد ومستمر عبر آلاف السنين ، وهذه اضافات ، قد تلقى

ضوءاً على الأحداث، وتكتشف بعض الأسرار عما هو مجهول في تاريخنا.

وعلىنا ألا نتعامل مع المذكرات السياسية بحساسية ، نتصيد منها أجزاء ، أو فقرات ، لنعطى أحكاماً ، فالزعم ، أو السياسي ، بقصد يخطئ ويصيب ، وله عالمه الخاص ، واهتماماته الخاصة التي قد لا تعجب الجماهير التي ارتبطت به ، ولكن الحياة الإنسانية أرحب من أحكام النقاد ، والتاريخ له حكمه وموازنه. وبقدر ما أعطى السياسي لوطنه بقدر ما يعطيه التاريخ لأصرف النظر عن أى سلوك ، أو نقيصة يراها البعض ، دون تجاهلها أيضاً .

لذلك فالمذكرات السياسية ، ليست قضية شخصية ، أو قضية أسرة ، أو تركة ورثوها ضمن ما تركه والمحافظة عليها ، قضية قومية . لأنها جزء من تاريخنا القومي .

وبالطبع نحن نعرف مدى حرص من لديه هذه المذكرات ، وربما يوجد فيها ما يخشى منه ، وربما يرى البعض أنه من الممكن أن يحقق بها عملاً سياسياً ، وربما تتم اتفاقات لنشرها في بعض الصحف - فيما بعد - فتحقق رواجاً وعالداً مادياً ، وربما يخشى البعض ، أن يتصيد البعض بعض صفحاتها لئلا تشتهر بحزب الوفد ؟

أسئلة عديدة ، وتساؤلات أكثر ولكن ونحن نناقش قضية عامة تفيد تاريخنا القومي ، علينا أن نسقط جميع الاعتبارات ، مع وضع بعض الضوابط .

خمسًا عندما نطالب من لديه مذكرات سياسية أن يودعها في دار الوثائق القومية، يجب أن نراعى أن تكافؤ وتقييم المذكرات ماديًا، وأهم من ذلك احترام رغبة كاتب المذكرات أو من لديه المذكرات ، في تحديد الزمن في الاطلاع عليها ، أو نشرها ، إذا رأى ضرورة سياسية أو شخصية في ذلك ، فالمهم المحافظة على المذكرات والأوراق الخاصة في دار الوثائق ، بدلا من أن تتبادلها الأيدي ويرى البعض اسقاط أشياء ، أو حذفها ، أو تضييع مع الزمن . وهذا ينسحب على مذكرات مكرم عبيد ، والتي يتهامس حولها البعض مثل مذكرات النحاس .

## — ٦ —

ثم ان الأحداث التي ساهمت في تحويل مجرى التاريخ من المستحيل أن تفسر أو تبرر اذا ما رويت منفصلة عن أدق الأسرار الشخصية للساسة الذين أعطوا الضوء الأخضر لهذه الأحداث . وعلى سبيل المثال فان من الاحتقار للتاريخ أن تروى قصة تورط ايدن في سلسلة القرارات المتخبطة التي أدت الى حملة السويس ، بدون دراسة لنفسية ايدن في تلك الفترة التاريخية كزوج لـ « كلاريسا » الشابة المتوهجة التي كان عليه أن



يعوضها عن تراخيه كرجل بفحولاته كسياسى . قصة حملة السويس  
اذن ، بكل ماأدت اليه من ردود افعال فى تاريخ العالم وسياسته ،  
لا يمكن روايتها بعيدا عن مخدع ايدن . فالرجال وليس العقول الالكترونية  
يصنعون القرارات .

وبعد ، فلست اعرف اذا ما كان القارىء قد اقتنع بوجهة نظرى  
تلك أم لم يقتنع . فاذا كان لم يقتنع بعد ، فاننى أستأذنه فى رواية  
قصة قد تضع حدا لكل نقاش . وقد تقنع القارىء ، كما قد تقنع فتحي  
وضوان شخصيا .

بعد أقل من ساعة واحدة من اقالة واعتقال اللواء اركان حرب  
محمد نجيب أول رئيس لجمهورية مصر . . . ذهب الرئيس جمال عبد الناصر  
شخصيا الى مبنى الاذاعة القديم بشارع الشريفيين ، وكان بصحبته الصاغ  
صلاح سالم ، وطلبا أن يتسلما فورا كل الشرائط التى تتضمن خطب  
كل قادة ثورة ٢٣ يوليو . . . ليس محمد نجيب فقط . . وانما كل أعضاء  
مجلس قيادة الثورة ، ثم كل الشرائط التى تتضمن خطب الوزراء فى  
الفترة ما بين ٢٦ يوليو ١٩٥٢ واکتوبر ١٩٥٤ . . .

وفعلا تسلم الاثنان ، رحمهما الله ، كل الشرائط التى طلباها . . .  
وصحبهما الاذاعى العظيم حسنى الحديدى ، رحمه الله ، الى مجلس قيادة  
الثورة ، حيث عكف تحت رقابة شديدة على فرز تلك الشرائط . .  
وتجنب ما يحتوى على خطب الرئيس الراحل وزملائه فى تمجيد اللواء

محمد نجيب ، والاعتراف .. لا بأبوتة الروحية للثورة فحسب .. وإنما بقيادته لها أيضا .. الى آخر نصوص الخطب الممتلئة بالمشاعر الجياشة التي كانت توشك أن ترتقى الى مرتبة الشعر المنظوم ، في التغزل في اللواء محمد نجيب ..

بعبارة أخرى .. فإنه كما محى من أرشيف الاذاعة كل اذاعات الملك السابق فاروق ، ومعظم خطب وتصريحات زعماء ما قبل ٢٣ يوليو وعلى رأسهم الزعيم مصطفى النحاس .. دارت دائرة المحو على كل ما قاله واذاعه محمد نجيب .. وعلى كل ما قيل واذيع في محمد نجيب وعن محمد نجيب ..

قرأت هذه القصة .. على أنها هامش صغير في ذيل فصل من أمتع ما قرأت ، من كتاب لم ينشر بعد ، عن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، اطلعني مؤلفه عليه ، بعد أن انتزع مني قسما بأغلف الإيمان ويشرفي الشخصي وبشرف المهنة إلا انقل عنه أو الخص منه أو أشير الى اسم مؤلفه قبل أن يخرج الكتاب المذكور الى النور .. وهذا المؤلف عالم مصري شاب من المع علماء التحليل النفسي المتخصصين الذين كرسوا حياتهم لهذا العلم . ولن أدهش أو أفاجا إذا علمت يوما ان معاهد التحليل النفسي وجامعاته في باريس أو كندا أو الولايات المتحدة قد اجتذبت به أو أغرتة أو لاختطفته لتضمه الى قائمة تضم الآن سبعة من أنبغ علماء التحليل النفسي المصريين ، الذين يعتبر أحدهم ، وهو في باريس ، واحدا

من قمتين اثنتين في ذلك العلم في أوروبا كلها .. ويحظى آخر منهم بمكانة علمية فائقة في كندا .. وتنظر جامعات الولايات المتحدة الى اثنين أو ثلاثة منهم على أنهم من خيرة الأساتذة في ذلك العالم في طول أمريكا وعرضها .

والكتاب المذكور عبارة عن قراءة نفسية علمية تحليلية لخطب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وتصريحاته ، لمحاولة وضع تقرير طبي نفسي عن شخصية ذلك الرجل الذي مهما تفاوتت فيه الآراء وتناقضت وانقضت فلا سبيل إلى انكار أنه ترك بصماته على حياة عصر كامل ، وأنه إذا كان أسلوب حكمه قد اقترن في الداخل بشيء من العنف والقهر والارهاب .. فإن أفريقيا وآسيا ومعظم المعذبين في الأرض في العالم يدينون لمصر ولصدى الثورة التي اقترنت باسمه بكثير من العرفان بل وبالميلاد نفسه في بعض الأحيان .. ولهذا ليس من المستغرب أن نجد أن كثيرا من القوى الوطنية في العالم العربي كانت تجد نفسها في سلة واحدة مع كثير من القوى المضادة للتقدم .. والجميع متضامنون في تأييد الرئيس الراحل على طريقة : « الله يسعده ويبعده » .

أي الله يسعده بشرط أن يظل بعيدا عنا ..

وقد انتهى العالم المصري ، مؤلف الكتاب المذكور ، الذي أصر على الاأشير اليه ، الى نتيجة علمية بشأن سؤال هام هو : هل كان الرئيس الراحل ، نفسيا ، مصنوبا بالبارنويا - وهي إحدى مظاهر رئيسية أربعة من مظاهر انقسام الشخصية - أم انه ، رحمه الله ، كان يتمتع باستقرار نفسي وشخصية متوازنة ومتكاملة نفسيا ؟ ..

وطبيعى أن العالم الشاب المذكور لم يأذن لي بأن أنشر الرأي الذي انتهى اليه .

و « البارانونيا » و « انقسام الشخصية » ليسا شتيمة أو سبائا كما قد يتبادر الى ذهن الدبة المتأهبة دائما لقتل صاحبها . . انهما ظاهرتان نفسيتان يعتبرهما العامة امراضا . . تماما كما يعتبرون العقد النفسية أو الشخصية سبة وما هي بذلك . فمعظم البشر مصابون بعقدة أو بأكثر . بل ان من الثابت علما أنه لا يكاد يوجد في الدنيا انسان خال من العقد أو المركبات ، الا المتخلفين عقليا . واذا وجد انسان سوى مبرأ ، تماما من هذه الظواهر - وهذا أمر مشكوك فيه - فغالبا الظن انه يكون أكثر من غيره عرضة للانهييار النفسى لدى أول صدمة . ومن ناحية أخرى فان من الحقائق الراسخة علميا أن العباقرة والزرعماء والفنانين لا بد أن يكونوا على قدر كبير من فقدان الاستقرار النفسى والاتزان العاطفى . بل ان التعريف النفسى العلمى للفنان الشامخ ينص على انه يتمتع بموهبة عظيمة زائد شخصية هستيرية أو مميزة داخليا أو غير متوازنة . . ( ومن هنا استنتج العامة سلفا ذلك القائلون العلمى حين قالوا فى أمثالهم قبل اكتشاف تلك القاعدة : « أن الجنون فنون » ) .

هنا يقامر القلم بالتكهن بأن ما ينطبق على تعريف الفنان ينطبق على تعريف الزعيم . . فكلاهما ثائر يقامر فى سبيل تغيير فى المجتمع أو الذوق العام يسبق تطور المجتمع أو الذوق العام . . أو يفرض نفسه على تطور المجتمع والذوق العام . ومن هنا افانه حين ينجح انشائر - سواء على مستوى الفن أو السياسة - فانه يصبح زعيما أو فنانا . . اما اذا فشل فان مصيره يكون السجن اذا كان سياسيا ، ومستشفى الأمراض العقلية أو الانهييار النفسى اذا كان فنانا . . فانفسان

أو إلزعليهم - آذن ، هو مجنون نجح في أن يجعل من جنونه قاعدة بين الناس !

هنا يستأذن القلم في أن يقول انه سمح لنفسه بأن يروي هذه القصة لكي يعزز وجهة النظر التي تقول : أن تاريخ الأمة يجب ألا يروي بمعزل عن التاريخ الشخصي والنفسي لصانعي ذلك التاريخ . أما أن يصطنع الراوي سستارا من التحرج أو التعفف لكي يحجب جزءا من الحقيقة ، فهذه ما يندر بضيايع الحقيقة كلها . ولا بد أن هناك مثلا ما في اللغة ما يقول ما معناه : أن نصف الحقيقة أسوأ من الكذب الصراح ..

وهذا هو السبب في أننا نعتقد أن لجنة تاريخ مصر ستظل في رايها ناقصة التكوين ما لم يضم الى عضويتها عضو أو أكثر من علماء النفس .. تكون مهمتهم بحث وتحليل نفسيات صانعي القرارات الهامة ، ودوافعهم التغريزية والنفسية . ثم أن مهمة هذه اللجنة القرارات محاصرة بذلك القانون العجيب الذي يمنع الكتابة في التاريخ أو حتى نشر الوثائق والمذكرات الرسمية .. وكان المفروض أن يباح بل يشجع كل من رأى حادثة أو صنعها أن يرويها حتى لو ضخم فيها دوره أو انحرف بالرواية عن مسارها المستقيم . فالمفروض أن تكون هذه اللجنة حكما وقاضيا بين شهادات الناس وليست قيدا عليهم . ثم أن التواريخ لا يقطن ولا يكتب به نص رسمي ثم يقال للأمة : هذا هو التاريخ الذي أقرته الدولة فلا تقرأوا سواه .

ثم يخطر بالبال أن الرئيس أنور السادات قد أدلى بدعوة في شهر رواية المذكرات ( وبالفعل نشرت ) الأهرام بعض فصول من تلك

المذكرات ( ولو كنت المستشار الصحفي للرئيس السادات في ذلك لا اقترحت عليه الا يفعل ) .. وهو بقدر ما يتحجه علمنا - أول رئيس دولة ينشر مذكراته في فترة ولايته .. ونحن نستغل هنا اصرار السادات على الا يضار انسان بسبب رأى يبدية فنقول - بدون أدنى احساس بالمجازفة - أن الرئيس بنشره مذكراته وهو في قمة السلطة لا بد يعرف أن المذكرات قابلة للمناقشة والتنفيذ . وعلى سبيل المثال فان ما رواه الرئيس في مذكراته عن اللواء محمد نجيب يختلف عما سبق أن رواه في سلسلة مقالاته في جريدة الجمهورية في عام ١٩٥٤ . فلماذا لم يكرم احد من الكتاب رجولة السادات واصراره على تحرير الكلمة من الرقابة والبتنر .. لماذا لم يكرم أحد من أصحاب هذه الأقلام هذه المعاني في السادات فينتقد هذا الاختلاف بين رؤيا الرئيس منذ ٢٤ سنة وبين رؤياه الآن .. ثم ان الرئيس روى أحداثا عن أشخاص أحياء ، من بينهم - مثلا - الفريق محمد صادق - فلماذا لم يحاول الفريق صادق ان يرد؟ اني اكتب هذه الكلمات وأنا واثق أن نشرها في عهد السادات أعظم تكريم له . وأنا أعتبر ان القلم الذي يوجه النقد الآن للسادات في مواجهته وهو حاكم ، أشرف ألف مرة وأخلص ألف مرة للسادات ، من القلم الذي سينبرى غداً ، بعد عمر طويل ، للغمز واللمز ، وربما الطعن ، في السادات بعد أن يذهب .. كما فعلت بعض الأقلام التي تغدت على مائدة عبد الناصر ، ثم تعشت بجثته بعد أن مات ..

على أية حال .. اذا جاء اليوم الذي يزعم فيه كاتب او سياسى انه خاف مما قد يحدث له اذا حاول أن يناقش مذكرات السادات - وكما قلنا فقد أصبحت المذكرات المذكورة قابلة للنقاش بل والتنفيذ على

الرغم من مقام صاحبها الرفيع — فأغلب انظن أن السادات أو من يجد في نفسه الرغبة للدفاع عنه سيقول لصاحب مثل هذا الزعم : هل حاولت أن ترد ؟

والواقع أن الخوف من الرد والتفنيد والمراجعة والتكذيب وما يتبع من ذلك من رذاذ المعارك ورصاصها الطائش . كلها عوامل تجعل معظم السياسيين يؤثر أن يغلط فمه ايثارا للسلامة على أساس سد الباب التي تأتي منه الريح . . وقصة فؤاد سراج الدين باشا مع مجلة روز اليوسف مثل صارخ لتردد السياسي خوفا من تصارع الآراء في خريف العمر . فقد حدث أن أعدت المجلة المذكورة للنشر حلقات من ذكريات الباشا ، وبعد أن راجعها وأقرها ودارت عجالات المطبعة طبع نسخ المجلة أبرق الباشا إليها طالبا إرجاء النشر . وكان من الممكن أن تضرب المجلة عرض الحائط بطلب السياسي القديم على أساس قيام القوة القاهرة التي تحول دون الامتثال لرغبة أبداها بالعدول عن تعاقب أدبي قبله . ولكن المجلة من باب الكبرياء الصحفي ، امتثلت لرغبة الباشا وان حار المسئولون عن تحريرها في معرفة سبب عدوانه المفاجيء بعاً موافقته الحماسية . . ولعلنا هنا نميظ اللثام عن السبب الحقيقي ، وهو أن مجموعة من شباب الوفد التقدمي — الذين لم يعودوا شبابا بطبيعة الحال — عاتبوا الباشا بمجرد نشر الإعلان عن نشر ذكرياته في مجلة « روز اليوسف » ، لأنه اختار هذه المجلة بالذات لينشر فيها وهي التي انفقت زهرة شبابها في اضرام نار عدااء الرأي العام ضد الوفد . وكان من رأى فؤاد باشا أن يزوغ نجمه من جديد بين سطور وصفحات « روز اليوسف » فيه ترضية تاريخية لا مثيل لها من المجلة للحزب

العظيم العتيد .. على أن الذي حسم النقاش أن بعض أصفائه وجهوا نظره الى أن نشر هذه الذكريات سيلهب من جديد ضراما كان قد خبا تحت الرماد ، وسيشير من جديد حساسيات كانت قد طواها الزمن ، وقد يضطر بعض ذوى الآراء المعارضة الى انرد وفي هذا ما فيه من « شرشة » لصفحات قديمة يستحسن أن تظل على قداستها أو عراقتها .. واقتنع الباشا وأرسل برقيته أياها .. ثم آثرني بحقيقة واحدة من ذكرياته عاد فقتبرا منها . سامحه الله وسامحنا !

على أن قصتنا مع فؤاد باشا سراج الدين - وأنتهز هذه الفرصة لأؤكد من جديد تقديري لتاريخه ولسجايه ، وتعاطفى مع مماناته الشخصية في أعقاب قيام ثورة ٢٣ يوليو .. أقول أن هذه القصة أرحم من قصتنا مع شخص آخر يقدم نفسه على انه وزير مع أنه ليس ليس وزيرا ولا حاجة . وإنما هو رجل انتفع بأسهال الألقاب الذى جعل من لقب وزير درجة مالية تمنح بسخاء ..

هذا الوزير ، الذى ليس بوزير ولا حاجة ، قربته ظروف معينة من الرئيس الراحل عبد الناصر هى أن والد الرئيس الراحل كان موظف بريد متواضع بانقرب من عزبة والد صاحبنا الذى نتكلم عنه . فكان الولد يتحف موظف البريد فى المواسم والأعياد بشيء مما جباه الله من رزقه .. فلما تربع عبد الناصر على قمة السلطة اختار طلاله - من دون الناس جميعا - ابن الإقطاعى القديم الذى كان نصف ماله فى المنطقة أيام طفولة عبد الناصر . وفى رأينا أن إشار عبد الناصر لهذا المخلوق ليس له إلا تبرير واحد : هو الافتراض الطبقي .. فما من شك فى أن الرئيس الراحل كان يمارس متعة ظاهرة وباطنة فى أن يرى الى جانبه



في منتصف المسافة بين الشماشجي والسكرتير ، ابن الاقطاعي القديم  
الذي كان ظل الله على الأرض .

ولكن - وبصرف النظر عن القيمة الفعلية لشخصية هذا الوزير  
الذي هو لا وزير ولا حاجة - فإنه ما من شك في أن صلته بالشخصية  
بالرئيس الراحل وضعت يده على كثير من الاسرار والأخبار - ولهذا  
لم أبال بسخرية الساخرين وتفرغت كلية لصياغة مذكراته وكانت مهمة  
شاقة حقاً !

قال رجل أصلاً لا يكاد يفيق بفعل مالا أدريه - ثم ان الطريق  
اليه كان عبارة عن سفر يومي مقدارها مائتان وخمسون كيلو مترا  
ذهابا وايابا على أرض نصفها ممهد ونصفها في مثل وعورة نيته .. وكان  
استخراج الحقائق من مثل هذه الذاكرة المكدودة واللسان المشوش  
والعقلية المهوشة أمرا يكاد يكون مغامرة . ولكنني اجتزتها والحمد لله ..  
واعتبرت أن كل ما مر بنا في هذا السبيل نواذر أو فكاهاة . من ذلك أن  
الظروف اضطررتنا أن نبني عنده - المصور الفنان حسين الرملي وأنا -  
إفكانت ليلة من أتمس ما مر بي شخصيا بسبب البعوض الذي هجم  
علينا بجحافله هجوما مفزعا طأش مني اللب بفعله وقررت عند الفجر  
أن أبارح المنطقة على الرغم من الذي الجأنا أصلا الى المبيت عنده هو  
أن عطبا مفاجئا ألم بدينامو سيارتي فأنصيح ركوب الليل الى القاهرة  
مغامرة غير مأمونة .. وليتنا أقدمنا عليها فذلك كان أيسر من العذاب الذي  
قاسيناه .

والقصة لم تنته بعد . فعندما تعمدا أن ندق بابه ونطير النوم من  
هينيه بحجة الاستئذان في الرحيل .. اكتشفنا أنه ملأ غرفته بمبيد  
للبعوض ذى رائحة عطرية ، ونام ملء جفنيه وتركنا نقاسى الأمرين ..

ثلاثة وستون يوما في ظل هذا العذاب امتدت رحلتنا - جهاز  
التسجيل والقلم والأوراق وأنا - مع هذا الوزير الذى لا هو وزير  
ولا حاجة ، ولكنه يملك ناصية كنز حقيقى من الأخبار والأسرار ..  
وما أن انتهت مهمتى حتى استكتبته اقاربا بأنه راجع ما صغته على  
لسانه كلمة كلمة ، ثم ذهبت أعد كلامه للنشر فى مجلة لها تاريخ ..  
مجلة عزيزة على قلبى ..

### فماذا حدث ؟

وقع ما كان لا بد أن يقع . ومن جديد طعن قابيل شقيقه . وتمرد  
فرائكنشتاين على صانعه . وكافأ الطاغوت المهندس الذى بنى له القصر  
بأنلقى به من شاهق . وتفرعن من ظللت أظلمه الرماية كل يوم .. فلما  
اشتد ساعده رمائى .

ذلك أنه يحكى انه كانت هناك مجلة تبحث عن قراء .. وكان ثمة  
صحفى يبحث عن نافذة يطل منها على رأى العام . والتقى الاثنان :  
الأعمى والمقعّد . ففقاد أحدهما أقدام الآخر الى الطريق الصحيح ..  
وحمل الآخر الأول عبر ذلك الطريق . جدد الصحفى شباب المجلة وصعد  
بها من سفح الـ ٢٥٤٢٨ نسخة الى قمة المائة ألف كل أسبوع ..

وأكدت للمجلة فحولة فكر الصحفي وقدرته على قيادة تيار يتبعه فيه الآخرون . وفي أول الأمر .. كان الاثنان - الصحفي والمجلة - كانا من الحكمة بحيث لم يبددا لحظة واحدة ليناقشا سؤالا سخيفا هو : من إفيهما صاحب الفضل على الآخر ؟ .. ذلك أنه اذا كان الصحفي قد أدخل المجلة في عشرات الآلاف من البيوت التي كانت تتجهم لها ، فانه في نفس الوقت دخل بها ومعها . واذا كان قد زرع لها بيده وحده جناحين حلفت بهما في ذروة الصحافة الأسبوعية في الشرق الأوسط كله ، فانه في نفس الوقت تعلق بالجناحين وأفلت بأعجوبة من حصار فرضه عليه الجهل والفوضى وتحويل القلم من رسالة الى وظيفة !

وهكذا نشأت بين الاثنين - الصحفي والمجلة - علاقة حب صوفى حاول كل منهما من خلالها أن يعطى ما يستطيع للآخر . ولأسباب كثيرة فان ما استطلعت المجلة أن تعطيه للصحفي كان أقل بكثير مما تفانى الصحفي في منحه للمجلة ..

والحسن الحظ ، أو لسوء الحظ ، فان الصحفي كان يعرف منذ بداية البداية أن قوانين الطبيعة الانسانية وقوانين لعبة السياسة ستتضافر على انهاء شهر العسل الذي عاشه الصحفي مع المهنة ومع المجلة معا ..

وحتى لا يبدو الأمر لغزا أو فزورة ، فمن الواضح أن الصحفي هو كاتب هذه السطور .. أما المجلة فهي تلك المجلة التي عاد اليها ، يفضل الصحفي وحده ، مجدها الذي كان قد غادرها يوم تركها احسان عبد القدوس ..

ولأن المشكلة بين الصحفي من جهة ، وبين المجلة والوزير من جهة ، معروضة الآن أمام القضاء ، فإن القلم يتأدب عن الخوض في تفاصيلها . وإن كان يكتفى بأن يشير الى أن هذه القضية ستضع كثيرا من النقاط على الحروف في شأن قواعد المذكرات . . فهل يجوز للسياسي أن يتعاقد على نشر حديث له ثم يفسخ تعاqude ؟ وهل يجوز لرئيس تحرير أن يطوع مادة صحفية لعقيدته السياسية الخاصة ؟ وهل يجوز لرئيس تحرير أن يستغل خلافا بين زميل له وبين مصدر سياسي ليطلق مجهود الزميل ويوسع الهوة بينه وبين المصدر ، وهل يجوز لكاتب أن ينسب لنفسه مجهود زميل له حالت الظروف بينه وبين ظهور اسمه على ما يكتب ؟ وهل يجوز لصحفي أن يقذف في حق زميله في مجلة واسعة الانتشار كان هذا الزميل بالذات - ومن دون عباد الله جميعا - سبب انتشارها وانتقالها من خانة الـ ٢٥٤٢٨ نسخة الى خانة المائة ألف ؟

هذه كلها أسئلة سيتولى الاجابة عليها القضاء وميثاق الشرف الصحفي وضمير حملة الأقلام المصرية .

ومن حسن الحظ ان قصة القلم مع فتحى رضوان مرت بلا مشاكل ، وكان من الضروري أن تمر بلا مشاكل ، لأسباب تتصل بطبيعة فتحى رضوان المستقيمة ، وخلقه الواضح ، واحترامه لكل صاحب قلم ، لا عجب فهو نفسه صاحب قلم من أكبر الأعلام ، وأغزرها إنتاجا وأشدّها فاعلية وأعمقها تعبيرا عن الشخصيات والأحداث .

وبموافقته نشر هنا جانباً من ذكرياته عن أسرار « حكومة يوليو » .  
 وفيها يتحدث عن أسرار كواليس الثورة نائراً ثم حاكمة . ويكشف  
 الستار عن حقائق لم يسبق نشرها ، ويحلل كثيراً من الأحداث ، مكتفياً  
 بالجانب الذي رآه بعينه أو ساهم بصناعته ، منها .. وقد سمحنا  
 لقلمنا - بعلمه وموافقته حيناً ... وبعلمه وتحفظه حيناً آخر - أن  
 نضيف في بعض الأحيان على مسئوليتنا ما يكفي لالقاء الضوء  
 على الجانب المبتور من الرواية .. وهذه الإضافات لا تلزم  
 الأستاذ فتحي رضوان بطبيعة الحال ، وإن كانت تشهد على  
 سعة صدره ، ورقة طبعه ، وتراحم الفنان والانسان في صدره ..  
 ولا أجد لتقديم ذكريات فتحي رضوان خيراً من تقديم صلاح حافظ  
 لهذه الذكريات .. اذ كتب يقول :

لا يتمتع الا عدد قليل جداً بمثل الكنز الذي يتمتع به فتحي  
 رضوان من أسرار السياسة المصرية المعاصرة : وبالذات في السنوات  
 الأولى من حكم ثورة يوليو !

فهذا الرجل الذي كان زعيماً « للحزب الوطني » عندما نشبت  
 الثورة ، كان أول من أنشأ لها وزارة الارشاد « الاعلام » . وتولاها  
 بنفسه ست سنوات . وعاش صراع الكواليس طوال هذه السنوات  
 يراقب ، ويسجل ويتأمل ، ويقول رأيه ، ويسمع آراء الآخرين .. إلى  
 أن شبع من لعبة الحكم ، وتذرع بالمرض لاقتناع جمال عبد الناصر باعفائه .

وبمنطق الحامي ، وخبرة المناضل ، وفلسفة الكاتب ، سجل  
فنحي رضوان كثيرا مما مر به في مذكرات لم يطلع عليها أحد بعد .  
وما يزال يرفض أن يسجل الباقي ، لأن فيه أسراراً تمس آخرين .  
وتسوء اليهم !

**خياء الدين بيبرس**

١٩٧٦

# رجل له تاريخ

● مقدمة بقلم : حافظ محمود ●

ذهبت لالقي محاضرة في مدرسة بني سويف الثانوية ، وما أن  
إفترغت من القائها حتى سمعت اسم « الطالب » فتحى رضوان يتردد  
في تعليقات ناظر المدرسة والاساتذة ومندوب الطلبة .. كانوا كلهم  
يقولون في تعليقاتهم على محاضرتي :

« لقد ذكرتنا بفتحى رضوان ابن مدرسة بني سويف الثانوية الذى  
التحق بكلية الحقوق !

وذهبت لالتقى بزعيم سوريا قبل الحرب العالمية الثانية ، وهو  
الدكتور عبد الرحمن شهيندر ، فما أن قدمنى اليه مرافقى حتى قال لى :

« اننى اعرفك من قبل » فلما سألتته من أين له هذه المعرفة وأنا لم ألتق به من قبل ، قال : لقد التقيت بصديقك فتحي رضوان الطالب بكلية الحقوق وحدثني عنك في أكثر من مناسبة .

وعقب التخرج أنشأنا بالاشتراك مع الأخ الأستاذ أحمد حسين جريدة « الصرخة » . كنت أنا رئيس التحرير وكان أخى أحمد فى الوضع الذى يسميه الصحفيون مدير سياسة الجريدة ، ومع هذا فقد كان أكثرنا اقبالا على أعمال التحرير فى هذه الجريدة هو فتحي رضوان . لقد كان أحمد حسين حين يكتب يثير من حوله الضجيج ، ومع هذا فقد كان أغلب حديث السياسة عما نكتبه نحن الثلاثة حديثهم عن مقالات فتحي رضوان . .

لقد خيل الى ذات مرة أن أخى فتحي قد ولد ناضجا ، والا فماذا تقول فى طالب بالمدرسة الثانوية يلقى المحاضرات التى لا يلقى الأساتذة مثلها . . وماذا تقول فى الطالب بكلية الحقوق الذى تعرفه مجالس الزعماء العرب . . وماذا تقول فى خريج جديد يلفت أنظار كبار الرجال بما يكتب ؟

ولم يكن أخى فتحي يلفت الأنظار اليه بما يكتبه فقط ، بل بما يعمل به أيضا . . انه وهو طالب فى كلية الحقوق قد أنشأ « رابطة الطلبة الشرقيين » وكانت كلمة « الشرقيين » حينما كنا فتيانا تعنى « العرب » . ولكي يدعم فتحي مشروعه طاف بالبلاد العربية الشقيقة داعيا لفكرته حاشدا لها انطلبة من أبناء هذه البلاد ، وكان فى هذه الجولة يلتقى



بزعماء التحرير في كل بلد عربي يزوره حتى توطدت الصلات بينه وبين عدد منهم .

كان في هذه الجولة يتصرف كما لو كان مرتكزا على قوى مادية وأدبية كبيرة ، مع أنني أعلم أنه لم يكن مرتكزا إلا على جهده وعلى ماله ، مال الطائب متوسط الحال يحرم نفسه مباهج الحياة لينفق ما يدخره على مشروعه !

ولقد سجننا معا ! هو وأنا والأخ أحمد حسين فكان أحمد يبهز سجنانيه بشجاعته ، أما فتحي فكان يبهزهم بكبريائه . .

أذكر في أول مرة اعتقلنا فيها معا أن نقلنا الى قسم شرطة الموسيقى في انتظار النائب الذي سيتولى التحقيق معنا . . كان شباب الضباط الذين أوفدوا للقبض علينا يحيطوننا بكل تكريم ، فلما وصلنا الى مقر « القسم » ليلا ، فتحوا لنا غرفة « المأمور » كي نرتاح على مقاعدنا الوثيرة الى أن يأتي المحققون الذين أوقفوا من نومهم ليباشروا التحقيق معنا . . وأقبل السيد المأمور فوجد في غرفته ثلاثة شبان صفار يتبادلون العبارات الضاحكة ، فغاضه اننا لم نعدل عن هذه « الثثرة » كما اسمها بعد قدومه ، فطلب اليها بعبارة ثقيلة أن نحافظ على « النظام » في غرفة المأمور ، أي في غرفته .

أما أنا وأخي أحمد فلم نلق بالآلى ما قال . أما فتحي فقد حرص على أن ينبه المأمور بأن هذه الغرفة ليست ملكا له . . وقامت بينهما

مشادة انتهت بصدور تعليمات « البية المأمور » بالقائنا فى محبس القسم مع المحجوزين على ذمة التحقيق من النشالين و « الفتوات » السكارى ..

فلما جاء رئيس النيابة الذى تولى التحقيق معنا أصر فتحى على عدم السير فى الإجابة على أسئلة المحقق الا بعد أن يثبت واقعة استغلال المأمور نفوذه ضدنا ، وقبل المحقق منه هذا الطلب ، وحسبنا أن فى هذا الكفاية ... لكننا ما كدنا نخرج من السجن حتى كان فتحى رضوان فى اليوم التالى مباشرة يتخذ الاجراءات القضائية ضد المأمور ... وكانت قضية تندربها الناس حيناً ، لكن فتحى رضوان كسب هذه الجولة حينما عن حكومة الثورة انما يتحدث حديث خير .

يخيل الى اننى بهذه الرواية قد قدمت بعض الجوانب فى تكوين شخصية اخى فتحى .. وقد تكون هناك جوانب أخرى لا تقره عليها ، أو هو لا يترك على بعض الجوانب فى بنائك الفكرى ... ومع هذا تجده يضع خطأ فاصلاً بين هذا وبين الجانب الانسانى الذى يربطه بأصدقائه . اذكر انه حين أصدر كتابه « عصر ورجال » وهاجم فيه كل المسؤولين عن الماضى على مدى النصف الاول من القرن العشرين اننى انتقدت هذا الاتجاه الفكرى منه انتقاداً شديداً فما تأثر وما تبدل وده معى .

ان فتحى رضوان لا يستثنى من ساسة الجيلين الماضيين الا مصطفى كامل ومحمد فريد ومن تبعهما باخلاص .. انه يرى أن مصر لم تشهد

زعيمًا سياسيًا كهذين الزعيمين ، وليس شك ان هذا رأى .. لكن  
فتحي يتخطى دائرة الرأى الى دائرة الحب ، ولو أن كل رابطة روحية  
بين زعيم وبين حواريه كهذه الرابطة لتغير وجه الدنيا بأسرها ....

ان مصطفى كامل قد توفى فى سنة ١٩٠٨ قبل مولد فتحي رضوان  
بثلاث سنوات . وان فريدا قد توفى وهو فى الخارج حينما كان فتحي تلميذاً  
ناشئاً فى المدرسة الابتدائية .. ومع هذا فهو يتحدث عنهما كرتبا وخطيباً  
ومؤلفاً ومحاضراً كما لو كانا أصدق أصدقائه ! ..

فتحي رضوان وحده . ودون اية جماعة خلفه ، يحيى ذكرى  
مصطفى كامل فى كل عام .. وحيما جاءت الذكرى الخمسون لوفاة  
محمد فريد أقيم بهذه المناسبة احتفال كبير بدار الأوبرا ، وظن الذين  
شهدوا هذا الاحتفال أو نشروا عنه فى الصحف أن هناك تشكيلا وراء  
هذا الاحتفال ، ولم يكن هذا التشكيل الا فتحي رضوان وحده !

هذه الروح الجياشة هى التى أهلت « الشاب » فتحي رضوان لأن  
يتزعم الحزب الوطنى ، حزب مصطفى وفريد ، قبل قيام ثورة يوليو  
سنة ١٩٥٢ بأحد السنين رغم وجود عدد من « الأساطين » من خلفاء  
مصطفى وفريد ..

وليس من شك ان هذه الروح الجياشة هى التى شغلت الى فتحي أنظار  
ثورة يونيو فاختارته وزيرا فى أول وزارة للثورة ومن هنا فهو حين يتحدث  
عن حكومة الثورة انما يتحدث حديث خبير .

أنا قد أكون معه وقد لا أكون في الكثير مما سجلته هذه المذكرات المنشورة في هذا الكتاب لكنني على أي حالين أعتقد مخلصاً أنه ما من وزير من وزراء الثورة « المدنيين » قد فجر المعاني التي فجرها في هذه المذكرات علي مسؤوليته .

نحن نريد الكثير من مثل هذه المذكرات . . نريد أن يجد الذين يدونون التاريخ أمامهم تسجيلاً منشوراً يستطيعون الرجوع إليه لأن الذين يسجلونه ناس قد اتصلت بهم الأسباب مع ما سجلونه بأقلامهم .

بعض الأصدقاء ، ومنهم فتحي رضوان ، يرون أنني قد بدأت شيئاً من هذا التسجيل بما نشرته من الفصول في الصحف والكتب والاذاعات من الجيل الماضي الذي أدركت بعض جوانبه على أن الحقيقة نني لم أكتب « ذكريات » فقط ، والذكريات ليست إلا مجرد مدخل إلى « المذكرات » . مراكز المسؤولية ، اللهم إلا المسؤولية الصحفية أحياناً . . فانا كنت أكتب « ذكريات » فقط ، والذكريات ليست إلا مجرد مدخل إلى « المذكرات » . ومن هنا تبدو فصول هذا الكتاب في مرتبة أعلى من الذكريات .

ليس معنى هذا أن مذكرات الساسة قضايا مسلم بها . . لكنها بالقليل تحمل من الوقائع ما يثير الطريق أمام المؤرخين ، وعلماء التاريخ يعرفون كيف يفرقون في المذكرات بين الجوانب الذاتية التي يتعارض فيها الناس وبين الجوانب الموضوعية التي لا سند للمؤرخ فيها إلا أصحاب المذكرات .

فسواء اتفقت في « الرأي » مع صاحب المذكرات أو اختلفت معه  
ألا إنك أول الأمر وآخره واجدا فيه شاهدا من شهود النفى أو الاتبات  
لوقائع التاريخ وعلى محكمة التاريخ أن تأخذ من شهودها ما ينفع القضية  
التي تدافع عنها جميعا . . قضية أن هذا الوطن لم تخل فيه مرحلة من  
عقول تفكر وتدبر وتضع أمام المواطنين صورة حية تدل على أن هذا الوطن  
إن تتحسرج نبراته التاريخية أبدا .



كانت علاقة فتحي رضوان بالصحفيين ولا زالت باسمرار وثيقة .. فهو في مقتل حياته كان خيرا من اخبارهم ومادة لأفلامهم مطاردا ومكافحا وسجينا وسياسيا ... ثم أصبح زميلا لهم لما مارس الصحافة كمناضل وزعيم للحزب الوطني الجديد . ثم أصبح مصدرا من مصادر الأخبار مع ميلاد ثورة ٢٣ يوليو .. ولما خرج من صورة السلطة استمرت علاقة الصحفيين به كاتباً وروائياً ومؤلفاً وباحثاً ومساعداً بالفكر والرأى في معظم الشئون العامة بقدر ما أتيج له من حرية ... وهذه الصورة تمثله مع نخبة من القيادات الصحفية في مستهل أيام الثورة . والواقف أمامه في أقصى اليمين ) هو انصحفي الشاعر كامل الشناوى والى يمينه الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين . وترى على يسار كامل الشناوى فقيده الصحافة أحمد قاسم جودة . ثم ( موليا ظهره للعدسة ) الصحفي النقيب المشرع حافظ محمود .

# صاحب القبيلة التاريخ

● مقربة بقم : فتحى رضوان ●

حين كنت فى مطالع حياتى كان اسم التاريخ تنداعى له فى راسى  
صورة شيخ طويل القامة ، عظيم الهامة ، على رأسه عمامة ، وفى عينيه وحول  
شفثيه ابتسامة ، وكانت ابتسامته هى أغمض وأجمل ما فيه فهى تتألق  
فى ناظريه لا تدرى أهى علامة ذكاء أو عنوان دهاء ولا تعلم ما اذا كان يريد  
أن يقول بها : أنا أعرف انكم تكذبون ، أم يود أن يبعث بها فى قلوب الذين  
يقتربون منه ويتحدثون اليه الطمأنينة وراحة البال ليفضوا اليه بكل  
ما لديهم وينفضوا بين يديه كل ما وصل الى ايديهم أو ترامى الى اذنيهم  
أو مر على عينيهم بخيره وشره ، حقيره وجليله ، وكثيره وقليله .

ولكن أيا كانت حقيقة هذه الابتسامة وسرها المكنون فقد كان  
( التاريخ ) عندى كائنًا حيا يعقل ويفكر ويسمع ويسطر ويميز ويختار

ويتهدى ويحار ويدقق . وكلما تقدم بى السن ، ورأيت الأحداث تصنع ، والرجال تظهر والقرارات تصدر ، والاهواء تسود ، والمخاوف تتحكم ، أشفقت على هذا الشيخ الهرم الهادئ الرصين الذى لا تفارقه ابتسامته والذى لا ينفذ صبره فلا يفض مجلسه ولا يبارح ندوته مهما توالى الأيام والليالى أو اشتدت المحن والخطوب . . فكأن بينه وبين عالم الناس حائزا رقيقا يصد عنه ما يجرى وراءه وان كان لا يمنع قادما اليه أو لائذا به .

وطالما قلت لنفسى : أكون فى وسع هذا الشيخ الجليل أن يوفق بين المتناقضات ، ولا يضيق صدره بالمهاترات ، ولا يصيبه أرق وضيق صدر من الذين يقولون الشئ وضده ، والذين ينكرون الواقعة ثم يثبتونها ، والذين يبدون ابرارا فى حين واشارارا فى حين ، فيصعب على الناظر اليهم والمعارف لهم أن يقول الى أية طائفة ينتسبون وعلى أى مذهب يروحون وينفدون .

وبقيت هكذا ، كلما أتيتحت لى فرصة أفكر فيها فى التاريخ كشخص مجرد ، حتى سئمت التفكير فيه وقررت أن أكف عن هذه المحاولة لأنها لم تعد مجدية ولا منتجة . . حتى وقعت فى يدى دراسات يكتبها مؤرخون عن التاريخ من حيث هو علم فسرنى وسرى عنى أن ما كنت أراه عندى احساسا غامضا أو ما كان يساورنى خاطرا يقترب ويبعد فلا أكاد أمسك به . . . كان عند غيرة حقيقة علمية مؤكدة - بعد طول الخبرة والدراسة - ولست أريد أن أثقل عليك بأسماء الدراسات والدارسين . . . حسبى أن أذكرك مرجعا صغيرا لمؤرخ كبير هو أدوارد كلاك المعنون : ما هو التاريخ ؟

ولست أنوى أن أثقل لك منه مقتبسات فالمجال لا يسمح بذلك



ويكفى أن نهى اليك مجمل فكرة الكتاب وهى لا تعدو الفاظا تعد على الأصابع  
تقول : ليس هناك تاريخ ولكن هناك مؤرخون وليس هناك واقعة تاريخية  
وانما هناك واقعة راقية لمؤرخ فضمنها ما كتب ٠٠٠ ولو لم يفعل لبقيت  
خارج نطاق التاريخ وقد تقع الواقعة الضخمة ولكن تبقى بعيدا عن  
اهتمام المؤرخين أو عن مقدورهم على تناوئها بدافع الخوف أو الهوى  
أو المصلحة فتتسى وتحل محلها واقعة أخرى تحجبها وتصبح هى "الحقيقة  
الرسمية" .

ما معنى هذا ..

أمعناه ان التاريخ ليس علما وانما هو مجموعة من الاكاذيب الرسمية  
والعرفية والاهوام الصادرة عن اناس يصدقون ما يتصورون وطرائف  
وسخافات . والواقع ان فى الوسع أن نقول ( لا ) ردا على هذا التساؤل  
وأن نقول فى الوقت نفسه ( نعم ) . ولا غرابة فى ( لا ) التى تجاوب  
( نعم ) ولا يقوم بينهما ما يقوم عادة بين الازدواج من شجار وصدام ٠٠٠ أو  
لا يكون بينهما غالب أو مغلوب الا أن يتدخل بينهما بعض أهل الخير فيصلح  
بينهما ويتعاشيان فى صفاء حقيقى مرده ايمان كل منهما بأنه لا سبيل  
الى الغلبة والفوز على جاره كما حدث فى التاريخ مرارا بين قوتين  
ضخمتين تحاول كل منهما كسر أنف الأخرى وجرها وراءها حتى يستحيل  
ذلك فتقبل أن تدع جاراها يعيش وتعيش هى مثله ٠٠

ولكن ( لا ) و ( نعم ) فى التاريخ مثل ( لا ) و ( نعم ) فى كل شىء  
انسانى ٠٠٠ ذلك لأن الانسان منذ خلقه الله وهو يتضمن فى ذات نفسه

الملايين من ( لا ) والملايين من ( نعم ) ففيه الكرات الحمراء والكرات البيضاء فجسمه ميدان معركة لا تنتهى وهو لا يدري ان ملايين من خلايا هذا الجسم نبلى كل يوم وتستهلك فتحل محلها ملايين أخرى وحينما خلقه الله قال للملائكة : « انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » فاجتمع فيه الطين ، ارخص المعادن ، وروح الله اسمى ما يبلغ اليه ومصدر كل سمو عند المخلوقات التى تملأ هذا الكون الفسيح الذى يتجاوز أرضنا وشمسنا وما نعرف من الأفلاك والنجوم والكوكب .

ومن الطين وروح الله ، يتشكل كل عمل انسانى حتى ما نسميه ( علما ) ، فيما نعلمه اليوم ونحسبه الحقيقة الكاملة يتضح لنا على مر السنين انه خرافة أو أن بعضه خرافة .. فعندما كان يؤمن بعض الناس بأن الأرض المسطحة كان هناك من ينكر هذا جاهلا يرجم .. ومن كان يظن أن الشمس أصل والأرض تابع لها يكفر بالله ويطرد من رحمة الكنيسة فالأرض مركز الكون وروما مركز الأرض ومدينة الفاتيكان مركز روما وهكذا ..

كان الجدازم أخطر الأمراض وأسرعها انتقالا بالعدوى ، ثم ثبت أنه واحد من الأمراض القليلة التى لا تنتقل بالعدوى فثبت أن جميع الاحتياطات التى كانت تعمل لكيلا يخالط الأطباء والمرضى مرض الجدازم في مستعمراتهم عبث لا طائل تحته ، ومال ضائع بغير مقتضى .

والتاريخ علم انساني أو محاولة انسانية لمعرفة ماضى الانسان فلا

تنتظر من هذه المحاولة الا الصدق والكذب والحقيقة والخرافة والتأكد والتثبت والتحقيق والتمحيض والاهواء والاطماع وانسهوات .

فالاشفاق على هذا الشيخ الهرم ذى الوجه السمح ، الذى تتألق على صفحته عينان باسمتان ناطقتان باللطف والعطف والرفق وسعة الصدر لا محل له ، لأنه يعرف أنه يتصل بالناس يسمع عنهم فكأنهم أولاده فلا يغضب منهم ، ولا يحاول أن يقوم معوجهم ، لأنهم لو استقاموا وقالوا الحق ولا شيء إلا الحق لمات التاريخ . . . فالتاريخ أوجده كذب الناس أكثر مما أوجده صدقهم .

على أن التاريخ قد وجد تسلية كبيرة وتعزية فقد كان لا يسمع إلا عن الساسة والقادة والملوك والأمراء والحروب والمعاهدات . ولا شك أنه حديث مسنم ككل شيء رسمى يدعى الوقار ويتظاهر بالجد والرصانة . . . فقد بدأ كائن جديد يظهر وحاول أن يحتل على خشبة مسرح التاريخ مكانا . وقد كان هذا الحيز الذى ظفر به أول الأمر ضيقا ولكنه زاد مع الأيام ، وكبر حتى كاد يبتلع الخشبة كلها ويستأثر بها ويرد عنها الممثلين القدامى ذوى التيجان المذهبة التى تلمع فيها الجواهر الغالية والماسات النادرة ومن لف لفهم من الأمراء والوزراء والكهان والأخبار . . . ذلك المخلوق الجديد هو الشعب ، الذى تمثل فى جموع هائلة تتدفق تدفق الجراد على القصور والقلاع فتفتح أبوابها ، وتعلو أسوارها ، وتدخل فى بهائها وردهااتها بنعال ممزقة تطل منها الأصابع والأقدام وبسراويل مهلهلة تكشف عن الأفخاذ والسيقان ، وبشعور شعشاء غبراء لم تعرف للماء طعما ولا للمشط اسما . . هذا الشعب أدخل الى سكون التاريخ مذاقا جديدا

وطعما سائغا ٠٠ فمن ماسح أحذية الى رئيس جمهورية ومن شريد طريد لا يجد قوت يومه الى قائد جيوش جرارة لا تتفق عبقريته الا عن الطريف والغريب من خطط الحرب وأساليب المعارك ، ومن خلف هؤلاء مئات من الصغار وأشباه الكبار الذين كائن التاريخ يمر بهم مغمض العينين لا يلتفت ولا تطرف عيناه . هؤلاء لديهم أسرار عجيبة وعجائب غريبة عن العظماء صانعى القرار والعلاقات التى تربطهم بعضهم ببعض ووسائل وصولهم وأساليب ظهورهم ومزاجهم وطباعهم .

وكان شيخنا الهرم الوقور ، بلحيته الطويلة المسترسلة وعينيه الضاحكتين اللتين لا يضعف لهما بريق ، يحسب ان الامر سيقف عند حد الزعامات الحديثة الخارجة من صفوف النجارين والحدادين والفسالات والمرضعات ٠٠ فان الامر يهون اذ لا يصل واحد من هؤلاء الى مرتبة الزعامة والرياسة حتى يصبح فى مثل ابهة وترف الملوك القدامى الذين اطاحت رؤسهم المفصلة أو التفت حولها حبال المشنقة أو الذين نجوا بجلودهم من منطقة الخطر وربما حملوا مع جلودهم الملايين من الذهب النضار . . ولكن لم تلبث خشبة مسرح التاريخ العام أن أصبحت فى متناول فئات أخرى لم يكن يخطر ببال هذا الشيخ العظيم أنه سيفكر فيها أو ستفكر فيه . فإذا هى شغله الشاغل حتى خاف على وقاره أن يتزلزل : ورفيع مقامه أن يهتز ، فقد لحق بالزعماء مئات بل آلاف من الشعراء والكتّاب وأهل الراى وقد كانت حججهم أنهم صانعوا التاريخ الحقيقيون وأن الملك والرئيس والزعيم والوزير ليسوا سوى ( الدمى ) فى مسرح تغنى وترقص وتتحرك وتهتز وتضحك الناس وتسليهم . . وليست سوى أداة من قماش وخشب فى يد لاعب ماهر يطويها ويبسطها ، ويرفعها ويخفضها ، ويضع فيها صوته

ويجعل على لسانها كلامه .. وقبل شيخنا لسعة صدره وطول حلمه هذه الحجة .. ولم يرفضها ولكن لم يلبث أن جاء وراء هذا الفوج الجديد الذي دخل الى عالم التاريخ فوج آخر لا يتزمت ولا يلتزم قواعد الحنمة ذلك هو فوج الفنانين والفنانات والمهرجين والراقصات ومهربي الخمر والمخدرات ومرتكبي الجرائم والجنايات ، وقفوا جميعا أمام منصة الشيخ العالية وصاحوا بما يشبه الوقاحة والألفاظ النابية والتلويحات الشديدة والعبارات الجافية : نحن التاريخ الحقيقي أيها الشيخ .. واحذر أن تخرجنا عن طورنا فتصيبك منا ألفاظ جارحة لا يمكن أن تثبت لها أو

تصمد أمامها على طول ما جرحك الناس وأساءوا الشهادة في حقك .. نحن التاريخ الحقيقي اذ أن الحياة التي يصنعها الساسة والقادة هي مجرد الواجهة والحياة التي يصنعها الشعراء والمفكرون هي الخيرة أما الحياة الكاملة بكل عناصرها التي تنعكس عليها حقائق نفوس الناس وما يساورها من أحلام وأوهام وما يخطر ببالها من تصورات وتطلعات فهذه هي الحياة التي يصورها ويعبر عنها ويوحى بها ويخرجها الفنانون والمخرجون على القانون بغير نشاط وانتاج هؤلاء يكون الانسان الحقيقي بلحمه ودمه الا خيالا أو صورة .. وفي زحمة هذا التطور الطارئ والتصور الخبيث ظهر عنصر المذكرات الشخصية لا للزعماء الرؤساء ولا للمفكرين والفنانين بل لكل من ساهم في شيء احتفل به الناس وأثار انتباههم فمن مذكرات شارلي شابلن الممثل والمخرج الى مذكرات « ايزودورا دنكان » الراقصة البارة ومن مذكرات رئيس عصاة المافيا الى مذكرات جاسوس يعمل لحساب درلتن وهكذا وهكذا .

وقد كان عهد المذكرات على حدائته ضئيلا فالتاريخ على طوله لم يظفر إلا بعدد قليل لكثرة الحرب وتواليها ودخولها بطائراتها ودباباتها الى القرى والبيوت بعد أن كان للحرب ميدان تجرى فيه فى الصحارى وعلى الشواطىء بعيدا عن المدن العامرة أو المنازل الأهلة ثم توالى الاضطرابات وتتابع الأزمات : أزمات السياسة والمال والحكم والمعارك الاجتماعية . . . تشعر الانسان بأن ثقته فى نفسه تتداعى وتنهار وأنه أحوج ما يكون الى تثبيتها وتأكيدا فكثرت تراجم العظماء أشباههم من رجال الماضى والحاضر . . . وتلهفت الناس على النظر فى أعماق أعماقها . . . وسرهم أن يكون لهؤلاء العظماء نقط ضعفهم ومواطن تفضحهم وتهبط بهم الى مستوى الانسان العادى بل الضعيف .

ويقدر ما وجد الانسان القارىء متعة فى قراءة تراجم العظماء وجد هؤلاء راحة فى الافضاء بذات نفوسهم والتحدث عما وجدوه فى حياتهم من أسباب الراحة وأسباب الشقاء فتلقفها الناس تلقفا وأقبلوا عليها بنهم شديد .

ولما كان دستور الحياة فى مصر هو دستور الوقار والرصانة واسدال الستائر على حياة الانسان الداخلية فقد ندر أدب الاعتراف قنرا وشعرا وسادت القوالب الموروثة والصيغ المحفوظة وإذا كان الشعراء والكتاب قد خلعوا عن الأدب التزامه فقد كان الساسة والزعماء أولى أن يزيدوا احكام الأبواب والنوافذ على دنياهم الخاصة حتى لا يتسرب اليها فضولى ولا يدخل إليها متلصص أو متجسس . . . ولكن تاريخنا المعاصر ظفر بيوميات رجلين من أكبر رجال مصر حظا من الهزة والمكانة والاثر

في حياتنا أولهما محمد فريد الزعيم القائد للحزب والذي خرج بالحركة الوطنية من دور العبث في عهد مصطفى كامل الى دور ارساء القواعد ووضع الخطط والنزول المباشر الى المعارك مع عدوى مصر التقليديين : السراى أى الوالى أو الخديو أو السلطان أو الملك والعدو الأجنبى : أى الانجليز . وسعد زغلول المحامى بالقاضى فالوزير فعضو الجمعية التشريعية فرئيس الوفد فزعيم الأغلبية .

وقد اطلعنا كل من فريد وسعد على دنياهما وهما يخلوان الى نفسيهما يتأملان الاحداث ويلتصقان على الأشخاص ويريان الناس كيف تتكون أفكارهم وتتخلق تصوراتهم . ولقد بلغ كلاهما الى أقصى الحد في الصراحة . ولقد بقيت هذه المذكرات فترة نسمع عنها ولا نعرف أهي حقيقة أو وهم ثم سمعنا انها محل نزاع بين الورثة وخلفائه في الحزب ثم استقر آخر الأمر بين يدى الحكومة حينما أنشأت حكومة ثورة ١٩٥٢ مركز الوثائق التاريخية وضمت اليه جميع المذكرات والرسائل التى خلفها رجالنا في الحقبة الأخيرة من حياتنا العامة .

واذا كان انصار سعد زغلول الكثيرون يجدون في شخصه وكفاحه الكثير مما يدعوهم الى الاعجاب به والاشادة بموافقة ومزاياه فان الذين يعارضونه ولا يزالون يأخذون على ماضيه قبل ثورة ١٩١٩ تعاونه مع الاحتلال البريطانى واخفاق ظنه في معتمد هذا الاحتلال انلورد كرومر في دعوته الى تعليم أولاد المصريين في مدارس المصريين جميع المواد باللغة الانجليز ، ودفاعه عن مد امتياز قناة السويس وموافقته على اصدار قانون المطبوعات المقيد للحرية الصحفية . الى آخر هذه المآخذ التى يجد أنصاره لكل منها دفاعا فان هؤلاء المعارضين لا يملكون انفسهم من الاعجاب

بشجاعته وأمانته ، اذ أبقى مذكراته على حالها حتى بعد أن أصبح زعيم بلاده وبلغ حب الناس له وثقتهم فيه ومغالاتهم في أكباره وتقديسه أعظم الدرجات فقد كان في بعض جوانب من هذه المذكرات ما يفض عن قدره عن هؤلاء الانصار المتفانين ومن باب أولى عند خصومه المتربصين . وقد لا يكون متاحا - حتى الآن - لكل الناس أن يعرفوا شيئا مما احتوته هذه المذكرات فاني أضع تحت الأنظار فقرتين أو ثلاثة منها ليعرفوا كم كسب التاريخ السياسي والتاريخ الذاتي معا ، بمذكرات هؤلاء الزعماء والذين كشفوا بشجاعتهم ودقة أسلوبهم وبراعة تعبيرهم عن الانسان المجرد بعيدا عن التزييف والتلوين .

قال سعد - رحمه الله - في السكاسة رقم ٢٦ من مذكراته في صفحة ١٣٩ :

« كنت قبل ١٢ سنة اكروه القمار وأحتقر المقامرين وأرى ان اللهو بسفه الاحلام واللاعبين من المجانين ثم رأيت نفسي تعبت وتهورت في اللعب واتى على زمان لم اشتغل الا به ولم أفكر الا فيه ولم أعمل الا له ولم أعاشر الا أهله حتى خسرت فيه صحة وقوة ومالا وثروة » .

وقال في موضع آخر وهو يتحدث عن برنامج اثناء اصطيافه في أوروبا .

« افطر مع الست ( زوجته صفية هانم ) والباشا ( حماه مصطفى باشا فهمي ) وحسن ( ابن عدل سعد ) في الساعة التاسعة وبعد أن نتمشى مع الباشا قليلا نعود الى البيت لنلعب البوكر مع الست وحسن الى الساعة الواحدة .. وقد انفعل كثيرا اثناء اللعب عند الخسارة وصادف أن الزهر كان يعاكس وكان زهر حسن ، سعيدا ولكن مع ذلك كسبت ولم أخسر .. غير أن خسارتي كانت من طريقتين طريقي وطريق الست » .



ولكن البطل كان يقاوم هواه فقال في مذكراته في ص ١٥٧٨ نادما مقرعا لنفسه :

« انى أوصى كل من يعيش بعدى ممن لهم شأن فى شأنى انى اذا مت من غير أن اترك اللعب الا يحتفلوا بجنائزى ولا يحزنوا على ولا يجعلوا لقبولى تعزية ولا يدفنونى بين اهلى واقاربى واصهارى بل بعيدا عنهم وان ينشروا على الناس ما كتبته فى اللعب حتى يروا حالة من تمكنت من نفسه الرذيلة » .

ولما عزل اللورد كرومر الطاغية الذى كانت بريطانيا باحتلالها قد سلطته على مصر فرح كل المصريين واعتبروا عزله عيداً لهم ونصرا للحركة الوطنية ولكن سعد زغلول كتب فى مذكراته يصف شعوره عندما علم بنياً سقوط كرومر :

«كنت كمن وخز بآله حادة فلم يشعر بآلمها لشدة هولها» ثم قال انه ذاهب لمقابلة كرومر فلما سألته هنا الاخير عن الحالة قال له انها سيئة بسبب عزل كرومر قال له كرومر : لا تخف مطلقاً فان خلفى سيقدرك يكل مايق وسعه فإرد عليه سعد : وعندما أبدى اللورد كرومر عبارات التشجيع والتفخيم قلت انه انى لا افكر فى شخصى ولكن فى بلدى وأمتى التى سوف تخسر بعدك خسارة لا تعوض » .

وفى موضع آخر يقول : فى ١٩ من سبتمبر سنة ١٩١٢ :

« نظرا لقلة الايراد وكثرة المصاريف ثم انى أرى أن الناس قد انفضوا

من حولي .. لهذا الأسباب كنت أفكر كثيرا في أن أسمى للخروج من هذه الحالة اما باستعطاف كشعر أو بارتضاء الخديوى » .

ولا يحسبن أحد أننا نحصى هذه النقائص على سعدفانها وسأوس النفس الانسانية . ولسنا نورد هذه الفقرات لنناقش سعاد ولا لنتهمه ولا لندافع عنه ، وانما لنطل الى الجوانب الخلفية من التاريخ فان هذه الأطلالة ليست فضولا ، ولا رغبة في تقصى هنات أو سقطات العظماء انما هى جزء ممتع من دراسة التاريخ ومن دراسة النفس البشرية ، وما أمتع أن يكون التاريخ نابضا بالحياة الحقيقية لا الحياة المفتعلة التى تدعى كذبا وزورا ان كل العظماء انقياء فى كل الوقت وانهم معصومون .. ولو كانوا لما كان تاريخ الانسان قد كتب التاريخ لكثرة أخطاء السابقين فأراد أن يتعظ ويتعلم وينتفع بأخطائهم .  
فهل سيتعلم الانسان حقا ويتعظ وينتفع .. أرجو .

**فتحى رضوان**

# أسرار حكومة يوليو

بقلم ضياء الدين ببيرس



من محمد نجيب - رئيسا - الى أخيه فتحي رضوان ٠٠ « رمز الوفاء » ١٥

واذا برئيس الجمهورية يقف أمام الميكروفون ومخاطب وزيره على الهواء قائلاً: يا به ده ياسى فتحى؟

## غَلْطَة فَادِحَة!

يا به ده ياسى فتحى ..

الزمان عام ١٩٥٣ .. والمكان سرادق فى ميدان التحرير ، اكبر  
ميادين القاهرة وأشدها أناقة فى ذلك الحين .. وقد تجمع فى السرادق  
صفوة من رجال الثورة والسلطة جاءوا يضعون حجر الأساس لدار الاذاعة  
والتليفزيون ٠٠٠ أول مشروع من مشروعات ثورة ٢٣ يولية ..

وعريس الحفل كان فتحى رضوان ، المحامى الشاب الذى كرس قيادة ثورة ٢٣ يوليو « غداة اعلانها » طائرة عسكرية خاصة ، لنقله من المطار الذى يقع على مشارف زمراته فى معتقل هاكستيب الى رئاسة مجلس الوزراء بالاسكندرية .. فاذا به بمجرد الافراج عنه يرفض أن يركب الطائرة العسكرية وكانما ليختبر نوايا الثورة الجديدة ، مؤثرا أن يركب طائرة مدنية عادية بعد أن يستريح فى بيته أولا عدة ساعات .. كما لو كان يريد أن يتأكد من انه لم ينتقل من معتقل على الأرض الى معتقل فى السماء ، او كما لو كان يريد أن يزور فى وجدانه « فترة انتقال » خاطفة ، يعد نفسه خلالها ذهنيا ونفسيا للعبور من السجن الى قلب الاحداث .

وها هو ذا فتحى رضوان بعد أكثر من عام ، بصفته الوزير المشرف على تخطيط وتوجيه فكر الثورة ودعايتها فى أول وزارة عسكرية مصرية برئاسة اللواء محمد نجيب ، يعرض على رئيسه مشروع بناء دار شامخة للاذاعة وانتليزيون .. مكونة من أربعة عشر طابقا « وكان رقما شاهقا فى تلك الأيام » وتحتضن آخر صيحة وقتها فى فنون وعلوم الاتصال .

واترك فتحى رضوان يروى القصة بالفاظه ..

« كان المشروع كما عرضه على المهندس صلاح عامر جاهزا وكاملا ومدروسا .. وتحمست له ... واتضح ان العقبة المزروعة فى طريقه ان هناك خلافا بين وزارتي الأشغال والبلديات على ملكية الأرض .. وكان خلافا غربيا .. فالمبنى آخر الأمر سيقام على أرض مصرية .. وهو أولا

وأخيرا مبنى مصرى . . وذهبت الى الوزيرين وانتهيت الخلاف بينهما وحصلت على موافقتهما الكتابية .

« وأسرت بتحديد موعد لوضع الحجر الأساسى لهذا المبنى . . وعرضت الأمر على الرئيس اللواء محمد نجيب بتفاصيله الدقيقة ، ابتداء من تكاليف المبنى نفسه . وانتهاء بتكاليف الحفل المقترح لوضع حجر الأساس . . وعرضت عليه اليوم والساعة المحددين للاحتفال ، فوافق عليهما على الفور .

« ثم شرحت له كيف اننى ادخلت تعديلا مناسبا لمقتضى الحال على تقليد كانت قد جرت عليه العادة فى مثل هذا النوع من الحفلات وهو أن يوضع فى الصندوق الذى يحتوى على حجر الأساس عملة ذهبية وفضية مما تتعامل به الدولة فى تاريخ وضع الحجر . . واذ لاحظت أن قيمة هذه العملات الذهبية والفضية كانت تصل الى حوالى ألفى جنيه مصرى ، فقد جال بخاطرى أن ذلك اسراف يكاد يرتقى الى مرتبة السفه . فإذا كان المقصود اعطاء فكرة عن الحضارة والتصميم والفن فان ذلك كله يمكن أن تغنى فيه العملات الفضية الصغيرة والبرونزية ، يضاف اليها عدد من الصحف الصادرة فى ذلك اليوم . . وبذلك تنخفض التكاليف من ألفى جنيه الى بضع عشرات من الجنيهات فحسب .

« وابدئ اللواء نجيب تحمسه للفكرة بلا تحفظ . . ثم أبدى رغبة بتعديل الصيغة التى تكتب على حجر الأساس ، وذلك بإضافة الشعار الذى كان قد أطلقه فى تلك الأيام وهو شعار « الاتحاد والنظام والعمل » ، فنفذت ما طلب . . وكان من بين تكاليف الحفل مبلغ خمسة وأربعين جنيه

قيمة ايجار السرداق الذى سيقام فيه الاحتفال ، فاذا بالمتعهدين يتنافسون فى شرف التنازل عن قيمة الايجار على سبيل اظهار الولاء للعهدة الجديد من جهة . . والتقرب الى الاذاعة التى تمارس نشاطا فى الحفلات يحتاج الى العديد من السراقات من جهة أخرى . . وقبلنا التنازل ، والنتيجة ان كشف حساب حفلة الافتتاح كان لا شئ » .

« ومن تحصيل الحاصل ان اللواء نجيب قلدى من عقود المديح على كل ذلك ما أخجل تواضعى .

« وجاء اليوم المشهود والساعة المحددة لتشريف سيادة الرئيس . . ووقف رجال الدولة ساعة كاملة قبل أن يصل سيادته الى مكان الاجتماع ، وطبقا للبرنامج المحدد الذى سبق أن وافق عليه الرئيس بنفسه ، فقد كان المفروض بعد أن انتهى من القاء كلمتى أن أدعوه الى أن يتفضل بوضع حجر الأساس أى أنه كان من المقرر وبموافقة اللواء نجيب طبعا - أن يحضر الحفلة مستمعا لا متكلما ، لأول مرة منذ أن ولى الرئاسة ذلك انه تعود أن يكون له مكان محجوز للكلام فى كل حفل أو لقاء قبل ذلك اليوم .

ولكن الذى حدث هو اننى بمجرد ان دعوته للتوجه الى مكان حفل الأساس . . توجه الى مكان الميكروفون .

ولعلى نسيت « أو تعمدت أن أنسى حتى الآن » ان أقول ان اسماع ميكروفونات الاذاعة كانت مرهفة فى هذه اللحظات ، تنقل على الهواء الى عصر كلها والعالم العربى كل نامة وكل همسة وكل كلمة . . واذا باللداء



عجيب يبدأ كلامه موجها الخطاب الى - أنا الوزير المسئول في وزارته  
على مسمع من الدنيا كلها .

— آيه ده ياسى فتحى !

سامحنى . لم أنم طول الليل :

نقطع سياق الحديث لفتحى رضوان هنا لنقول أنه يروى هذه  
الحكاية كما لو كان متفرجا عليها لا كما لو كان ضحيته . فهو لا يقحم  
مشاعره فى الموضوع ، ولا يسرف فى الوصف ولا يحلق فى أجواء الخيال  
لا يقول مثلا انه لم يصدق اذنيه لأول وهلة ، ولا أنه دهش من هذا  
التجديد المبتكر الذى يدخله رئيس دولة على منهج مخاطبة وزرائه  
المسؤولين على مسمع من الملايين خارج السرادق فى أنحاء مصر وجيرانها  
وعلى مرأى من مئات الشخصيات المسئولة والقادة داخل السرادق ،  
ومن بينهم كل الوزراء الذين سبق لهم الاشراف على الاذاعة فى مختلف  
العهد .

ويستطرد فتحى رضوان يروى ما حدث بعد ذلك :

« . . ومضى اللواء نجيب يقول أنه لم يسمع شيئا من كلمتى التى  
قلتها ، فقد كان يفكر — على حد تعبيرة فى الوقت الذى ضاع على الدولة فى  
هذا الحفل الذى لاداعى به ، وفى الأموال التى أهدرت على هذه المظاهرة  
الجوفاء بينما يعانى الشعب الفقير من البؤس والمسغبة كما كان يفكر  
طول الوقت فى الارتفاع الشاهق للمبنى المقترح ، فى حين ان المسائل  
بالمعاني وليست بالمبانى . وكلام كثير يحوم حول هذا المعنى .

« وقررت — يقول فتحى رضوان — أن أرد فى الحال ، وبوضوح «  
واذا كانت العادة لم تجر بأن يتساجل الوزراء على رؤسائهم أمام الميكروفون

فى حفل عام ٠٠ فان العادة لم تجر أيضا بأن يخاطب رؤساء الجمهورية وزراءهم بهذه الطريقة فى مثل هذا المقام •

ولهذا توجهت الى الميكروفون بمجرد ان انتهى الرئيس من كلمته بدأت تعليقى بأن شكرت سيادته على نصائحه الغالية ، وقلت ان وزارة الارشاد يسرها أن تتلقى أول درس فى الارشاد على يد رئيس الجمهورية والمثل العربى يقول ما أرشد من لم يسترشد • ثم اضفت ولعل سيادة الرئيس يذكر اننا عرضنا عليه أدق تفاصيل الاحتفال بما فى ذلك تحديد الموعد باليوم والساعة ٠٠٠ ولعل سيادته يذكر انه تفضل بالمشاركة فى التفاصيل الى حد انه عدل من الشعار المكتوب على حجر الأساس ، وانه عرف كل صغيرة وكبيرة عن طبيعة المبنى الذى سيقام ، وأنه أعرب عن سروره البالغ بانخفاض تكاليف هذا الحفل الى الصفر •

« ولما انتهى الاحتفال ودعته بطريقة لائقة ، فاذا به يلتفت الى على مسمع من عدد لا يتجاوز عدد أصابع اليد ويقول فى تأثر بالغ انه متأسف لما حدث ، ويعتذر بأنه كان متعبا وغير مسيطر على أفكاره ومشاعره وتقديره للأمور ، لأنه لم ينم فى الليلة السابقة الا بضع دقائق .. فكررت له شكرى بأدب وهدوء وأحسننت توديعه •

ولكنه لما ذهب الى مكتبه ، وجد ان استقالتى قد سبقته •

**شهادة لنجيب :**

ولأن فتحى رضوان كان يعلم مثل الجميع أن محرك الأحداث

الفعلى كان جمال عبد الناصر. فقد رأى أن من واجبه أن يترك صورة من الاستقالة لجمال عبد الناصر في بيته . فأتخذ هنا ختام الرواية عن الرئيس السادات ، في سلسلة مقالاته التاريخية الشائقة في جريدة الجمهورية عن محمد نجيب في أواخر عام ١٩٥٤ . . فقد روى في هذه السلسلة كيف أن تصرف محمد نجيب كان موضع نقاش يقف على عتبة اللوم في مجلس قيادة الثورة ، وكيف أن المجلس كلف اللواء محمد نجيب بأن يمر على منزل فتحى رضوان ترضية له .

وفعلا ذهب محمد نجيب إلى بيت فتحى رضوان - البيت الذى عاش فيه الوزير الشاب محاميا وصحفيا ثائرا قبل عام ١٩٥٢ وام يغيره حتى الآن ( ١٩٧٦ ) - فلم يجده ، لأن فتحى رضوان كان وقتها يلبي دعوة عشاء على مائدة سفير مفكر ، هو السردار بانيكار سفير الهند في القاهرة ، مؤلف أحسن مرجع عن مشاكل الدول الآسيوية والافريقية الحديثة الاستقلال .

وترك اللواء نجيب بطاقته مع كلمة رقيقة . وعاد فتحى رضوان إلى بيته ليقرر - على أغلب الظن ، وإن لم يفصح في ذلك صراحة - أن رئيس الجمهورية تصرف معه على حسب منطوق المثل المصرى الذى يقول (يضربنى في زفة . . ويصالحنى في عطفة) .

وكل من يعرف أسلوب فتحى رضوان في التعامل لا يدهشه أنه رأى أن بطاقة الترضية لا تكفى لسحب الاستقالة .

ولكن عبد الناصر ( والراوى من الآن هو فتحى رضوان من جديد )

اتصل به تليفونيا في المساء المتأخر بعد عودته من عشاء السردار بانيكار ،  
ورجاءه في الحاح أن يضع المسألة كلها في ثلاثة ، ويعتبرها كأن لم تكن . .  
وكانما كان عبد الناصر ، بدهاء لاعب الشطرنج القدير يريد أن يرعى  
الحبل لـ ( الرئيس نجيب ) ، حتى يصل الى الطول الذى يكفى لشق  
نفسه بنفسه .

والواقع - كما يقول فتحى رضوان - ان جمال عبد الناصر صارحه  
شخصيا انه كان المعارض الأساسى والأكبر فى اخراج محمد نجيب من  
صورة الحياة والثورة والسلطة فى مصر فى فبراير ١٩٥٤ . . ولكن مجلس  
الثورة قرر وقتها بأغلبية الأصوات ، وبحماس ضباط شهبان تحوم  
أعمارهم حول سن الثلاثين الا يأخذ برأى عبد الناصر ، وقرر اقالة نجيب  
فى منتصف ليلة ٢٤ - ٢٥ فبراير ١٩٥٤ . . تلك الاقالة التى اضطر نفس  
المجلس الى ابتلاعها بعد أربعة ايام تحت الضغط الغلاب واستسلاما  
لتجمع كل القوى المتربصة بالثورة الوليدة ، التى صنعت محمد نجيب  
رغم ارادته قائدا وزعيما للاتجاه الذى يرمى الى تصفية الثورة .

وفيما بعد - والراوى لا يزال فتحى رضوان نقلا عن عبد الناصر -  
كان عبد الناصر أكبر المتحمسين لاقالة محمد نجيب فى أكتوبر ١٩٥٤ .  
وتعليل ذلك على لسان عبد الناصر هو انه : فى فبراير كان نجيب أقوى  
منا ، فكان فى اقالته ضرر للثورة . أما الآن فقد أصبحنا أقوى منه ،  
فكان فى تأخير اقالته نفس الضرر .

وأخيرا فان فتحى رضوان كاد يطلب رفع هذه القصة كلها من  
منتخبائنا من ذكرياته المثيرة . . لكنه عاد فأجاز نشرها ، بشرط أن نذكر

على لسانه ما يعتقد به يقين جازم من أن تواريخ الرجال لا تقاس بحادثة فردية هنا أو هناك .. وانه لا ينسى أن محمد نجيب يتمتع بثلاث صفات :

الأولى .. الشجاعة التامة .. اذ لو لم يكن شجاعا لما قبل أن يتولى رئاسة هذه الثورة وهو يعلم انها مقامرة وان مصيرها مجهول . وفي يد القدر ، في منطقة ملفومة لا تنفع فيها موائيق .

— الثانية .. نزاهته المطلقة .. وفي ذلك تحضرني — والمتكلم فتحى رضوان — ملاحظة أبداها عبد الناصر شخصا عن بيت محمد نجيب الشديد التواضع والذي بقى فيه حتى بعد انتخابه رئيسا للجمهورية . فقد قال يوما عندما وردت اشارة أمامه الى بيت نجيب بقوله احنا بنبالغ بدون لازمة .

— الثالثة .. جاذبيته . وخصوصا بالنسبة للجماهير التى كانت تستشعر فيه أبوة صادقة وتعدو فى ركابه .

## الراديو والمعجزة :

عذرا .....

فقد بدأنا اطلالتنا على هذه ( البانوراما ) الهائلة من أغرب الأسرار المصرية المعاصرة من صفحة ما فى وسطها .. ليست من أولها وليست فى آخرها .. وليس لاختيارها فلسفة خاصة أو هدف بعينه .. ولم نبدأ كعادتنا بتقديم صاحب الذكريات ، ربما توجسا من سداجة تقديم فتحى رضوان فى سطور .

فهو رجل تتجاوز خطورته في صياغة وصناعة فكر واحداث ثورة ٢٣ يوليو كل ما نشر عنه وما عرف على كثرته حتى الآن . وهو رجل يقف على رأس دورية الاستطلاع الفدائية المحدودة التي صاغت من وجدان شعب مصر في السنين التي سبقت عام ١٩٥٢ ، رؤوس جسور مهدت لعبور الثورة الى تاريخ مصر دون أن تسيل ، تقريبا ، نقطة دم واحدة . وهو الوزير الوحيد في تاريخ مصر القديم والحديث الذي ما زال حتى هذه اللحظة في نفس المنزل الذي كان يعيش فيه قبل أن ينتقل من حياة السجن الى حياة الحكام ، وهو من أعف من اشتغل بالسياسة والثورة في مصر... خلقا ولسانا ويذا ، الى حد أنه لم تنسج حوله اشاعة ، ولا ردد عنه حديث افك ، والمعروف تاريخيا وعلميا أنه لم يحدث أن روجت ضد انسان في مصر اشاعة الا كان لها أصل ، على حد تعبير المثل

ومعنى نصاعة تاريخ انسان في مصر حتى من مجرد الاشاعات انه عمل بالمثل المصري الذي يقول .. (امش كويس يحتار عدوك فيك ) وأخيرا فان فتحى رضوان من النماذج القليلة من الشخصيات العامة في مصر ، التي كان ضوء تاريخها القومى والسياسى والفكرى أسطع من ضوء المنصب الذى تقلدته . ومن هنا فان خروجه من الوزارة ومن السلطة بعد ستة أعوام من الكفاح الشاق في وسط حقول الألغام المبوثة في طريق الثورة لم يكن نهاية لحياته العامة .. وإنما مجرد منعطف في حياة خصبة قادرة على العطاء في الفكر والفن والثقافة والادارة والمحاماه .

والآن تعال نبداً من البداية .. وندخل السجن مع فتحى رضوان.

حين قامت الثورة يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كنت في معتقل الهايستب حتى بعد نحو خمسة عشر كيلو مترا من مصر الجديدة ومن التعسف أن

أصف مكانى فى ذلك المعتقل بأنه حجرة أو زنزانة . . والأصح أن يقال انه ( خانة ) فى مخزن مهمات للجيش الأمريكانى ، وقد حولت الحكومة المصرية هذا المخزن فى أعقاب حريق القاهرة الى معتقل . ولذلك لم تكن فيه من مظاهر الأماكن المعدة للسكنى الا أقل القليل . . كانت أبوابه من الصاج المضلع ، ونوافذه محرومة من ترف الضلفات الزجاجية وكفائها شبكات من السلك الغليظ وطرقاته مغطاة بالأسفلت الأسود .

وكان من حظى ان اتيح لى تهريب جهاز راديو ( بيلوت ) قديم . . ولا أزال حتى الآن محتفظا به للذكرى ، والتاريخ فى بيتى الخاص فى لانه تجاوز سن العمل وأحيل الى المعاش . . . ولم يكن تهريب الراديو وقتها بالأمر الشاق ، فقد كان ضباط المعتقل ( بدوافع انسانية . . وبدوافع أخرى ! ) يسهلون للمعتقلين مخالفة كل القيود المفروضة عليهم بأمر الحاكم العسكرى .

لم أكن معتقلا على ذمة قضية حريق القاهرة فلم أسأل فى هذه القضية مجرد سؤال واحد ولم تتجه الى شبهة ولو ضعيفة عن علاقتى بهذا الحريق . وكنت قد حصلت على حكمين من مجلس الدولة بوجوب الافراج عنى فوراً لبطلان أمر اعتقالى وانتفاء أسبابه قانوناً. ولكن الحكيمين لم يكونا فى نظر الحاكم العسكرى يساويان الورق الذى كتب عليه ، والجبر الذى حررا به فما كاد يصدر الحكم حتى يعدل القانونون تعديلا خاصا لى حتى يتيسر إعادة اعتقالى بعد التعديل .

ولكى أكون واضحا فأنسى أعرب عن اعتقادى ان السلطة حين فرغت من قضية ٢٦ يناير والانتفاع بها سياسيا ، لم يكن استمرار اعتقال من بقى فى المعتقل الا لمجرد منعه من المشاركة فى الحياة العامة ، فلاهم الحاكم

العسكري أو الحكومة في قليل أو كثير أن استقبل أهلى أو ذوى قربي  
بتصريح أو بغير تصريح ، في الميعاد أو بعد الميعاد وأن أتلقى ما أشاء من  
الكتب والصحف . بل ان الأكثرية من المعتقلين - وأنا منهم - كانوا  
يستضيفون أولادهم الصغار ، فيصبحون أعضاء في المعتقل بالأيام  
والليالى ، بل بالأسابيع والشهور .

وإنا شخصيا كنت استضيف بين الحين والآخر لبضعة أيام ابني  
عصام وعمرو . وابنتى عزة .. وكانوا يشتركون في مباريات الكرة التى  
كانت تجرى على ( ملعب ) المعتقل وهو الفضاء الذى يقع خلف المخازن  
التي كنا نقيم فيها . وأيامها كان النجل العزيز عصام لا يتجاوز من العمر  
سبع سنوات .. وكان المعتقلون يتبارون في اكرامه . فيسمحون له باصابة  
أهدافهم . فان استعصى ذلك عليه ساعدوه في توجيهها وسجأوها باسمه  
بين الهمس والهمس .

وللقارئ أن يتصور مدى « الحرية » التى كان يتمتع بها المعتقلون  
داخل المعتقل .

وطبعا ليس معنى ذلك ان الاتصال بالخارج كان مباحا على الإطلاق،  
بل ان العين الساهرة كانت تتحرى عزل الحرية المسموح لنا بها عن  
حريات العالم الخارجى ، وعلى سبيل المثال فقد حدث وأنا سجين أن  
توفى شقيق زوجتى .. وصممت ألا أطلب من السلطة أى شئ مما  
ضؤل أمره وتفه شأنه . فقد استبعدت فكرة أن يؤذن لى بالذهاب الى  
النزل لمواساة زوجتى والوقوف بجانبها في تسوية الأمور الدنيوية المترتبة  
على وفاة شقيقها .. وأحسب أن زوجتى كانت بأشد الحاجة الى هذه



الوقوفه ، فقد كانت دموعها لم تجف بعد وفاة شقيقها ، وكان شقيقها الآخر كمال الدين صلاح - سفير مصر في الصومال فيما بعد ، الذي قتله هيلاسلاسى عقابا على مجهوده من أجل تحرير الصومال - كان وقتها في السويد .

ولم يكن أمامي إلا أن أفكر في الاتصال بها تليفونيا لأقدم لها العزاء .. وكان هذا أمرا صعبا ولكنه لم يكن مستحيلا ، وعلى رأى المثل المصرى .. كل لقوة ولها كيال .. باختصار - أرجو ألا يكون مخلا - تم الاتصال التليفونى ! ولكن الأمر لم يمر بسلام .. فقد كان تليفونى مراقبا ، مكن غافلا عن ذلك ولكنى قدرت انه حتى فى الأذان المتلصصة لا بد ان يتوافر قدر من الانسانية .. ثم اتضح ان تقديرى لم يكن موقفا فى اسرافه بحسن الظن بانسانية السلطة .. اذ بدأ التحقيق فى صباح اليوم التالى مع الضابط الذى تم الاتصال فى نوبته .. وأسفر التحقيق بنفى الضابط خارج القاهرة .

وحزنت لذلك حزنا شديدا ، على أنى أعترف هنا بأن أول عمل رسمى لى بعد توليتى الوزارة كان أعادته فورا الى القاهرة فى المكان الذى كان فيه . ثم فى مكان آخر أحسن ، حين لاحت الفرصة بطريقة مشروعة .

### رجل يلبس الجلباب :

هنا يضبط فتحنى رضوان خواطره وكأنما ثبتسم لحديث المذكرات فى المعتقل . فيعود بنا على الفور الى جهاز الراديو « البابلوت »

العجوز ، الذى ختم حياته بأحسن ما يمكن أن يختم جهاز راديو حياته ..  
إذا انه أسمع في ساعة مبكرة من صباح يوم ٢٣ يوليو البيان الأول -  
لحركة الجيش ، الذى أعلن عن « حركة تطهير سلمية » في صفوف  
الجيش . ويعترف فتحى رضوان انه تشكك أولا من مصدر الخبر ،  
وذهبت به الظنون الى حد انه ظن ان موجة محطة اذاعة غربية ركبت  
موجة محطة الاذاعة المصرية .

ثم عاد فظن ان الاذاعة المصرية تجدد برامجها التمثيلية على نحو  
المادة المشهورة التى أفرع بها الفنان العبقري المجنون أورسون ويلز  
أمريكا وكندا ذات ليلة في أواخر الأربعينات حين قطع الاذاعة بلا انذار أو  
أعلان مسبق ، واقتحم أسمع ملايين المستمعين بخبر غزو وهمى من  
سكان كوكب آخر عن طريق قوات مجهزة أحدث تجهيز نزلت ساحل  
أمريكا الشرقى ! .

ولكن الصوت المطمئن الواثق المنبعث من موجة راديو القاهرة يصرف  
على الفور هذه الخواطر من ذهن فتحى رضوان .. اذ يدرك أن الدهشة  
أو الدهول لدى الاستماع لمثل هذا البيان ليس لهما الا معنى واحد ،  
هو اليأس ، وهى كلمة لا ينبغى أن يكون لها مكان في قاموس شاب مثله  
أنفق عمره بين الأسلاك الشائكة ليبذر الأمل في حياة امتلأت ظلاما ، وأرض  
امتلا جورا ..

« وفي لحظات - يقول فتحى رضوان - تحولت الى أهم رجل في  
المعتقل ، بصفتى صاحب الراديو الوحيد فيه » .

ثم يتذكر في تلك اللحظات آخر مناسبة ظهر فيها خطيبا عاما قبل مسجنه . وكانت حفلة لاهياء ذكرى الزعيم مصطفى كامل ..

« يومها قرأت نص الخطاب الذى وجهه مصطفى كامل فى عام ١٩٠٥ الى الخديو عباس ، وفيه يقول له أن المعية ( أى الحاشية ) تضرك أكثر مما يضرك أعداؤك . فإذا بالمكان يدوى بالتصفيق ويهتف أحد الشبان .. تحيا الثورة .. »

« والشئ الطريف اننى وأنا خارج من هذا الاجتماع رأيت شخصا يقف على الباب يلبس جلبابا ويوجه الى الحديث قائلا ..

— يا أستاذ .. هذا صوت الله .. الثورة جاية .. ومبروك مقدها ! ..

« اذن فقد صح ما توقعه الرجل ذو الجلباب ، وجاءت الثورة .. ولكن المشكلة او للعجزة فى أنها جاءت فجأة ، وفى اللحظة التى كان يبدو فيها أنها لن تجيء أبدا .

«ومر يوم ٢٣ يوليو على المعتقلين وهم فى حالة ذهول يعمقه التناقض المفزع بين بيانات الراديو وصوت صحف صباح ذلك اليوم ، التى كان قد فاتها بطبيعة الحال تسجيل احداث الفجر .

وبهذه المناسبة فقد كانت خريطتنا الحزبية فى المعتقل هكذا ..

معتقل واحد من الحزب الوطنى هو أنا .

ثم مجموعة من الشيوعيين وكان مخصصا لهم عنبر مستقل .

ثم مجموعة من أنصار الحزب الاشتراكى . وقد امتزجت بهم مجموعة من الذين حسبوا على الحزب الاشتراكى ظلما .. والأصل انهم اشتركوا فى جرائم سلب ونهب عادية فى منطقة القناة ، فاحتسبتهم الحكومة من الفدائيين ، وأضفت بذلك عليهم شرفا لم يخطر على بالهم

« وأشرقت شمس يوم ٢٤ يوليو فاذا الذى كان بيانات تذاع على امواج الأثير يصبح الحقيقة مطبوعة على صفحات الصحف . وفى محاولة للتعرف على اتجاه الريح ، وعمل حساب ما قد يسفر عنه الغد ، اغمض ضباط المعتقل فى ذلك اليوم أعينهم عن كثير من المنوعات ، فسمحوا بتدفق ضيوف المعتقلين بلا حساب أو تحفظ . بل انهم أقبلوا عليهم فى شغف يحاولون اعتصار كل ما يزخر به الشارع المصرى من اشاعات وتفسيرات وأخبار .

على ان الراديو كان أسبق وأحسم من كل الاشاعات . اذ توالى بياناته بما لا يقبل التشكيك فى أن الأمر جد وما هو بالهزل . ومن الغريب اننى لم أدرك فى ذلك الوقت أن الصوت الذى القى البيان الثورى الأول كان صوت السيد أنور السادات ، رغم انه كان الضابط الوحيد من الاحرار صناع الثورة ومفجريها الذى كنت أعرفه معرفة شخصية قبل أن يصبح الحلم حقيقة !

وفجأة انبعث فى المعتقل صيحة تقول .. كلام فارغ .. اذا كانت هذه الحركة ثورة حقيقية لكننا الآن خارج المعتقل !

وتلفف المعتقلون هذه الصيحة ليوقفوا أنفسهم تحت مظلة القلق .

وتشجع ضباط المعتقل فعادوا خنق موقفهم المتردد في قبضة الضبط والربط . وقليلون هم الذين عرفوا وقدروا ان ما يجرى خارج جدران المعتقل كان أخطر من مجرد التفرغ للافراج عن المعتقلين فوراً .

وجاءت أنباء الليل تحمل تراجعاً سافراً للملك ، يتمثل في التنازلات التي وشت بارتجاف موقفه . وكانت النتيجة ان نام مجتمع المعتقل على أمل اكيد ووطيد بأن فتح أبواب الحرية وشيك في الصباح .

ولكن لما جاء صباح ٢٥ يوليو وكل شيء على حاله ، والنظرات في عيون ضباط المعتقل تتراوح بين ابتسام يسير تبعده العبوس . . . واكفهرار يخلى سبيله على استحياء للأمل . . . تحول تيار التفاؤل الجارف في المعتقل الى بحيرة ساكنة تحت شمس يوم قائف ، وقد كان يوم ٢٥ يوليو ١٩٥٢ ، المذكور يوماً قائفًا بالدلول الحرفي للكلمة ، وليس بالدلول المعنوي وحده .

« وفجأة . . في الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم - يوم الجمعة ٢٥ يوليو - يضطرب سطح البحيرة الساكنة . اذ يتلقى قائد معسكر الاعتقال اشارة تليفونية عاجلة من رئاسة مجلس الوزراء بالاسكندرية ، مضمونها انه قد تحددت الساعة السادسة من مساء نفس اليوم لكي يتم اللقاء بين الاستاذ فتحى رضوان وبين صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس الوزراء الذى اختاره الجيش !

وتضمنت الإشارة أن على جميع الجهات المعنية أن تتخذ اللازم لكي يتم وصولى الى الاسكندرية قبل هذا الموعد ، وأن يتم الافراج عنى بناء على الحكمين الصادرين لصالحى من مجلس الدولة . . اذ ثبت انقطاع صلتى التامة بحوادث حريق ٢٦ يناير التى كانت مبرر اعتقال من اعتقل فى ذلك اليوم .

وكانت السلطة قبل ٢٣ يوليو ، عندما رأت ان مجلس الدولة فى طريقه الى الافراج عنى قد عدلت قوانين الاشتباه السياسى وبعض قواعد الاحكام العرفية ليتسنى لها أن يستمر اعتقالى . وعندما حضر الى مأمور سجن الأجانب - عقب صدور القرار الأول من مجلس الدولة بالافراج عنى - سألته . . ما الأخبار . . فقال . . خير . . لقد صدر امر باعتقالك ! فضحكت . . وقلت ألسنت معقلا ؟ فضحك بدوره وقال مستطردا . . ولكن صدر قرار جديد باعتقالك قبل أن نلتقى قرار الافراج عنك . . والقرار الجديد أصدره الحاكم العسكرى طبقا للسلطات المخولة له بموجب التعديل الأخير فى قانون الاشتباه السياسى . وقد أبلغنا بقرار اعتقالك قبل قرار الافراج عنك ، حتى لا تتاح لك فرصة حرية لمدة خمس دقائق يمكنك أن تفلت فيها من تجديد الاعتقال ! .

ونقلونى بعدها الى معتقل الهاكستب . وكان سجن الأجانب الذى جللت به أولا يعد فندقا مريحا بالقياس اليه . . حتى جاءت الإشارة التليفونية العجيبة التى بمقتضاها كان على أن أغادر - المعتقل الى مكتب رئيس وزراء مصر ! .



## تحت الأمر يا معالى الباشا :

ولا يمكن أن أنسى أبدا الكيفية التي أبلغت بها بالقرار فى وقت القيلولة من بعد ظهر ذلك اليوم القائظ من أيام شهر يوليو ١٩٥٢ ، كنت جالسا فى زنزانتي أسيرا لخواطرى ، حين سمعت وقع أقدام شخص يركض نحو مكانى . واذا بالباب يفتح على مصراعيه بعد نقرة مدوية ، وعلى العتبة يقف قائد المقتل الصاغ - الرائد - مصطفى كمال العياط يلهث وقد أوشك أن يتزحلق على الأسفاب الذى تتكون منه أرضية الزنزانة ، وإذا به يتمتم بكلمات عصبية لم أفهمها وان كنت قد لاحظت انه يخاطبني كما يخاطب الوزراء .

وجرت على لسانه كلمات متدافعة مهرولة تمثل ( رئيس الوزراء ) و ( الطيارة يا أفندم ) و ( تحت الأمر يا معالى الباشا ) ! .

وحاولت عبثا أن أعيد بناء كلامه بطريقة تسمح لى بأن أفهم ما يريد . وبدلت عناء فى تهدئته ، الى أن فهمت أخيرا انه مطلوب منى أن أرتدى ثيابى بسرعة ، وأن أتجه الى مطار المازة حيث تنتظرني طائرة عسكرية .

وعلى الفور استبدلت قميصى الأسبور . وبنطلونى المصنوع من تيل بنطلونات عساكر الجيش ، وصندلى ، بدلة كنت أحتفظ بها ، ولكنى رافضت على الفور ، وبحزم ، وبهدوء أعصاب كامل ، أن أذهب الى أى مكان قبل أن أمر على بيتى ، وأغير ثيابى وأخلق ذقنى . واخذ حماما محترما بعد شهور طويلة من حمامات غير محترمة ! .

وكان لى ما أردت . وألقى المسئولون الطيارة بناء على طلبى واستبدلو بذلك لى مكانا على طائرة شركة مصر للطيران ، التى كان مفروضا أن تبحر المطار فى الساعة الرابعة بعد الظهر . . . . . التى تكرم المسئولون عنها - مشكورين - بتأجيل موعد قيامها بضع دقائق ، حتى يتسنى لى أن الحق بها .

وكانت هذه المعاملة حلقة فى سلسلة متصلة الحلقات من أساليب التعامل معى بمجرد الافراج عنى . اذ اننى عوملت على طول الخط معاملة أهل السلطة ، لدرجة ان الصديق يوسف حلمى المحامى رحمه الله ( وكان قد أفرج عنه بسببى - لأنه حصل مثلى على حكم بالافراج ) . صحبنى الى منزلى ثم الى المطار وهو يصر طول الوقت على أن ينصحنى بألا أقبل دخول الوزارة الا بعد الافراج عن ابن اختى سعد كامل فضحكت كثيرا لأننى لم أكن أتصور ان الأمور ستجرى على هذا المنوال .

ولكن ضحكى سرعان ما خف وأصبح ذهولا حين نزلت من الطائرة فى الاسكندرية ، وتوجهت الى بولكلى - مقر رئيس الوزراء - ليحيط بى الصحفيون ويلاحقوننى بالأسئلة على اعتبار أننى أحد مصادر الأخبار ، وعلى الرغم من أنهم كانوا أول من يعرف أننى مفرج عنى لتوى وأن غبار المعتقل ما يزال عالقا بشيئى . وكنت كلما أكدت لهم أننى لا أعرف شيئا عما يجرى تصاعدت صيحات احتجاجهم لأننى أخفى عنهم الاسرار ، وأتجاهل أننى أنتمى الى قبيلة أصحاب الأقلام مثلهم .

وعبثا حاولت اقناعهم بأنهم يظلموننى مرتين . . مرة بعدم اقتناعهم بما أقول ، ومرة بضنهم بمعلوماتهم على «



ويظل فتحي رضوان أسيراً بين أيدي الصحفيين حتى يحضر رجل  
خطير ينقذه منهم ، رجل ساهم في توجيه بوصلة الأحداث في تلك الأيام  
التاريخية الحاسمة .

كان هذا الرجل هو سليمان حافظ ، الذي سحبه من يده ودخل  
به حديقة مجلس الوزراء في بولكلية .

وفي الحديقة وقف يفصح له عن السر في الإفراج عنه ، وعن السبب  
الذي دعا رئيس الوزراء الى استدعائه بهذه السرعة .  
ولم يصدق فتحي رضوان اذنيه عندما سمع .  
كانت المسألة كلها غلطة فادحة . . . !

\*\*\*



جاءت سيرة الشيخ الباقرى في سياق هذه الذكريات على قلم كامل الشناوى  
الذى شرح كيف كان انضمام الباقرى الى نظام المظفور له جمال عبد الناصر  
بداية طريق اللعودة بين الثورة والاخوان المسلمين . وان الحسرة لتفترس العلم  
وهو يسجل خصام الثورة مع الاخوان وقد كان تالفهما وتحالفهما كفيلا بوقايه  
البلاد من كثير من الاحزان التى تعرضت لها .

---

.. واذا سليمان حافظ يقول لي في هردو : ولا لجنة ضباط  
ولا حاجة .. بكرة ان شاء الله متعرف كل حاجة

---

## رئيس الوزراء آخر من يعلم!

كانت غلطة !

« قابلني سليمان حافظ هادئا غير منفعل .. وكان الأحداث ثم تفلح  
في تحريك شيء من تعقله الذي يبلغ أحيانا مبلغ البرود .. وقابلني غير  
مسرف في الترحيب بي .. كأنني كنت معه أمس .. ( ولا أنسى أن أقول  
انه زارني في المعتقل وهو وكيل لمجلس الدولة باذن رسمي .. وأذكر  
أنني حملته اثناء طعام فارغا وحقيبة ملابس مستعملة أخذهما الى بيتي  
ليسلمهما الى أسرتي ) .. وسليمان حافظ رجل تجنني عليه المتجنون كثيرا  
ونسبوا اليه أشياء لعله مات ولم يسمع بها .. نسبوا اليه أنه صاحب

عمره حل الأحزاب ، وأنه الذى أفسد العلاقة بين الوفد والثورة . وأنه  
كان يحقد حقدا دفيناً على مصطفى النحاس كما اتهمته الثورة فيما بعد -  
على لسان المرحوم صلاح سالم - بأنه كان وراء محمد نجيب فى إشعال  
أزمة مارس ١٩٥٤ ، التى كادت تختتم حياة الثورة ... الخ .

المهم كان فى انتظارى هذا الصديق والأخ المفترى عليه .. وأخذنى  
إلى ركن فى مبنى مجلس الوزراء فى هدوء تام ، وكأن مصر لا يهزها زلزال  
من الأعماق .. ثم جلس ووضع ساقاً على ساق ، وأخرج سبيجارتة المصرية  
الرخيصة وأنا أكاد أنفجر من الغيظ لهذا الهدوء ..

وأخيراً سألته ..

- خير ..

فقال .. خير إن شاء الله ( ثم بعد فترة صمت ) .. على ماهر عاوز  
ممكنك انك تفهمه إيه فى الدنيا !

أى دنيا ؟ وكيف أفهمه أنا ما فى الدنيا وأنا لتوى خارج مما يشبه  
الآخرة ، وقبل أن أصرح بذلك ، استطرد سليمان قائلاً .. أنه لا يستطيع  
أن يفهم أشياء كثيرة تقع الآن فالجيش زاحف من القاهرة إلى الاسكندرية ،  
والطائرات تحلق فى سمائها ، ومحمد نجيب وصل الآن إلى الاسكندرية .  
لماذا هذا كله ؟

وقال سليمان حافظ .. إن على ماهر باشا قال لى أنه كان متفقاً مع

فجيب و « أولاده » - الضباط الشبان - أنه سيقابلهم غدا السبت في القاهرة ٠٠ فقيم مجيئهم الآن الى الاسكندرية ! ٠٠٠ ومن هنا فأننى - سليمان حافظ يخاطب فتحى رضوان - اقترحت عليه أن يضرب عصفورين بحجر واحد ٠٠ أن يستدعيك ليستعين برأيك فى توضيح الموقف لسابق صلتك بهؤلاء الضباط من جهة ، وأن ينفذ حكما قضائيا بالافراج من جهة أخرى ، والآن ستقابله بهدف واضح محدد ٠٠ وهو أن تشرح له عقلية الضباط من جهة وأن أكون الوسيط بين رئيس الوزراء وبينهم من جهة أخرى .

اذن فقد كانت المسألة كلها غلطة . وكان سبب الافراج عنى ، واستدعائى ، انهم تصورا أنى « واصل » ! .

وصححت لسليمان حافظ المعلومات غير الصحيحة التى وصلتته عنى هلتنى بضباط الثورة ٠٠٠ وقلت له فى بساطة شديدة أننى لا اعرف أسماءهم ولا صورهم ، باستثناء أنور السادات .

ورفع سليمان حافظ عينيه الى فى دهشة ولكنه قال فى هدوء ٠٠ : كفاية أنور السادات أنت مش كنت محاميه ؟

وصححت له هذا أيضا . ذلك أننى لم أكن محامى أنور السادات ولو أن شقيقه « طلعت السادات » زارنى فى مكتبى موفداً منه لآكون محاميه وقد كان ذلك يسرنى بطبيعة الحال ، ولكن حال دون ذلك عائق فنى من الناحية القانونية لأنه كان متهما بالتحريض وكنت محاميا لحمسة كانت تهمتهم هى استجابتهم لتحريضه وان كنت أعرفه معرفة شخصية ٠٠ أولا فى قضية مقتل أمين عثمان ثم بعد ذلك تردد على مكتبى كثيرا .

وعرضت عليه ذات يوم أن ينضم الى اللجنة العليا للحزب الوطنى فوافق فى التو . واذكر أنه كان فى هذه الأثناء ينفذ عملية طلبات فى محافظة الشرقية . واذكر قبل ذلك أنه جاء الى مكتبى ومعه زميله الطيار حسن عزت ، وكانا يرتديان ثياب « المعلمين » . فقد كانا يتخفيان فى صورة شبّال « ومعلمه ! وكان القصد من الزيارة الاطمئنان انذاك على ( الفريق عزيز المصرى ) وكان مسجوننا فى سجن مصر ، وكنت الشخص الوحيد الذى يقابله ، بوصف محاميه ووكيله المشرف على أعماله .

وقطع حوارنا من دعائى لمقابلة على ماهر باشا . ورغم أن هذه المقابلة رقم ( مائة ) فى تاريخ علاقتنا الا أنني أحسست أنى أقابل شخصا لم أقابله من قبل . كما رأيت فى نفسى من وجهة نظره شخصا لم اعهده فى نفسى من قبل .

صحيح انه لم يكن يقابلنى فى الماضى الا بأحسن ما يلقى به رجل كريم الخلق شابا وطنيا يحترمه ويعرفه . ولكن بدا لى فى مقابلتى المشهورة تلك مع على ماهر ، قبيل غروب شمس يوم ٢٥ يوليو ١٩٥٢ ، ان الحفاوة التى بادرنى بها كانت من درجة وطبيعة وأسلوب جديد تماما . باختصار جعلنى أشعر بأننى ، ان لم أكن أرفع منه مقاما ، فعلى الأقل فى منزلته البروتوكولية .

وكم كانت صدمتى مروعة حين بدأ حديثه معى بمقدمة لم يكن لها مكان على الإطلاق ، اذ قال لى : تعرف انى لم اسمع انك ظفرت بحكمى أفرأج من مجلس الدولة لولا أن سليمان بك حافظ قد قال لى ذلك لا . ويلاحظ أن أحد هذين الحكمين صدرا ضد على ماهر باشا شخصا

وئيسا للوزراء » ثم قال : على كل حال ٠٠ أنت واخذ على الحكايات دى ،  
الحمد لله على السلامة ٠٠

ثم دخل الباشا فى الموضوع ٠٠ وأفضى الى بشبهاته وشكوكه فى  
الموقف ، وقال أنه لم يكن يرى ان هناك ضرورة لتحرك الجيش الى الاسكندرية  
والاجراءات التى لا يست هذا التحرك ٠٠ وقال ان الظروف حساسة ،  
وكل الجهات متأهبة للاستفادة مما يجد من ظروف ، ويحسن أن نسد باب  
الذرائع فى وجوه المتربصين ، وقد وافق الملك على جميع الطلبات التى  
طلبها « الجنرال » نجيب فيما عدا طلبهم تنحية « بولى » اذ قال ٠٠  
بولى ده خدامى وعمره ما اشتغل بالسياسة ، وأنا أعرفه من صغرى •

ومضى على ماهر باشا فقال ٠٠ فيما عدا هذا لم تبق الا حكاية تعديل  
قانون لجنة الضباط وهى اللجنة التى تنظر - على ما أعتقد - فى ترقية  
الضباط ، وقد ابدى الملك استعداده لقبول التعديل المقترح حتى يعرض  
عليه ، وهذا ما كنت أنوى أن أناقشه مع الجنرال نجيب غدا فى القاهرة •  
وأنت بفضل علاقتك بهؤلاء الضباط الشبان تستطيع أن تفهمهم الموقف •  
وأنا معتمد عليك فى أنك ستنقل اليهم تصوراتى • ( ثم سادت فترة  
صمت أردف بعدها ) ٠٠ ومش حلاقى محامى أحسن من كده بقى • وعلى  
كل حال فان الجنرال نجيب جاى الساعة ٨ علشان تكمل الكلام •



## ماذا أقول لهذا الرجل ؟

كان الموقف كله غريبا ومحيرا • وكان شديد الغموض ايضا • •  
على أن هذه المقابلة لم تكن آخر مفاجآت اليوم ، فقد عاد سليمان  
حافظ ينفرد بى فى حديقة بولكى ، بعد مقابلة على ماهر ، يقول لى  
يهده • •

— الرجل ده لازم يمشى •

وكان « الرجل ده » هو الملك فاروق !

قلت • • وهل الظروف تسمح؟ ان المسألة تحتاج الى درس واحتياط •  
والا انقلبت الامور على عكس ما • •

ولكن سليمان حافظ لم تهتز شعره فى رأسه ، وقاطعنى مكررا • •

— لا • • لا • • لازم يمشى !

اذن فقد تقرر مصير الملك ، ورئيس الوزراء لا يعلم !

ويروى فتحى رضوان أنه حتى الانجليز قد حذروا الملك من هذا  
المصير عندما كان مصطفى ما بين كابرى ودونيل عام ١٩٥١ • وأوفدوا  
إليه سفيره فى لندن « عبد الفتاح عمرو » ليلفغه رسالة فى ذروة السرية  
من الحكومة الانجليزية ، تقول فيها • • عد الى بلادك • • فان الحوادث  
التي تجرى فى مصر أخطر مما تتصور ، وعواقبها أضخم مما يتراعى لك •



لكن الملك رفض الاستماع الى النصيحة ، وقال لعمر و باشا ••

— مالك « خرج » كده وأعصابك لا تتحمل ؟ أمال بيقولوا عليك  
سبور « ازاي ؟

فقال عمرو باشا : يا مولانا هذه رسالة أنا مكلف بها •

فقال الملك ••

أنت « أهبل » • وبهزك أى كلام • اوعى تكون أخذت عريضة  
الباشوات جد ؟ ( وهى عريضة رفعها اليه عدد من كبار السياسيين  
يطالبون بمعالجة الأوضاع المتردية ) • أى واحد من دول لما أشاور له  
برجلى بعد ما أرجع مصر جيجى يوسها فى الحال •

وعبثا حاول عبد الفتاح عمرو أن يقنعه بأن المسألة أخطر من مجرد  
عريضة الباشوات • ولكن فاروق كان واثقا ان المفاتيح كلها فى يده ،  
ولم يخطر بباله أنه سيجى يوم يصبح خلعه فيه موضوعا مطروحا للمناقشة  
بين موظف فى مجلس الدولة وسجين خارج لتوه من المعتقل •

ويواصل فتحى رضوان رواية باقى الحديث •••

« سرتنى شجاعة سليمان حافظ وهدوءه وتصميمه • وانتقلت الى  
نفسى حالة الطمأنية التى كان يستشعرها ، فلم نتكلم فى هذا الموضوع  
بعد ذلك •

الا أنه انتقل الى معنى آخر أفزعنى . اذ قال عايزين ندعم وزارة على ماهر باثنين ضباط .. لأن زهير جرائه كان يقوم بأعمال وزارتين هما الشئون الاجتماعية والمواصلات ، فممكن نسند احدى الوزارتين لضابط ، ونشوف وزارة ثانية لضابط كمان ، لأن بينى وبينك وزارة على ماهر مش عاجبانى .

ويهدون أن انسب لنفسى الاطلاع على الغيب ، فأننى صرخت فى وجه سليمان حافظ مرة أخرى ولكنها هذه المرة كانت صيحة احتجاج ، وقلت ان هذا اتجاه لا تحمد عقباه .

ومع ذلك فبعد ٤٥ يوما تقريبا من هذا الحديث دخل فتحنى رضوان وزيرا فى أول وزارة يرأسها عسكرى فى تاريخ مصر ! . على أن هذه قصة أخرى سترد فيما بعد . ونترك فتحنى رضوان يروى ما حدث .. عندما انقطع الحوار بينه وبين سليمان حافظ ، بسبب قدوم اللواء نجيب للقابلة على ماهر: «كان وراء نجيب مباشرة البكباشى أنور السادات . وكانت لى صلة رسمية بسيطة جدا باللواء محمد نجيب ، اذ كنت قد مررت عليه بمكتبه فى حلمية الزيتون قبل اعتقالى بأيام بوصفى محاميا فى قضية تهريب نقد وقعت فى مطار القاهرة الذى كان تابعا من الناحية القضائية لسلاح الحدود . أما أنور السادات فقد كانت علاقتى به قديمة . وقد كان موشكا كما قلت أن ينضم الى اللجنة العليا للحزب الوطنى . ولهذا فأننى اتجهت الى السادات - مباشرة بعد أن حييت نجيب ، وقلت له على الفور : أنا عاوز ميعاد .

» فقال لى السادات .. الليلة مش ممكن . ابقى كلمنى الصبح .

وانصرفت ..

وذهبت انى فندق وندسور انتظر مكالمة من سليمان حافظ كان قد وعدنى بها واذا جاوزت الساعة العاشرة مساء بادرت بالاتصال به لأسأله عن مصير مهمته فى ثكنات القيادة بحى ( مصطفى باشا ) ، وكان مفروضا أن يناقش مع الضباط مشروع لجنة الضباط المختصة بترقيات القوات المسلحة وتنقلاتها .. ليعرض على باشا ماهر المشروع على الملك فيما بعد .

فبادرنى سليمان حافظ قائلا بصوته الهادى المهدود .. ولا لجنة ضباط ولا حاجة .. ان شاء الله بكره بدرى حتعرف كل حاجة . تصبح على خير !

وأدركت فى الحال أن مصير فاروق بن فؤاد قد تقرر ...  
**اقصر لقاء مع أنور السادات :**

صباح ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ، ذهب فتحى رضوان ( بعد ليلة جفاف فيها النوم ) الى بولكى ... ليسمع من محمد ماهر ~~مدير~~ مكتب على باشا ماهر بعض الأسرار الهامشية التى تصنع للاحداث نكهتها وحبكتها .

مثلا .. كيف فر الملك من قصر المنتزه الى قصر رأس التين فى جنح الليل بعد أن أحس بحصار الجيش حوله ، وكأنه سيوجد فى قصر رأس التين أمانا لم يجده فى المنتزه ولا سسيما أن لقصر رأس التين مرفأ بحرية ترسو عنده البواخر الملكية كالمحروسة وإقصر البحار ..

ثم كيف راح الملك يطارد على ماهر بالتليفون فى جناحه فى فندق  
سان استفانو لدرجة ان على ماهر كاد ينكفىء على وجهه وهو يهرول  
تجاه التليفون بعد أن فاجأه رنينه وهو يلبس البنطلون ! وكيف فقد  
على ماهر طاقته التقليدية على خفوت الصوت فى حضرة الملوك ، اذ صاح  
فجأة فى وجه الملك بلهجة تنم عن نفاد الصبر ..

— يا مولانا أنا جاى لك .. أنا جاى لك يا مولانا !

وكيف راح الملك يحاول الاتصال بالسفيرين البريطانى والأمريكى  
.. وكيف عجز عن الاتصال الا ببعض الموظفين الكبار فى السفارتين .  
وكيف اتصل السفير الأمريكى بعلى ماهر وطلب فى الحاح اتخاذ كل  
الاجراءات اللازمة لحماية الملك وضمان سلامته .

ثم كيف دخل سباركس السكرتير الأول للسفارة الأمريكية مضطربا  
حجرة مدير مكتب رئيس الوزراء ، وكأنه يشهد يوم الهول .. وكيف  
طمأنه محمد نجيب على باب غرفة رئيس الوزراء بكلمتين اثنتين هما :  
لا تقلق !

ونترك لفتحى رضوان زمام الحديث .

دخل محمد نجيب مكتب على ماهر ليلقى على مسامعه بالخبر الهائل .  
وكان معه أنور السادات .

اقال الاثنان لعلى ماهر أن اجتماع الضباط أمس مع سليمان حافظ

بالمشكلات لم يكن في حقيقته بسبب لجنة شئون الضباط ، وانما للتهيئة للحادث الهام الذى هم مقبلون عليه . . فقد تقرر عزل الملك واحتاج الأمر الى مزيد من ساعات الراحة فى الليل تأهبا لكل الاحتمالات ولاكمال الخطة واستطرد نجيب قائلا : أنا وأنور السادات أطلعنا سليمان حافظ فى الليلة السابقة على هذه النية ليعد العدة لكتابة وثيقة للتنازل عن العرش .

ثم سأل نجيب على ماهر . . هل أفزعك هذا القرار ؟  
غقال على ماهر بالانجليزية . . ماكنت ممن يفرون من الخدمة العسكرية !

وخرج نجيب من مكتب على ماهر . وخرج على ماهر ليخطر الملك بالقرار الجديد . وأذكر هنا ان على ماهر قال بعد ذلك . . لقد كان الأمر شاقا على بالذات . . ان انتهى الى الملك هذا القرار . فقد كنت أنا الذى اتخذت اجراءات المنادة به ملكا ، ثم عملت على تخفيض سن الرشد المقررة دستوريا له ، بأن سعت حتى احتسب عمره بالتقويم الهجرى وليس بالتقويم الميلادى ، وبذلك تسلم عرشه مبكرا خمسة شهور ونصف . . ولكنى على كل حال غير أسف اذ أبلغه هذا القرار لأنه استعصى على الاصلاح ورفض نصائحي وأبعدنى تماما عنه !

وخرج الملك . .

ولم يكن باقيا الا أن أقابل أنور السادات لأفضى إليه بالشيء الوحيد الذى كان يشغلنى ، وهو تأليف مجلس الوصاية .

وعلى باب ثكنات مصطفى باشا ( قيادة الاسكندرية ) خرج في  
السادات مرهقا ، ولكن محتفظا بلمعة عينيه ، وكان الى جواره ضابط  
علمت فيما بعد أنه حسين الشافعي .

وهنأت السادات بما تم وقلت له : ماذا تنون بشأن مجلس  
الوصاية ؟

فسألني السادات .. من ترشح ؟

قلت له .. سليمان حافظ .

فبدت تدهشة على أنور السادات وسألني ..

— هذا الرجل القصير القامة ؟

قلت .. نعم .

قال لي : هو ايه بالضبط ؟

قلت .. وكيل مجلس الدولة .

فعاد السادات يسألني .. واياه الى جابه في الحكايات دي ؟

قلت .. لأن قانون مجلس الدولة يجعل من وكيل المجلس المستشار

القانوني الرسمي لرئيس الوزراء .

فقال البكباشي أنور السادات .. آه ..

قالها طويلة ممطوطة . ثم استطرد . بقي كده ؟ .. وبترشح

ليه لمجلس الوصاية ؟

فقلت له .. لثلاثة أسباب .. أولا لأنه وطنى حارب الانجليز  
بالسلاح ، واتهم فى قضية مقتل السردار ، وكان عنقه قاب قوسين  
أو أدنى من المشنقة ، وليس هناك شخص فيما أعلم فى قوة أعصابه  
وتماسكه . وثانيا .. لأنه رجل اشتغل بالحياة العامة كمحام من الطراز  
الأول ، فاختلط بالناس اختلاطا حقيقيا مؤثرا وفعالا . وثالثا .. لأنه  
صاحب أصفى عقل قانونى فى مصر . فإذا أضفت اليه نزاهته وتجرده  
من المصلحة وتواضعه الغريب لكان مزيجا من الوطنية والقانون  
والسياسة .

ثم قال السادات .. وايه رأيك فى بهى الدين بركات !

فقلت على الفور .. سليمان حافظ أصلح .

وقال لى السادات .. ربنا يعمل الى فيه الخير . وتصافحنا .  
وانتهى الحوار .

وعلمت فيما بعد ، مما كتبه السادات بقلمه أنه تركنى لتوهِ ليلقى  
بجسده المرهق الذى لم يذق للنوم طعاما طيلة الساعات الاثنتين والسبعين  
التي سبقت هذا اللقاء ، على فراش الضابط النوبتجى على مدخل  
البيكنات .. ليستغرق فى نوم عميق لم يفق منه الا صبيحة اليوم التالى .

\*\*\*

## رشاد مهنا يكرر الغلطة :

على أن على ماهر لم يكن الوحيد الذى تصور أن فتحى رضوان « واصل » ، وانما وقع فى نفس الغلطة بعد ذلك أحد الضباط الثوار أنفسهم !

ونترك فتحى رضوان يروى انقصة ..

« فيما يتصل بترشيحى لسليمان حافظ لرئاسة مجلس الوصاية » وفيما بعد سيرشح فتحى رضوان سليمان حافظ نفسه لرئاسة مجلس الوزراء ) ، فقد علمت . فيما بعد أن الأمور ما كانت تسمح بترشيحه . اذا كان يجب أن يتألف المجلس من أمير من الأسرة المالكة ، ووزير سابق رحيم مشهود له بالنزاهة والنظافة ، وضابط .

ومعرفتى برشاد مهنا كانت ترجع الى ما قبل الثورة . اذ أننا كنا شبه جيران فى مصر الجديدة . وكان قد اتهم فى قضية سياسية عسكرية قبل الثورة مباشرة تستهدف اغتيال ابراهيم عطا الله رئيس أركان حرب الجيش المكروه فى أعين صغار الضباط ، وكنا نحن المشتغلين بالوطنية والسياسية نتابع هذه القضية من وجهة نظرنا . . وقد اكتسب رشاد مهنى شعبية بين ضباط الجيش بسبب تلك القضية وأذكر اننى قابلته بعد الافراج عنه وهنأته بذلك .



ثم حدث بعد عودتى من الاسكندرية فى أعقاب نجاح الثورة واستتباب الأمور لوزارة على ماهر . . حدث أن طرق باب بيتى زائر بغير موعد ، وكنت أخذ حمام فترة ما بعد القيلولة . وخرجت من الحمام لأفاجأ بأن بأن الزائر هو رشاد مهنا !

وكننت اعتبره جزءا من مجلس قيادة الثورة . . السلطة الوليدة المسيطرة . ولذلك أدهشنى انه جاء الى شاكيا ومحتجا لأن قيادة الثورة قد تجاهلته . وبدا الى انه كاد لا يسيطر على نفسه وهو يحدثنى من محمد نجيب ، الذى كان لا يستطيع أن يستقر على مقعده الا بعد أن يجلس رشاد مهنى — على حد قول رشاد — فاذا بنجيب ورفاقه بعد نجاح الثورة لا يقيمون له وزنا !

ودهشت مرتين . . مرة لأننى كنت أعتقد انه من الواصلين المسيطرين ، فاذا بمجيئه يدل على انه ليس كذلك . ومرة لأنه جاء الى يظن اننى من المشار اليه فى توجيه الاحداث ، مع أن الأمر لم يكن كذلك !! لم يكن كذلك !!

وخشيت أن أقول له انه لا يد لى فيما يجرى ، سواء بتجاهله او بضمه ، لأننى خشيت أن يسيء فهم اعتذارى هذا ، ويفسره على انه فهرب من التدخل لصالحه . .

لهذا طيبت خاطره ، واتفقنا على أن يلغى بى فى القصد فى دار الحزب الوطنى الجديد بشارع شريف بالقاهرة . وانصرف شاكرا . .

لا فاجأ في اليوم التالي وأنا أتصفح الصحف انه قد عين وزيرا للمواصلات،  
فحمدت الله على اننى أعفيت من مهمة لم يكن في وسعى أن أقدم فيها  
ولا أؤخر !

على اننى انتظرتة في الموعد الذى ضربته . وانقضى الموعد ولم  
يحضر . . وان كان قد اعتذر بعد انقضائه بساعات عن عدم مجيئه ،  
اذ اتصل مبينا عذره في عدم الحضور بأنه كان يرأس وقتها المجلس  
الأعلى للسكة الحديد ، فهناك ، وفهمت أن تعيينه في الوزارة كان خطوة  
دستورية تمهد لعضويته في مجلس الوصاية .  
يكون عضو بمجلس الوصاية وزيرا سابقا .

وقد أعطتنى هذه الواقعة صورة عما ينشأ في أذهان الناس عن  
الموجودين على مسرح من مسارح الأحداث أو قرييين منه ، مما قد  
يناقض الواقع أو يتفق معه كثيرا .  
عندما ظهر أنى « غير واصل » :

. على أن ذروة الدراما ، أو الكوميديا ، لا تكتمل . . الا بصورة  
لقاء آخر بين فتحي رضوان وعلى ماهر ، بعد أن عرف الأخير انه  
لا واصل ولا حاجة .

كانت وزارة على ماهر قد قضت عدة أسابيع سسارت الأمور  
إخلالها على نحو أزعج الناس جميعا ، اذ بدا لفترة من الزمن أن كل شيء

باق على ما كان عليه ، وكان الملك كان مجرد قطعة شطرنج عادية على  
الرقعة لا يموت كل شيء بموتها .

ونترك فتحى رضوان يتكلم . . .

طلبت من على ماهر موعدا على مضض . . وكنت أنوى أن  
أقول له فى ذلك الموعد جملة واحدة لا يستغرق القاؤها عليه سوى  
دقيقة . . كما كنت أريد أن أجرى تجربة انسانية ، أتأمل فيها التغيير  
الذى سيصيب على ماهر ( من حيث علاقته بى ) بعد أن أصبحت  
غير ذى نفع له . . ولقد كانت تجربة ممتعة حقا !

ذهبت الى ماهر فى الموعد المضروب ، فإذا بى أيقى فى انتظار الاذن  
لمى بعد الدخول ساعتين !

ولاول مرة فى حياتى لم أشأ فى موقف مثل هذا أن أتصرف مفضبا ،  
تفقد أحسست وكأننا نحن الاثنين خصمان فى مباراة أعصاب . . هو  
أريد أن أسلم وإياس وانصرف ، وأنا أريده ، أما ن يعتذر عن عدم  
المقابلة ويرمى القفاز فى وجهى ، أو يقهر على مقابلتى . . وحتى لا تفلت  
منى فرصة هذه التجربة الجميلة !

وعلى هذا الأساس تحملت الانتظار لمدة ساعتين حتى أقابل  
رئيس الوزراء. وشاهدت فى خلال هاتين الساعتين إقيلما سينمائيا ممتعا،  
فقد تقاطر على حجرة الانتظار لفيف من الشخصيات ظن معظمهم اننى

من عمد النظام الجديد ، إفاقبلوا على مهنيين أو محيين ، وتقبلت  
أعجابا من أناس بمقالات لم أكتبها ، وشكرا على مرافعات في قضايا لم  
أحضرها ، وتمجيذا على مواقف لم تخطر على بال !!

وبهذا دعيت للمقابلة على ماهر . ولست أنسى قط نظرة الدهشة  
التي بدت في عينيه وهو يلمحني أدخل حجرته بمعنويات مرتفعة ،  
ليس فيها غضب ولا حتى مجرد عتاب . واذ صافحني ودعاني إلى  
الجلوس قلت له مبتسما في هدوء .. يا باشا أنا لا أنوي أن أجلس .  
وأخشي أن أكون سأضيع عليك بعض وقتك الثمين .

فبدأ عليه الخجل من هذه اللهجة ، وتذكر المقابلة الأولى . وتمتم  
ببعض الكلمات .

واستطردت أنا .. أنني ولأحد ممن يتساءلون هل عزل الملك ؟  
وتغيرت ملامح على ماهر وسألني .. يعنى إيه ؟

قلت .. أنا لا أكاد أرى مظهرا واحدا من مظاهر التغيير . سلام  
عليكم !

وتوجهت لتوى نحو باب الخروج دون أن أنتظر رد السلام .  
وهرب ورائي على ماهر باشا رحمه الله دهشا وهو يطلب أن أجلس  
لنتكلم ، وعلى هذا النحو وجدنا مدير مكتبه وهو يفتح الباب .. الضيف  
الذى كان دخل لتوه بهم بالخروج ، ورئيس الوزراء لم يدخر وسعا في

حمله على الانصراف ويناشده الانتظار !

ولا بد أن على ماهر باشا فكر طويلا بعد خروج فتحى رضوان  
فى معنى هذه النحلة اليتيمة التى جاء المحامى الشاب الشائر ليقولها  
ويمشى . وعلى أية حال فان تفكيره لم يطل . . لأن الوزارة كلها ذهبت بعد  
أقل من ٨ ساعة من هذا اللقاء ، ودعى فتحى رضوان ليساهم فى  
صياغة الأحداث الجديدة والاتجاه الوليد .

فكيف كانت التجربة ؟

وكيف كانت تجرى الأمور فى كواليس حكومة يوليو الأولى ؟



دوى فتحي رضوان أن الملك سعود أعجب بشخصية عبد الناصر ... وهذا صحيح ، ولكن ما أغرب الدنيا ! ... فقد تراوحت بعد ذلك علاقة عبد الناصر "الك سعود بين أقصى العداء ( في أثناء الوحدة المصرية السورية ) وأقصى مودة ( من باب العداء المشترك تجاه الملك فيصل الشهيد ) ... وهذه هي سياسة لعنها الله ! ...

والعمارة تمثل الملك سعود مع الزعيم والسياسي العربي العظيم عبد الرحمن عزام الذي كان من أهم إنجازات الثورة في أول عهدها التخلص منه في منصب أمين الجامعة العربية . وقد يأتي وقت نرؤى فيه الأسرار الحقيقية لوقوع الخلاف بين ثورة عظيمة كثورة يوليو وسياسي عظيم كعبد الرحمن عزام .

---

وأعست من تصرف جمال سالم معى أننى تبخرت تمامًا من المكان !

---

## كل الناس يتجى يا افتد

لم يكن فتحى رضوان يعرف من رجال الثورة الوليدة الا أنور السادات . الى أن اكتشف بعد أيام غير قليلة من نشوب ثورة ٢٣ يوليو ان من بين أعضاء مجلس قيادة يوليو البكباشى يوسف منصور صديق الذى كان زميلا له فى مدرسة بنى سويف الثانوية .

ولكن هذا كان حال المصريين جميعا . فالذين قاموا بالثورة كانوا من

شباب الضباط وكان تنظيمهم سرياً ، ولم يكن الشعب يعرف عنهم شيئاً قبل ٢٣ يوليو .

كذلك لم يكن واضحاً مدى ما يريدون من تغيير ، وبأى سلاح سيفرضونه ، وكيف ، ومتى ، وإلى متى . .

كانت أيام تعارف ، استكشاف ، وجس نبض متبادل . تفاعلت فيها الرؤى والشخصيات ، ولم ينجل دخانها الا وقد فشلت أولى تجربة للحكم الثورى بوزارة مدنية ، وفرضت الحاجة أول وزارة يرأسها عسكري فى تاريخ مصر الحديث .

ونترك فتحى رضوان يرسم الصورة ، ويروى الأحداث . .  
يقول فتحى رضوان انه فى تلك الأيام أصابت جهاز الدولة حالة تثير الاشفاق واحيانا تثير الضحك .

من ذلك ما حدث فى وزارة الداخلية مثلاً . . اذ ذهب ضابطان شابان - بدافع من حسن النية والتحمس للإصلاح فيما أتصور - وسيطرا على كل صغيرة وكبيرة فى الوزارة المذكورة وتوليا اكبر السلطات ، دون أن يقدموا الى أى انسان ما يدل على انهما مكلفان رسمياً بهذا الاشراف ، الذى ألقى كل اختصاصات الوزير وكل صلاحياته .

وبقى الضابطان الشابان يديران وزارة الداخلية دون أن يدري عبد الناصر بذلك الا عن طريق المصادفة ، وكان ذلك حين ذهب الصحفى



حلمى سلام الى جمال عبد الناصر يستنجزه أوراقا معينة في مكتب (ع) و (م) وهما الضابطان الشابان .

فسأل جمال عبد الناصر مندهشا .. من هما .. ولما عرف انهما وزير الداخلية غير المسؤولين قام الى التليفون ليسأل عبد الحكيم عامر . فلم تقل دهشة عبد الحكيم عن دهشة جمال وسأله .. ومين قال أن الضابط (ع) في الداخلية ؟

وبعد دقائق طلب عبد الناصر الى الضابطين الشابين أن يبرحا الوزارة ولا يعودا اليها !

وحكاية أخرى مماثلة ، حدثت في شركة مصر الجديدة . اذ دخل أحد المهندسين الضباط على مكتب رئيس مجلس الإدارة وقال له أن القيادة أرسلته عضوا منتدبا في الشركة .

وعلى الفور هيأت الشركة للضابط المهندس الشاب ( ) وقد أصبح فيما بعد صاحب مكتب هندسى كبير ( مكتبا ملائما لصلاحياته الجديدة . وأقبل على ممارسة عمله كعضو منتدب بحماس ونجاح .

وبعد فترة اكتشف السيد عبد اللطيف البغدادي ان أحدا لم يصدر أى قرار بتعيين المهندس المذكور في المنصب المذكور ، وأنه ظل يمارس بالإشراف وبوقع الأوراق ويصدر القرارات بناء على خبر نقله بنفسه شفويا الى المسؤولين عن الشركة .. وصدقوه .

## أغرب لقاء مع جمال سالم :

ولكن ، أين كان فتحى رضوان فى تلك الأيام ؟

كان على حد قوله يستمتع بأول وآخر اجازة نالها منذ أيام الصبا ، ليستجم من فترة الاعتقال . وقد نصحه الأصدقاء « برأس البر » وكان لم يرها فى حياته .

ومن الطريف انه بعد هذه الاجازة بسنوات ، وبعد أن أصبح فتحى رضوان وزيرا للمواصلات كتب الصحفى محمد التابعى مقالا يطالبه فيه بتوفير قطارات مريحة لرأس البر ، وقال فيه .. « وأنا أعرف ان السيد الوزير من عشاق هذا المصيف البديع ذى الشخصية المميزة » . ولم يكن التابعى يعلم أن المرة التى رآه فيها فى رأس البر كانت الأولى والأخيرة .

ونترك الآن فتحى رضوان يروى ما بعد هذه الاجازة ، وتفاصيل التعارف التاريخى بينه وبين رجال الثورة .

بعد عودتى من اجازتى الوحيدة ، بدأت أتردد على نادى هليوبوليس . وذات مساء من أوائل شهر سبتمبر لقينى على الباب شاب وحيانى وكان ذلك أمرا عاديا لأننى كنت عضوا عريقا بالنادى ، وكانت قصة اعتقالى والانفراج عنى معروفة وذائعة . ولكن الشاب فاجأنى بقوله .. أنت مابتجيش ( عندنا ) ليه يا أفندم ؟

فارتبكت جدا ، لأننى تصورت انه أحد ذوى قرباى البعيدين أو  
أصدقائى ، وان ذاكرتى قد ضعفت فلم أستطع أن أتبين شخصيته .  
على اننى اعتذرت له عن عدم مجيئى ( عندهم ) بأننى عائد لثوى من  
المصيف بالأمس فقط . فاذا به يستطرد ملحا ..

— لكن برضه ( نحب ) انك ( تشرفنا ) .. وازداد شعورى بالحرج .  
وبان على وجهى إيجلاء اننى أفهم ماذا يعنى . فسال اسمه . ولم  
التقط ساعتها الاسم . وانما فهمت انه ضابط وانه يتحدث عن مجلس  
قيادة الثورة . وان ( عندنا ) هذه تعود على هذا المجلس .

فقلت له : واآجى ( عندكم ) أعمل ايه ! قال ببساطة : ( يا أفندم )  
كل الناس بتيجى ! .

فأفهمته ان كل الناس تذهب الى مجلس القيادة لأن عندها ما تقوله  
أو تطلبه أو تقترحه .. أما أنا فليس عندى ما أقوله أو أطلبه أو أقترحه .  
وانا لا اعرف من مجلس القيادة احدا الا انور السادات ، وهو يعرفنى  
جيذا ويعرف أفكارى .

فقال لى .. يا أفندم . لا أشك لحظة واحدة فى أن رئيس اللجنة  
السياسية ( بتاعتنا ) واسمه البكباشى جمال عبد الناصر ، يجب أن  
يراك .. وأنا سأحدد لسيادتك موعدا معه .

واقسم ان اسم جمال عبد الناصر لم يعلق يومها فى ذاكرتى .

أما هذا الضابط الشاب الفاضل ، فكان هو السفير عبد المنعم النجار  
قيما بعد .

ولم أعلق كثير على ما دار في هذا اللقاء ، واعتبرت أنه من أحاديث  
المصادفة العابرة ولم يترتب عليه أى تفكير أو تعديل في مسار برامجي .

ولكن الشاب نفسه اتصل بى بعد يومين وقال لى أنه نحدد يوم  
الجمعة التالى الساعة الثانية عشرة ظهرا لمقابلتى مع صاحب اسم ثالث  
( لا هو عبد الناصر ولا أنور السادات ) وإنما هو عبد الحكيم عامر . وأنه  
قد تحدثت لى الساعة السادسة من مساء السبت لمقابلة صاحب اسم  
رابع هو جمال سالم .

وأقول الحق فقد كان كل من اللقائين لا يمكن أن ينسى . فأحدهما  
يقف فى قمة الجدية والثانى يقف فى قمة الكوميديا !

ذهبت الى مقابلة عبد الحكيم عامر فى الموعد المحدد . وقابلت ضابطا  
هادئا ، مهذباً طويل القامة ، بسيطاً غاية البساطة لم يضيع لحظة فى  
لأجراءات أو مجاملات ومقدمات التحية والترحيب وإنما قال لى . تفضل .

دهشت وسألته .. اتفضل بماذا ؟

قال .. أنا عاوز أسمع .

قلت مبتسما ومندهشا .. تسمع ايه ؟

قال فى اقتضاب .. أنا عارف احنا اللى طالبينك .. وأنا احب انك  
تتكلم .

فتحدثت حديثا متصلا لم ينقطع خلال ساعة كاملة أو ما يقرب من الساعة . وأذكر أن عبد الحكيم عامر في آخر الحديث وضع رأسه بين يديه ، وأطرق منثنيا نحو الأرض وبدأ عليه أنه كان مستغرقا في الاستماع ومتأثرا غاية التأثير به . . ثم رفع رأسه بعد أن انتهت من كلامي وقال . .

— هذا الكلام لا أستطيع أن أنقله الى اخواني كده كله . . هل لديك مانع ان تكررره على اسماعهم يوم الأحد القادم، الساعة الثانية عشرة ظهرا! .

لم يعقب بأكثر من ذلك . ولم يقل كلمة أعجاب . وتم يتقدم باستفسار . . ومع ذلك فأنا اعتبر أن تأثيره البادى على وجهه كان أعظم تحية لقيتها فى حياتى البيانية .

وخرجت لأعود فى الساعة السادسة من اليوم التالى لمقابلة جمال سالم ، فى مقر قيادة الثورة بكوبرى القبة ، الذى كان خاليا فى تلك الساعة تقريبا من كل حركة أو نامة على حد تعبير المنفلوطى الكاتب المصرى الشهير .

وفى الدور الثانى ، فى حجرة قريبة من أعلى السلم ، دخلت لأواجه بضابط طيار طويل القامة . . فى حجرة مضاعة بتور ساطع وامامه اكوام من الأوراق ، وفى يده قلم يمر به على ما امامه كلمة كلمة .

ولما دخلت عليه رفع رأسه نحوى وحيانى تحية ودية . وبعد أن صافحنى طلب لى فنجان قهوة ثم استدار الى ما امامه من أوراق دون أن يبادلنى كلمة واحدة !

وجاءت القصة وهو مستغرق في قراءة الورق الذي بين يديه : تارة بصوت مسموع وتارة بتحرك الشفتين ، وهو بين هذا وذاك يكتب بالقلم تعليقا على هذه الورقة أو تلك وأحسست ان الرجل يتصرف على أساس اننى تبخرت تماما من المكان !  
وطال الموقف على هذه الصورة الغريبة . ولكنه لم يخرجنى من

صبرى لسبب بسيط هو اننى وجدت فى تأمل هذا الموقف الغريب متعة . باختصار شعرت ان فتحى رضوان يتفرج على فتحى رضوان وهو فى هذا الموقف الغريب . .

وفجأة . . سنحت لى فرصة قطع الصمت من جانبى . اذ سمعته يتفوه بتعليق مسموع يخاطب به نفسه ( دون أن يولبنى أى التفات ) على ورقة من الأوراق أمامه ، كانت صادرة من موظف مصلحة السجون الى مجلس قيادة الثورة تحوى اقتراحات وآراء بشأن تطهير واصلاح السجون .

واذا بجمال سائم يقول . . الناس دول فاكرين ايه . . احنا صلحنا الجيش بتاعنا . . وكل واحد يصلح مصلحته .

فقلت له دون أن يدعونى للكلام . . معنى هذا ان الحكومة ستفتت أو تصبح فى كل مصلحة ثورة خاصة بها .

فلم يلتفت الى تعليقى ، ولا ظهر عليه انه يشعر اننى موجود . واستمر يقرأ ويعلق ، تارة بالكتابة وتارة بالحديث الى نفسه

فقلت لنفسي ان الموقف لن ينتهي بهذا الشكل . ومن جديد عدت أقول له : هل سيادتك تعلم أنني مدعو لمقابلتك أم لا ؟ فنظر الى رحمه الله طويلا كأنه يكتشف وجودي في الغرفة لأول مرة . . . ولا أدري ان كان قال لي شيئا أو لم يقل . على أنني أوهمت نفسي انه قال . . . نعم . . . وبدأت أتكلم بسرعة . وتوترت خفيف .

قلت . . . من الواضح لدى أن مشاغلك لن تسمح بسماعي . وسأكون تحت أمرك اذا رايت أن تحدد لي موعدا آخر .

فقفز جمال سالم واقفا لتوه . . . وهز يدي بحماس شديد كأنه سمع مني أحسن كلام سمعه في حياته . ثم ودعني الى باب الحجرة ، ثم الى رأس السلم .

وانطلقت على السلم وأنا متصور انه عاد الى مكتبه . . . فاذا به في أعقابى وفي آخر السلم عاد فودعني توديعا حارا جدا مرة أخرى .

واستدرت شاكرا بعد هذا الوداع الحار رقم (٢) ، الى باب الخروج أنتظر سيارتي فاذا به يتابعني في وقفتي ويعاود توديعي . واذ جاءت السيارة ونزلت أركبها . راح جمال سالم يهبط درجات السلالم بسرعة ويقف وقفة عسكرية ( زنهار ) ويحييني تحية عسكرية وأنا في السيارة لا أكاد أفيق من الدهشة .

رحمه الله كان رجلا صادقا مع نفسه . مستقيم الطبع جدا ، عنيفا جدا ومتقلبا جدا .  
كيف حال على ؟

هكذا كانت مقابلات التعارف الأولى .  
لكن التعارف الأعرق مع الثوار الجدد كان بعد ذلك . في الموعد

الذى ضربه عبد الحكيم عامر لفتحى رضوان ، لكى يأتى ويقابل مجلس القيادة مجتمعا ..

ترك فتحى رضوان يروى القصة ..

لما جاء اليوم المحدد لاجتماعى بمجلس قيادة الثورة ، جلست فى القاعة الخارجية قليلا الى أن اكتمل عقد مجلس القيادة ..

ثم دخلت عليهم ، واذا بشاب منهم يتجه ناحيتى ويسألنى :

— كيف حال « على » ؟

ولما كنت لا أعرف شخصا من المتصلين بى اسمه « على » فأننى اضطرت أن أقول وقد اتهمت ذاكرتى بالنسيان .. خير كويس .

قلتها بطريقة عاتمة لم تخف عن الضابط الطيار الشاب ، فاردفه قائلا .. أنا عبد اللطيف البغدادى . وواضح أنك نسيتنى . لقد رأيتك وحضرت معك اجتماع شباب الحزب الوطنى الذى عقدتموه بجوار بنك مصر . وبعد الاجتماع ركبت معك فى سيارة « على الجرحى » الى جريدة الأخيار . وكنت جالسا الى جوارك وتبادلنا معك الحديث .

وقد أحسست لأول وهلة اننى بين شباب تربطنى بهم صلات قديمة ، وانهم يتصرفون تصرفات لا كلفة فيها ولا تظاهر . وقد أعطونى أذانهم ووجدانهم وانتباههم وتفكيرهم بلا مقاطعات تقريبا .. الا مرة أو مرتين حين وجه المرحوم صلاح سالم بعض المداعبات الى أنور السادات وكمال المدين حسين وهى مداعبات زادت من روح الألفة فى الاجتماع .



وخلاصة ما قلته في ذلك اليوم أن الثورة أسلمت ذقتها وروحها إلى من لا يؤمن بها ولا يمكن أن تؤدي رسالتها بهذه الطريقة . وانه يجب ان تتغير العقلية السياسية للبلد . فلا يمكن ان يختار الوزراء بمعايير أخرى لا يتقيد فيها الاختيار بالنسب ولا بالوظيفة السابقة . فالوزارة ليست رأس هرم . ولا درجة عليا تأتي على رأس التدرج الوظيفي . . وانما يشترط فيها الكفاءة والمضى الوطنى والقدرة على تحمل المسؤوليات الجديدة . ان مجلس الوزراء يجب ان يتحول الى خلية ثورية أو لجنة تتناول جميع الأمور بروح الهدم والبناء بروح الوصول الى الأهداف المطلوبة بأقصر الطرق وأسرعها .

ايضا طريقة التربية السياسية والتوجيه وفي مقدمتها الاذاعة والصحافة يجب أن تتغير . فأننا لا نصور أن يكون هناك اجتماع سياسى مثلا في سرادق وأن يتوالى المتحدثون على المنبر ساعات . . ثم ينفض المجتمعون كأنهم كانوا في حلقة ذكر . ان الاجتماع السياسى فى رأى يجب أن يعقد فى الميادين ، وتنقل تفاصيله عبر ميكرفون الاذاعة . ويتقدم فيه واحد بكلام محدد . ويجب أن يكون له نشيد يرتله المستمعون وينقل الى أجزاء العاصمة أو المدينة المنعقد فيها حماسه ( ولا يزال فتحى رضوان يرى أن مصر ينقصها حتى الآن نشيد قومى مثل حفظ الله الملك فى انجلترا ، والماريسليز الفرنسى وغيرهما .

وقلت أيضا انه يجب أن يعاد بناء الجهاز الحكومى على اساس يختلف تماما عن الاسس التى تعتبر الشهادة جواز المرور للوظيفة وان لكل شهادة سعرا ، ولو كان حاملا لها لا يؤدي العمل ، على أحسن وجه .

وقلت ان السلك السياسى الخارجى معطل تماما . لا يعرف شيئا عن شئون البلد فقد كان السفير حين يحضر للقاهرة لا يستطيع ان يقابل الملك ولا رئيس الوزراء ولا وزير الخارجية والسفارات خالية تماما من أى شىء يقدم الى اهل البلد الاجنبى اهل الوطن المصرى . . وافضت في هذا المعنى كثيرا .

وسألونى ما رأيك فى الدستور ؟ فقلت لهم أن دستور ١٩٢٣ الذى يجب اسقاطه فيما بعد كان دستورا نموذجيا . . لأنه كان يقرر أن الأمة مصدر السلطة وأن الملك يملك ولا يحكم ، أن أوامره المكتوبة والشفوية لا تعفى الوزارة من المسؤولية ، وأن المجلس التشريعى يملك اسقاط الوزارة ، ويملك مساءلة الوزير ، ويملك محاكمة الوزراء ، ولكن الدستور هو الشعب . فالشعب الذى يفرط فى حقوق نفسه لا ينفعه أى دستور مهما كانت الضمانات الموجودة فيها .

وقلت لان مهمتنا الاولى هى أن نخلق رأيا عاما قادرا على ان يقيم الدستور حين يعتدى عليه . . لا أن نصدر دستور لى ندع أحكامه تسقط الواحد بعد الآخر .

وطالبت بالانقطاع التام فى المحاكمات لأن هذا يحدث بليلة ويعطل العمل الثورى .

واقترحت أن يعين مكتب يتلقى جميع الاتهامات والادعاءات فما قام الدليل على صحته يحال الى المحكمة الثورية لتفصل فيه حالا ، وتطمئن النفوس وتستقر الضمائر والخواطر .

وقبل أن ينتهى كلامى عدت فلخصته بوضوح قائلا . .

على ماهر يجب أن يذهب .

يجب أن تشكل وزارة جديدة من الشباب الوطنى صاحب الماضى الوطنى المتمتع بكفاية فنية .

الوزارة يجب أن يكون رئيسها سليمان حافظ .

يجب انشاء وزارة للدعاية .

يجب الاعتماد الكامل بجهاز الاذاعة وتغيير برامجه فلسفة وتخطيطا وتنفيذا وأسلوبا .

يجب تغيير النظرة الى الصحافة وتزويدها بدم جديد وبأساليب تحرير جديدة .

الاصلاح الادارى يجب أن يكون هدفه سريعا وبسيطا ( وأذكر أننى فى هذا اليوم ألقى أول مرافعة للدفاع عن « الروتين » ، وإثبات ان « الروتين » نظام ، وانه لا دولة بغير نظام أى روتين . أما التعقيدات فى القانون فيمكن ازالتها دون هدم فكرة القانون كله ودون هدم الروتين .

هذا ما اذكره الآن عن حديثى الى مجلس قيادة الثورة فى هذا الاجتماع .

ولا أحسب أن نجاح كلامى كان راجعا الى عباراته ، بقدر ما كان فى الروح العامة التى تمشت ، روح التجديد ، والهدم للبناء ، ولعل أكثر ما تأثروا به - كما قال لى فيما بعد صلاح سالم - انه أول كلام

سمعه فى مجلس قيادة الثورة الم يمدح فيه المتكلم نفسه ولم يهاجم  
المسئول وكل همسة كل كلمة . . واذا باللواء نجيب يبدأ كلامه موجه الخطاب  
واستدعانى . ثم انهم تصوروا انى واحد من هؤلاء الضباط ولكن فى  
ثياب مدنية .

وبطبيعة الحال كانت هناك تفرعات وأسئلة من هنا وهناك لشرح  
بعض ما أجملته .

وكان قد استأثر بالتباهى فى تلك الجلسة مشهد ضابط طويل  
أسمر اللون ، صامت يجذب أنفاسا عميقة من سيجارة بين أصابعه  
بحركات تنم عن التركيز والانشغال حتى عن الاستمتاع بالسيجارة .  
وقد حدث فى أثناء حديثى أن قاطعنى قائلا . .

ـ انت مش 'فاكرنى ؟

ولما كنت قد أنست الى المجلس ، فقد قلت له على الفور . .  
لا تؤاخذنى . أبدا مش فكرك . فقال لى . انا جمال عبد الناصر ، انا  
كنت فى شعبة مصر انفتاه فى باب الشعرية ورئيسنا فيها كان محمد  
صبيح . وكنت أيامها طالبا بالحقوق . ثم تركتها لالتحق بالحريسة  
بهدف . وسكت . ولم أسأله عن الهدف الذى أشار اليه . فقد كان  
الهدف واضحا .

**وانتهت الوزادة ! .**

وخرج فتحن رضوان من لقاءه السرى بمجلس قيادة الثورة وهو

متأكد مائة في المائة أن ساعات وزارة على ماهر قد أصبحت معدودة ..

فذهب من توه الى منزل صديقه الدكتور نور الدين طراف وكان قد دخل انوزارة الماهرية الثانية لوزير البلدية ودخل معه محمود محمد محمود .

ونترك افتحى رضوان يروى القصة بالفاظه ..

« قلت لنور الدين طراف .. اننى أعلم يقيننا أن الوزارة التي أعلن انه سيشارك فيها لن ينقضى عليها أكثر من ٢٤ ساعة .. فاذا كنت حريصا على الاسبقية البروتوكولية فأدخل الوزارة واد اليمين الدستورية .. أما اذا كنت لا تريد أن تكون من وزراء العهد البائد ، والا ينسب الى اسمك تاريخيا اللشراكة في وزارة على ماهر ، فعلى الأقل اعتذر عن أداء اليمين لآى سبب ولو لمدة ٢٤ ساعة .

ولم يأخذ أخى نور الدين طراف بنصيحتى ربما لأن تجربته فى السياسة قد علمته أن السياسة لا منطق لها، وأن الوزارة التي لا يقدر لها أن تعيش يوما واحدا قد تبقى أعواما ..

والوزارة التي تؤلف لتعيش الى ما شاء الله قد لا يمد الله فى حبل عمرها أكثر من ساعات معدودات .

ومن العجيب أن هذا يتلاءم مع عقيدتى أو نظيرتى الشخصية فى أن الأشياء المؤقتة فى السياسة هى الباقية . فالاحتلال البريطانى جاء

« مؤقّتا » لبقى ٧٤ سنة . والأحكام العرفية التي اعلنت يوم ٢٦ يناير عام ١٩٥٢ قال النحاس باشا بملء فمه انها تعلن مؤقّتا . ثم ظلت قائمة في مصر ائى ما بعد وفاة جمال عبد الناصر ! .

وهنا يقول فتحى رضوان أن نور الدين طراف لو أخذ بنصيحتي لضاعت عليه تجربة انسانية لطيفة ذلك أن الدكتور طراف في اليوم الوحيد الذي باشر فيه عمله كوزير للشئون البلدية والقروية قبل أن تطيح القيادة ثاني يوم بالوزارة كلها كان قد فوض أحد موظفي البلديات اختصاصات مدير البلدية بسبب غياب المدير والوكيل ، وذلك بناء على طلب متواضع من هذا الموظف وفي اليوم التالي عندما دعى نور الدين طراف لأداء اليمين في وزارة نجيب وجد أن زميله في الوزارة الجديدة للشئون البلدية هو نفس الموظف الذي كان يرجوه أن يفوض اليه فقط اختصاص رئيس بلدية واحدة من ضمن عشرات البلديات التابعة للوزارة وكان هذا الوزير الجديد هو الأستاذ عبد العزيز على .

وبعد أقل من ٢٤ ساعة ، دعى فتحى رضوان للمشاركة في الوزارة الجديدة ، بل للمشاركة في اختيار الوزراء الجدد .

وفي الحقيقة أخذ مجلس قيادة الثورة برأيه في كل شيء .. الا في شيء واحد ، هو أن يكون سليمان حافظ رئيس الوزارة الجديدة .

والانصل التالى .. حيث بأخذنا فتحى رضوان معه الى مكتب الرئيس « اللواء محمد نجيب » لنرى صورة حية نابضة للطريقة التي تألفت بها أول وزارة عسكرية في تاريخ مصر الحديث .

---

وقال محمد حسين كركاشي في مجلس النواب: انهم في ثورتهم

---

## الوزير والأخير

لم يمض ٢٤ ساعة على الاجتماع الذي عقده مجلس الثورة للتعارف مع فتحي رضوان ، والاستماع الى آرائه ، حتى فوجيء المحاور الناصر ثلاث مفاجآت ٠٠

المفاجأة الأولى ٠٠ أنهم أخذوا برأيه في تشكيل وزارة ثورية ، لا يشترط أن يكون للوزير فيها شارب يقف عليه الصقر ، أو كرش يتيه

به على العاملين ، أو نفوذ يرتكز على الجاه أو الثروة . وأنما تتألف  
الخالقية الثورية من شبان ماضيهم ناصع ، وفكرهم متقدم ، ووطنيتهم  
ليست محل شبهة .

والمفاجأة الثانية .. أنهم اختاروه عضوا في هذه الوزارة .  
والمفاجأة الثالثة .. والكبرى .. أنهم قرروا ، على عكس رأيه  
تماما ، أن يرأسها عسكري !  
ونترك فتحى رضوان يروى كيف حدث هذا ، وماذا جرى بعده .  
يقول فتحى رضوان ..

« بعد أقل من ٢٤ ساعة من انصرافى من مجلس قيادة الثورة .  
كنت فى مقر ادارة قضايا الحكومة وكان مقرها شارع الفلكى . فوجدت  
سليمان حافظ خارجا من مكان ما فى ساحة الادارة . وتصافحنا ..  
فإذا به يقول لى بمنتهى الهدوء .. تعال النهارده الساعة ١٢ فى مجلس  
القيادة !

قلت له .. خير .

قال .. الوزارة الجديدة يجرى تشكيلها . وأنت مدعو للمشاركة  
فيها . وفكرت أخذوا بها وفاتحونى فى أن أتولى رئاسة الوزارة . ولكن  
أنا قلت لهم .. ان الوزارة كبرت وتحتاج الى شخصية دولية لا شخصية  
قانونية . ولذلك اقترحت عليهم أن يكون محمد نجيب هو رئيس الوزراء  
الجديد !



« فصرخت .. عملت كده ليه ؟ أنت لسه عند فكرة ادخال الضباط  
فى الحكومة ؟

« فقال سليمان حافظ يرد على صرختى .. محمد نجيب رجل  
مدنى . لماذا تحسبه على العسكريين ؟

فشعرت بهم كبير . وكدت لا ألبى الدعوة .

ولكن قلت لنفسى .. لعل من الخير أن أكون موجودا . فلعلى أكون  
قادرا على أن أمنع شرا . وأرجو ألا يكون فى هذا فرط اعتداد بالنفس .

وذهبت الى مجلس قيادة الثورة فوجدته مجتمعا . ووجدت جمال  
عبد الناصر وقد اتضحت شخصيته أكثر ، وبدأ دوره الحقيقى أشد  
وضوحا .

وبدأت أذكر أسماء الذين أرشحهم . فلم يعترض على أحد منهم  
قط . وتولى اللواء محمد نجيب دعوتهم بنفسه واحدا فى أثر الآخر .

وأذكر أننى رشحت فى ذلك اليوم سليمان حافظ ليكون نائبا  
لرئيس الوزراء ، وحسين أبو زيد ليكون وزيرا للمواصلات . والدكتور  
محمد صبرى منصور وزيرا للتجارة والصناعة ، وفريد أنطون وزيرا  
للتموين . وأحمد فراج وزيرا للخارجية . والأخير دخل قاعة مجلس  
الثورة وهو لا يعلم ان كان مسوقا للاعتقال أو لدخول الوزارة !  
وفى ذلك اليوم اعتذر عن دخول الوزارة أكثر من عشرين

مرشحا ( !! ) .. أذكر منهم محمود محمد محمود ، ومريت شاذل ،

وابراهيم بيومى مذكور ، وحامد سليمان ، وحفنى ( باشا ) محمود .  
وكانت طريقة الدعوة الى دخول الوزارة فى بعض الأحيان من أسباب  
الاعتذار عن دخولها . . فمثلا حفنى محمود كان مسافرا الى الاسكندرية  
فى الطريق الصحراوى . فلحقته به سيارة جيب من سيارات الشرطة  
العسكرية . واستعادته الى القاهرة بدون أن تقدم له سببا واضحا . .  
لأن قائد الحملة نفسه لم يكن يعلم السبب . وبهذه الطريقة دخل حفنى  
محمود مجلس قيادة الثورة وهو يظن أنه مطلوب للاعتقال . . فلما عرف  
أنه مرشح للوزارة اعتذر فى الحال .

مرشح آخر اعتذر فى الحال قبل أن يستمع الى باقى كلام محمد  
نجيب . وهو السيد زكى شرف وكيل وزارة العدل . اذ اتصل به  
اللواء محمد نجيب تليفونيا ، وصاح يخاطبه قائلاً وسط ضجيج فى  
القاعة . .

— يا زكى بيه . . احنا يسعدنا تكون ويانا فى الوزارة الجديدة .

ومضت لحظة صمت . تبعثها نظرة دهشة من محمد نجيب لنا وهو  
يقول . .

— الراجل اعتذر قبل ما أكمل كلامى !

وراح محمد نجيب يكرر الدعوة . . وراح زكى شرف يكرر  
الاعتذار !

وكان زكى شرف واحدا من ثلاثة . قدم المرحوم المستشار حسن

الهضيبي ( المرشد العام للاخوان المسلمين ) أسماءهم بنفسه ، ليمثلوا  
الاخوان المسلمين في الوزارة ..

أولهم كمال الديب الذي كان محافظا في ذلك اليوم لمدينة  
الاسكندرية ، ولم يتم دخوله الوزارة لأن جمال عبد الناصر كان مصمما  
على تأليف الوزارة في نفس اليوم بأى شكل . على أن تؤدي اليمين  
الدستورية بعد المراسيم والاجتماع يكامل هيئتها . ولأنه تعذر استدعاء  
كمال الديب على الفور . فقد صرف النظر على ترشيحه !

وثاني المرشحين الاخوانيين كان زكي شرف الذي اعتذر كما رأينا .  
وثالثهم أحمد حسنى الذى قبل على الفور دخول الوزارة .

في ذلك الوقت كان في الحجرة المجاورة شباب الإخوان المسلمين .  
ومنهم منير دلة وحسن العشماوى . وكانوا قد اتفقوا فيما بينهم على أن  
تأخذ الثورة واحدا من مرشحي الهضيبي وواحدا من الشباب وفهمت  
بعد فترة وجيزة من بدء الحديث ان هذا المرشح هو المرحوم الأستاذ  
حسن العشماوى . فاذا به يقول .. اذا أردتم مرشحا اخوانيا شابا .  
فأنا أرشح لكم الشيخ أحمد حسن الباقورى .

واذا بجمال عبد الناصر رحمه الله يجذبني برفق الى زاوية في  
الصالون ويسألني ..

— انت بتقول مين ؟

قلت .. الشيخ الباقورى ..

قال .. مين ؟

فقلت .. الشيخ الباقورى ..

ولمحت فى عينيه نظرة تساؤل . كان من الواضح انها المرة الأولى  
«لتى يسمع فيها بهذا الأسم . فقلت له مبررا ترشيحي .. أنا عاوز فى  
الوزارة دى « عمامة » .. وعاوزها على رأس شاب . والشيخ الباقورى  
خطيب ، ووسيم ، ودخل السجن وقاسى احوال المعتقل . فهو صورة  
للأزهرى غير الصورة المعروفة عنه للناس .

فقال لى عبد الناصر .. أنا عاوزك توافق على ترشيح حسن  
العشماوى .. وبلاش حكاية الباقورى .

فقلت له .. حسن العشماوى علاقته بى حسنة . فهو أولا ابن  
أستاذى محمد العشماوى وأخوه رجائى زميل فى جميع سنوات كلية  
الحقوق . وثالثا لقد أعطانى حسن العشماوى فى يدى هذه مئات الجنيهات  
للدفاع عن قضايا الاخوان المسلمين . ثم أنا أعلم انه ذكى .. لكنى  
لا أستطيع أن أرشحه للوزارة !

فعاد عبد الناصر يتحدث عن سنجايا حسن العشماوى ، وبعد كلام  
كثير قال .. أن حسن العشماوى كان المدنى الوحيد الذى كان يعلم بأمر  
الثورة قبل وقوعها .

وعاد فكرر .. المدنى الوحيد . أنت ما تعرفوش كويس .

فقلت .. هذا صحيح .. وعلى كل حال فانا موافق على دخوله  
الوزارة .

قال .. صحيح ؟

قلت .. مع الباقورى !

فبدت عليه ، رحمه الله خيبة أمل .

وقال .. ولكننا لا نستطيع أن نأخذ من الاخوان المسلمين الا شاباً واحداً .

قلت .. الأمر لك .. فما دامت الفكرة مختصرة جدا لديك الى هذا الحد .. فالختيار أمامك بين حسن العشماوى وبين الباقورى ، وأنى شخصياً أؤرشح الباقورى وأصمم عليه .

واتا أعتبر ان تحية جمال عبد الناصر لى بقبول ترشيحي للشيخ الباقورى . وعدوله عن مرشح كان عزيزا جدا عليه وقريبا جدا الى نفسه . تحية ضخمة . وكان يسرنى دائما أن أرى الشيخ الباقورى محل رضا للضباط وجمال عبد الناصر بالذات . بل أن عبد الناصر كان يقدمه فى بعض الأحيان على شخصى ، ويحاول أن يستثير غيرتى بإسناد امور اليه مفروض أن تدخل فى عملى . من ذلك أنه ظن بى كسلا فى يوم من الأيام عن اذاعة أشياء مطلوبة للدفاع عن مواقف الثورة فالتفت الى الشيخ الباقورى فى مجلس الوزراء ، وقال له .. يا شيخ أحمد .. تروح أنت الاذاعة ؟

وفى الحال قلت .. ياريت .. عايز ييجى أهلا وسهلا !

**الباقورى على خلاف مع الهضيبى .**

ولكن .. ماذا كان رد فعل اختيار الباقورى على الاخوان المسلمين ؟

هنا يعتذر فتحى رضوان عن الكلام • لأنه التزم بألا يروى الا ما  
وأى بنفسه • جمال.

ولما كان ضروريا - لكى تكتمل الصورة •• أن نعرف اجابة  
السؤال ، فلا بد من اللجوء الى زاوية أخرى •• ننقل عنه بايجاز ما يلهى  
هذه الضرورة •

وهذا الراوى هو الأستاذ الكبير كامل الشناوى ، رحمه الله •  
والمرجع هو « أخبار اليوم » فى سبتمبر عام ١٩٥٢ ••

كان الباقورى أصلا على خلاف مع المرحوم حسن الهضيبى مرشد  
الاخوان • لأنه انضم الى جمعية كان المرشد يراها منافسة للاخوان وهى  
جمعية الفلاح « التى أنشأها أحمد حسين باشا ، ليقاوم ببرامجها  
الاصلاحية دعوة الشيوعيين • وكان هذا الباشا رجلا دخل السياسة عن  
طريق الاصلاح الاجتماعى • وأنشأ قبل الثورة علاقات ممتازة مع أمريكا  
وشعته فيما بعد - لكى يكون سفيرا لجمال عبد الناصر هناك •

ثم دب خلاف آخر بين الباقورى والهضيبى بعد الثورة •  
فقد وقف الهضيبى فى اجتماع لقيادة الاخوان يقول ان حركة  
الجيش تنفيذا لمبادئ الاخوان •  
وسأله أحد الأعضاء •• هل يمكن أن نعرف مدى صلة الاخوان  
بحركة الجيش ؟

فابتسم الهضيبى بهدوء وقال •• مافيش داعى للاحراج !

وفهم الموجودون طبعا ان الصلة قوية جدا ، ولكن المرشد العام يريد كتمان الأسرار •

وتابع المرشد العام حديثه ، فاقترح اصدار بيان باسم الاخوان ، يطالبون فيه بأن يكون القرآن دستور الدولة ، وبحريم فوائد البنوك ، ومنع سفور المرأة ، وقال •• نحن نعهد للأستاذ الباقوري بكتابة هذا البيان ، على أن نختار عضوا آخر يعاونه •

فقال الباقوري •• قبل أن تختاروا من يعاونني في كتابة البيان يحسن أن تنتظروا لتعرفوا رأيي أولا •• هل أنا موافق على كتابة البيان أم لا ؟

قال الهضيبي •• نريد أن نعرف رأيك •

فقال الباقوري •• يجب أن يكون الرأي من حركة الجيش أحد معوقين •• فأما أن نؤيد هذه الحركة ، وأما أننا نعارضها • وليس من الحكمة أن نؤيدها • ومادمننا كذلك ، فإن من واجبنا أن نعمل على تهيئة كل الأجواء التي تساعد نجاح هذه الحركة وبلوغ مراميها البعيدة •• ولذلك قانني أرى أن من عوامل نجاح حركة الجيش الا ندعى أن لنا صلة بها ••

واستطرد الشيخ الباقوري يقول ما معناه أنه اذا شاع ان للاخوان صلة بحركة الجيش كان هذا داعيا لتأليب الرأي العام العالمي ضد هذه الحركة • ومن الممكن ببساطة ان يقال - أن جيش مصر في ظل حكم تعصبى أعمى يدبر لاضطهاد الاقليات الدينية وقسزهم على مالا يحبون نحن اذا كنا حقيقة نسعى لانتصار الجيش يجب ألا نحسب أنفسنا عليه ولا نحمله عبء تأليب العالم عليه •• ويجب اذن ، وببساطة ، أن يختفى الاخوان المستكمون من الصورة !

وانتهى الباقورى الى اعلان معارضته للبيان المقترح اصداره عن  
الاخوان المسلمين ، قائلا أنه سيثير العراقيل أمام الثورة .. فليس الوقت  
الآن وقت مطالبة بأن يكون القرآن دستور الدولة ( هذا كلام الباقورى )  
.. لأن هذا الطلب سيؤول تأويلات شتى تسيء الى حركة الجيش  
التقدميه .

وتساءل الباقورى .. كيف يمكن أن نقول الآن للعالم الخارجى اننا  
نطالب بتحريم فوائد البنوك ، فى حين أن اقتصاد دول العالم بلا استثناء  
قائم على المعاملات المالية فى البنوك . وكل هذه المعاملات ترتكز على قواعد  
مالية حديثة تبيح الفوائد . فهل يعقل أننا نسعى الى قلب النظام  
الاقتصادى العالمى ؟

وعن منع سفور المرأة قال الباقورى أن هذا الطلب يستحيل تنفيذه  
فى القرن العشرين . وهنا قال الهضيبى .. نعم . أنى أؤيدك فى هذه  
النقطة بالذات .. وان كنت اختلفت معك فيما سبق من آراء .. وعلى  
كل حال نأخذ الأصوات . فالامر شورى بيننا .

واخذت الأصوات .. فلم يقف مع الشيخ الباقورى غير صوت  
واحد .. هو صوت الشيخ الباقورى .

وخرج الباقورى من الاخوان . وأن كان قد دخل الوزارة بحكم  
انتمائه الى الاخوان !

هكذا كان الوجه الآخر من قصة دخول الباقورى الوزارة ..  
قلقلناه ملخصا عن كامل الشناوى رحمه الله .

أما فتحى رضوان ، فيرفض مجرد التعليق ، مادام لم ير بنفسه !  
وهو يفضل أن يقفز ، من قصة تشكيل الوزارة كلها ، الى رواية



التجارب الأولى له في الحكم .. بعد أن صار وزيرا .  
وما أدراك ما سباركس !

كانت أول حفلة اجتماعية يحضرها فتحي رضوان بوصفه وزيرا ،  
سببا في اخراج مستشار السفارة الأمريكية من القاهرة !

ونترك فتحي رضوان يروي القصة ..

كان ذلك في أول حفلة اجتماعية تقام لضباط الثورة .

وكانت بدعوة من رئيس مجلس ادارة شركة الكوكاكولا بالقاهرة ،  
بمناسبة حضور عدد من رجال المال والأعمال الأمريكيين ، ودعى اليها عدد  
من الوزراء . وكنت منهم . وقد اقيمت الحفلة في شقة بالزمالك ، شغلها  
فيما بعد الأخ حسن عباس وزير الاقتصاد .

واذا بي أجند نفسي وجها لوجه أمام سباركس . وما أدراك  
ما سباركس .

كان سباركس سكرتير أول السفارة الأمريكية قبل الثورة . وكنت  
قد عرفته في عام ١٩٥١ وتناولت معه الغداء على مائدة الدكتور نور الدين  
رجائي وحرمة الدكتورة درية شفيق .

ثم رأيته بعد ذلك صبيحة يوم ٢٦ يوليو بالاسكندرية في رئاسة  
مجلس الوزراء . وكان في حالة تدعو للرثاء ، مضطربا يكاد يكون غير  
قادر على جمع شتات ذهنه وأعصابه وهو يقول .. الملك في خطر ..  
السفير .. السفير .. أرسل الى لكي أطمئن على سلامة الملك !

ولم ينتبه سباركس الى وجودي . وحدث في نفس اللحظة أن دخل

ألواء محمد نجيب ومنه البكباشي أنور السادات . ونظر نجيب الى مستر  
سباركس في هدوء ورباطة جأش وقال له . .

— ايه الحكاية . . فيه ايه غلط ؟

فقال سباركس بتأدب وقد عاد الى حالته الطبيعية فجأة وكأنما  
يفعل زر كهربائي . . . يا صاحب السعادة . الملك . الملك !

فطمأنه نجيب قائلاً . . لا تقلق .

وجال سباركس ببصره في الجميع بعينين زائغتين . ومضى نجيب  
الى مكتب رئيس الوزراء وجمع السكرتير الأول في السفارة الأمريكية  
هشتات نفسه وانصرف !

هكذا رأيته آخر مرة .

وهأنذا الآن أقابله من جديد . في أول حفلة أحضرها بصفتي  
وزيراً .

وتصافحنا تصافح العارفين .

المهم ، تصافحنا . ولعلني كنت الوحيد الذي يعرفه سباركس بين  
المدنيين الموجودين . وأقبل على محيياً ومرحبا وراغبا في أن يدور بيننا  
حديث . واذ به يفاجأ بأنني قلت له على مسمع من احد أعضاء القيادة .  
ولعله كان في تلك الليلة السيد عبد اللطيف البغدادي . . يا مستر  
سباركس ، أنت اعترضت على دخولي الوزارة ، لأنني وان لم أكن شيوعياً

«لا أن تصريحاتي وتعليقاتي على الأمور تكاد تكون طبق الأصل مما تقوله  
إذاعة موسكو !

وخيل الى سباركس أنني وقد أصبحت وزيرا فسألتزم حدود  
اللياقة والمجاملة الدبلوماسية فلا أطلع على المصدر ، ولا أصمم على هذا  
العقاب الحاد . فقال متظاهرا بالدهشة .. من قال ذلك ؟

فقلت له .. الصاغ صلاح سالم ! .. وقد حدث هذا صبيحة  
تأليف الوزارة .

وشحب لون سباركس حتى حاكى وجوه الموتى ، ثم احمر حتى  
أصبح في لون الطربوش . وحاول أن يجد كلاما يقوله لدفع الحرج .

وكنت أتكلم مع البغدادي عن الخلفية الروحية للثورة .. وأن تلك  
الخلفية الروحية للثورة هي كفاح الحزب الوطني .. فتدخل سباركس  
في الحديث قائلا .. إذا سمحتم لي فإن لثورة ٢٣ يوليو خلفيتها  
الروحية الخاصة .

ولم نعلق .

ومرت الايام ونسيت هذا الحديث . وكنت أظن أنه لن تكون له  
أثار أو نتائج ..

ثم حدث بعد شهر ان كنت ذات أصيل أستجم في نادي الجزيرة

فاذا بمحمد حسنين هيكل ومعه عضو فى السفارة الأمريكية - وأظنه « وذرى » ، فان خاتنتى ذاكرتى فى الاسم فلأذكره بالأوصاف . فهو ذلك الدبلوماسى الأمريكى الذى اشتهر بأن احدى عينيه أضيق من الأخرى . وبدأ هيكل يقدم مرافقه الأمريكى لى وهو يقول ..

- حاسب على نفسك .. فهذا الرجل هو الذى ( طير ) سباركس !  
ورفعت حاجبى الى أقصى ما أستطيع أن ترتفع .. وقلت له ..  
أنا طيرت سباركس ؟ أنا لم أره الا ثوان فى حفلة رجال الأعمال  
الأمريكيين .

فضحك هيكل وقال : ثوان منك كانت كافية .. فأن الحوار الذى واجهته فيه بخير اعترضه على دخولك الوزارة وصل الى مسامع الخارجية الأمريكية ، فاعتبرته « انكشف » فى القاهرة .

### خازوق « الشيوعية :

أما أول مناسبة يتعامل فيها فتحى رضوان ، بصفته وزيرا ، مع العرش الملكى .. فكانت بعد ذلك ، فى عام ١٩٥٣ .  
كان قد تولى وزارة الخارجية بالنيابة فى غياب وزيرها الأصلى محمود فوزى . ومصر الثورة لا تزال ملكية يحكمها « أحمد فؤاد الثانى » ، الذى كان مصيره نفس مصير كل ملك « ثانى » فى التاريخ .. أما أن يقتل أو يعزل فيصل الثانى فى العراق غليوم الثانى فى المانيا عبد الحميد الثانى فى تركيا - عباس الثانى فى مصر - أسكندر الثانى فى روسيا .. والملاحظة الذكية لفتحى رضوان

ويجد فتحى رضوان نفسه •• بوصفه وزيرا للخارجية بالنيابة •  
واقفا الى جوار الأمير محمد عبد المنعم رئيس مجلس الوصاية على العرش •  
والوقفة نفسها ، حتى بدون كلام ، كانت وقتها أمرا غير قابل للتصديق  
فكل من الرجلين ينتمى الى عالم يختلف تماما عن العالم الذى ينتمى  
اليه الآخر • أحدهما جاء من عالم يطالب بعنق الثانى • وكاد يظفر  
فعلا بهذا العنق ، وثانيهما ينتمى الى عالم لم يدخر وسعا لتقويض عالم  
الرجل الآخر • وبدا أن وقوفهما معا أمر يتنافى مع طبائع الأشياء  
وسنن الحياة » •

ولعل هذا الموقف - موقف الثار والأمير فى قاعة العرش - قد  
ألهم فتحى رضوان فيما بعد لوحته التاريخية النفسية النادرة التى تحمل  
اسم « الملك والثوار فى عربة » ، وهى كتاب يصور المرحلة الأخيرة للملك  
التعس لويس السادس عشر فى محاولته الفرار الى الحدود هربا من  
المصير المحتوم •

هنا يقول فتحى رضوان

هنا أفتح قوسا لأقول أنه عقب أن نشر خبر اسناد وزارة الخارجية  
الى ( على سبيل النذب ) ذهب البكباش أحمد أنور كعادته الى فؤاد  
سراج الدين باشا سكرتير عام حزب الوفد • وكان أحمد أنور هو سفير  
الثورة وعينها عند فؤاد باشا ، الذى كان بدوره يفضى بتعليقاته على  
مجريات الأمور ، فينقلها البكباشى أنور الى الرئيس عبد الناصر أولا  
بأول •

وحدث أن كنت آنذاك فى بيت الرئيس جمال ، واستأذنته فى  
الانصراف لأذهب الى وزارة الخارجية ، فضحك ، رحمه الله ، وبدا عليه

شيء من التردد • ثم قال •• أقول لك والسلام •

فقلت ••• خيرا •

فعاد الى الضحك وهو يقول •• أحمد أنور كان امبارح عند فؤاد  
سراج الدين •• فلما علم الباشا أن وزارة الخارجية ستسند اليك على  
مسيل النذب قال •• هو ده كلام ؟ بكرة نشوف •• ما حدش حيقرب  
ناحية وزارة الخارجية لغاية ماييجي الدكتور فوزى !

فضحكت بدورى وقلت للرئيس جمال •• ده أنا قبل ما أخرج  
من بيتي اتصل بى سكرتيرى فى وزارة الخارجية وأخبرنى أن خمسة  
عن السفراء قد طلبوا فعلا مقابلتى بوصفى وزيرا للخارجية •

فبدا على عبد الناصر الاهتمام وأمسك بالتليفون ، وطلب مصطفى أمين  
فى أخبار اليوم وهو يسألنى بينما يدير قرص التليفون عن أسماء هؤلاء  
السفراء •• وما أن رد مصطفى أمين عليه حتى أملاه أسماءهم •

واذا بجريدة الأخبار تنشر فى اليوم التالى بعرض صفحتها الأولى  
عنوانا يقول •• سفير تركيا يتباحث فى وزارة الخارجية مع فتحى رضوان  
فى معاهدة الدفاع المشترك عن الشرق الأوسط ! •

وفوجئت بنية سفير تركيا •

ولكن اتضح أن السفير لم يكن يقل عنى مفاجأة بالخبر !  
والذى حدث هو أنه جاء يقابلنى وهو مذعور ويقول لى •• هذه

زيارة تعارف فقط • وأنا مكسوف لأننى أريد أن أكلمك فى هذه الزيارة  
عن مسألة شخصية ، وهى أن الجمرك قد حجز عدة ( أثواب ) قماش  
صوف استوردتها لأفصل منها بعض ( البذلات ) • كذلك حجز الجمرك  
دفاية خاصة بالسفارة مع أن القانون الدبلوماسى يعفينا من الضرائب  
الجمركية •

ووقفت أستمع للسفير التركى صامتا ومجاملا وأنا أتأمله بحيث  
كان الانطباع الذى سيطر على هو أنه يكاد يعرف بصعوبة أن هناك  
شيئا اسمه الشرق الأوسط !

وخرج السفير التركى ، وجاء الآخرون ، وكانوا يتحسسون اتجاد  
النظام الجديد ، والمهم أن نبوءة فؤاد باشا سراج الدين عن هروب الناس  
من وزارة الخارجية لم تتحقق •

ثم يغلق فتحى رضوان القوس الذى فتحه ليروى قصة  
الباشا ... ويعود بنا من جديد الى وقفته فى قاعة العرش الى جانب  
الأمير عبد المنعم ، وهما يؤديان واجب الاستقبال التقليدى فى حفل  
تقديم أوراق الاعتماد الخاصة بأحد سفراء أمريكا اللاتينية •

وكان شكل السفير وحجمه كاريكاتيرين بحيث لم يقاوم الأمير رغبة  
ملحة فى أن يسألنى بعد انتهاء المراسيم • ما رأيك فى شكل هذا  
الوزير ؟

فقلت له دون أن أشغل بالى كثيرا بقواعد البروتوكول • أنه  
يذكرنى بجوسون قهوة فى الاسكندرية !

وإذا بالأمير محمد عبد المنعم يتفجر ضاحكا حتى دمت عيناه .  
هل لأنه لم يَألف هذا النهج من التعامل في الإجابة ؟ هل لأن التشبيه  
واقعه ؟ هل لأنه أراد أن يدارى ابن الشعب الذى يقاسمه مظهر السطوة ؟  
الله أعلم . . على كل حال فقد بدا لى طيبا لا حيلة له . ولست أدري  
لماذا ذكرنى بلويس السادس عشر .

واتصل بيننا الحديث . ولست أدري كيف رسا بنا الكلام على بر  
الشيوعية . . وأذا به يسألنى وكأنما يسمع لأول مرة عن فيروس مرض  
غريب . . يا ( باشا ) . . الشيوعية دى جت منين ؟

فقلت له . . يا سمو الأمير ، الحكاية تتلخص فى أن المشروعات  
كبرت وأصبح المصنع الواحد يضم الوفاء من العمال ، وأصبح للعمال  
نقابات وتجمعات لتحميمهم من سطوة رجال الأعمال ، ثم كثرت النقابات  
فى اتحاد عام واحد ، وأصبح هذا الاتحاد قادرا على أن يفرض إرادته  
على الحكومات وعلى أرباب الأعمال بالاضرابات والمظاهرات .

فعلق الأمير قائلا . . يعنى الأغنياء هم الذين جابوا لنفسمهم  
الحازوق ( ده . . يبقى يستاهلوا !

وراح يضحك وجسده الضخم يهتز ، وكأنما استنتج لتوه قانونا  
من قوانين الجاذبية الأرضية ! .

على أن تجربة الحكم ، فى أول حكومة لثورة يوليو ، لم تكن كلها  
فؤادر وطرائف .



كانت حكومة ثوار عسكريين • وكان رئيسها عسكريا أيضا • ولم  
تكن مصر معتادة على هذا الطراز من الحكم •

ولهذا كان لا بد من نزاع كل يوم ، وأزمات يفرضها اختلاف  
الطبائع والتعليمات ما بين المدنيين والعسكريين • ولم يكن سهلا الوصول  
في كل الأحوال الى أفضل الحلول •



مع المرحوم الملك سعود .. أبان ذروة أزمة مارس .

وقال الوزير مخاطباً عبدالناصر: لا.. ومن مارجوزا.. ومن مارجوزا..

## أول استقالة!

لم يكن هناك مفر من أن يشكل الثوار حكومة • وتم فعلا تشكيلها •  
ولكن برئيس عسكري •• لأول مرة في تاريخ مصر الحديث •

على أن مشكلة حكومة اللواء نجيب لم تكن عسكرية رئيسها •• وإنما  
أسلوبها غير المعتاد في ممارسة السلطة •

فالنزعة الثورية داخلها ، وخارجها ، لم تكن شيئا مألوفا ، وكانت هذه النزعة ميزة لها مزاياها بالطبع ولكنها أيضا لم تكن بغير أضرار !

**تركي يتعلم درسا !**

وقبل أن نبدأ لقاءنا مع ذكريات فتحي رضوان يحسن أن نروى قصة تصلح لكي تكون تمهيدا لما سيرويه فتحي رضوان .

كان طريفا حقا ، وأن كان منطقيا أيضا ، أن يتم أول صدام مع حكم الثورة من جانب السفير التركي !

كان مجرد قيام الثورة ، وطرد الملك ، مصدر توتر شديد عند سعادة السفير . وعندما بلغ هذا التوتر ذروته وقعت حادثة أطارت صوابه .

الغت مصر قرارا قديما كان يقضى بإرسال « نفقة » سنوية الى الجيش التركي !

وكانت هذه النفقة ترسل بانتظام ، وبشكل روتيني ، حتى عام ١٩٥٣ . عندما أخذت الثورة علما بها ، وألغتها .

وكان السفير التركي رجلا لم يتعود أن تكون مصر ألا عزبة للحكومة العثمانية ولو بعد زوال الحكومة العثمانية . وكان متزوجا من إحدى أميرات البيت المصري ( أمينة هانم طوغاي ) . ومن هنا تكونت نظرته الى كل ما يجري في مصر بلون المصاهرة الملكية . وازدادت تعليقاته العلنية حدة

بارتفاع درجة التعامل مع أثار العهد الملكي • وكان بطبع السفير شيء من العنف والعنجهية يتنافى مع الرقة الدبلوماسية • فصينغ معاملاته مع الثورة ورجالها بهذا العنف • ولما صودرت أموال أسرة المالكة خلط السفير بين صفته كممثل لدولة صديقة وبين صفته كرجل أضرار ماليا بهذه المصادرة ••• ثم جاء الغاء تحويل مال الوقف المصرى الى الجيش التركى مناسبة عامة تصلح لاستغلالها استغلالا خاصا •

وحدث فى إحدى حفلات دار الأوبرا ، وكان فتحى رضوان موجودا ، أن صاح السفير التركى فى وجه جمال عبد الناصر - وكان وقتها قد أصبح اثبا لرئيس وزراء مصر - انه يرفض أن يضع يده فى يده !!

وابتسم عبد الناصر فى هدوء ••• وتحول بالكلام الى سفير آخر •

وفى اليوم التالى عرض الأمر على مجلس الوزراء ، وكان السؤال الذى أثير هو هل تحمى الحصانة الدبلوماسية مثل هذا السفير من الطرد ؟ ••

ويقول فتحى رضوان هنا أنه كان من رأيه أن الحصانة معناها أن يحمى السفير فى حدود جميع تصرفاته وأقواله كسفير ، وأول واجبات السفير احترامه للدولة ولرئيسها ووزرائها حتى ولو اختلف معها ، ثم ألا يخلط عمله السياسة بشئون الخاصة •

وفى اليوم التالى طرد السفير التركى شير طردة ، وفتشت حقائبه فى المطار وصودرت العملة الزائدة معه ••• ولم يدخر رجال النظام كرم المصير

وسعا ليقولوا له ٠٠ ( نحن لا نحبك ) ٠٠ بكل الوسائل المختلفة !  
ولا شك أن هذه الأزمة كانت مفيدة ، من زاوية أنها أفهمت أمثاله

هذا السفير ان الدنيا تغيرت •  
ولكن الحال لم يكن كذلك في أزمات أخرى ، نشبت داخل الوزارة •

ومع وزرائها أنفسهم !

### الأزمة مع يوسف صديق :

كان عبد الناصر يدرك بفطرته ان الثورة في أول أمرها تمر بفترة  
انتقال يحدث فيها اخطاء ونزوات وتصفيات داخلية • ولم يرد لرفاقه ان  
يمتصوا صدمات هذه المرحلة • فقرر ان يتولوا مناصب « مديري مكاتب »  
للوزراء المدنيين • حتى يفهموا منهم اسرار مهنة الحكم ، ويتعودوا التعامل  
على اللوائح والقوانين المدنية ، التي تختلف جذريا عن أصول الضبط  
والربط العسكري •

وكانت المعلومات الإدارية المدنية لدى معظم ضباط القيادة صفراء  
تقريبا ، فلم يشأ أن يتعرضوا للاختبار في الحكم السافر قبل أن يتلقوا  
التدريب الكافي •

وحدث ان ضاق أحد الوزراء ذرعا بتدخل مندوب القيادة ، القائمقام  
يوسف منصور صديق • في شئون وزارته تدخلا لم يقف على عتبة المسورة  
أو النصح • بل كاد يرتقى الى مرتبة التجاهل الكامل لوجود  
الوزير الدستوري •

وذهب ذلك الوزير يشكو هذا لصديقه الدكتور نور الدين طراف  
وزير الصحة . فقال له الدكتور طراف . .

- ولماذا لا تحاول أن تقول هذا الكلام لعبد الناصر ؟ انه رجل  
معقول جدا .

وكانت هذه أول مرة يرى فيها الوزير جمال عبد الناصر ، أو يسمع  
بصفته الفعلية كقائد الثورة !

واستمع عبد الناصر الى الوزير فى صبره المعتاد ثم قال . .

لو كنت مكانك لضاق صدرى فعلا اذا أخذت المسألة على أنها  
مشاركة فى السلطة . . . ولكن لماذا لا تنظر الى المسألة على أنها مشاركة  
فى السعى نحو الصالح العام ؟ الرجل لا يحاول أكثر من أن يكون يدك  
اليمنى فى القضاء على ضراوة الفساد الذى استشرى فى كل قطاع من  
قطاعات البلد . . . وثورتنا لم تنجح بالتطور الدستورى ، ولكنها نجحت  
بالدبابة والسلاح الذى يعمل لهما الفساد حساباً أكثر مما يعمل أى حساب  
للمنطق والعقل والقانون . . . ولو رأيت يوسف منصور صديق ليلة ٢٣  
يولية وهو يتولى أخطر جزء فى تنفيذ خطة الثورة ، وهو الهجوم على مركز  
قيادة الجيش ، والقبض على لواءات الجيش الملكى وفرقائه وصفوة قياداته ،  
لو رأيت يتولى هذه الأعمال وصدره ينفث دماً ولكنه لم يتخل عن مسؤوليته  
رغم معاناته الشديدة . . . أقول لو رأيت على هذه الحال ، ولولاه ، ما نجحت  
الثورة ولما كنا جميعاً فى مواقعنا ، فلربما ساهمت شيئاً مما فيما تتصور

أنه ضيم لك ولموقفك \* فالرجل لا يقصد أكثر من أن — يكون سيفك ويدك ،  
تهوى به على رأس اخطبوط الفساد •

واقتنع الوزير ، وانصرف وقد وقع عبد الناصر من نفسه موقعا  
حسنا • وآلى على نفسه أن — يتحمل تدخل مندوب القيادة •

وعاش هو ووزير الظل العسكرى « سمنا على غسل » حتى تكفل  
الصدام الذى وقع بين عبد الناصر ويوسف منصور صديق بحل المشكلة ،  
اذ رجل الضابط عن الوزارة وتركها لوزيرها • وترك وزيرها لها •••

وانتهت القصة ويادار ما دخلك شر كما قال أجدادنا • ولكن  
أجد ادنا قالو أيضا « ما كل مرة تسلم الجرة » • وقد كانت قصة من هذا  
النوع سببا فى أول استقالة من وزارة الثورة ، كما يروى لنا الآن  
فتحي رضوان ••

### أول استقالة :

يقصد فتحي رضوان بكلمة « الاستقالة » هنا معنى الاستقالة فعلا •  
أى ان ينزل الوزير بمحض ارادته ، وأحيانا باصرار شديد منه ، عن  
منصبه الوزارى •• ويحمل أوراقه ، ويطلب رفع الكشك الخشبى المزدان  
بالحارس الحكومى من أمام بيته • أما الاستقالات التى لم تكن أكثر من  
كفن من الحرير يغطى « اقالات » •• فان فتحي رضوان لا ينوى ، الآن  
على الأقل أن يتحدث عنها •



ولنترك الآن الكلمة له ، يروى قصة الاستقالة الأولى فى حكم الثورة ... استقالة وزير التجارة والصناعة والتموين الدكتور محمد صبرى منصور .

« وجد الدكتور محمد صبرى منصور نفسه بصفته وزيرا للتجارة والصناعة ، يتعامل مع ممثلى صروح الحياة الاقتصادية قبل الثورة . وفى مقدمة هذه الصروح شركة السكر المملوكة كلها تقريبا لـ أحمد عبود باشا ، الذى لم يكن سرا فى ذلك الوقت انه دفع مليون جنيه للملك فى سبيل اخراج وزارة حاولت ان تتقاضى منه ضرائبه كاملة ، وتعيين وزارة كان يطمح ان تتقاضى عنه ... ولكن تيار الحوادث كان جارفا فطارت الوزارة والعهد كله ومليكه ، وجاءت الثورة وبقيت المشكلة بين المليونير والحكومة .

« وكان من كبار مساعدى أحمد عبود باشا شخص يدعى « بدر الدين » ولا أذكر الآن بقية أسمه . فلما طلب الدكتور صبرى منصور من مكتب عبود باشا المستندات التى رآها لأزمة ... تلقى من بدر الدين هذا ردا يتسم بالتعالى والخشونة . فأرسل الدكتور الوزير يستدعى هذا المساعد الجرىء ، فاذا به يتلصقا فى المجدى . والدكتور صبرى - رحمه الله - مع دماثة خلقه ورقة طبعه وسعة صدره الا أنه كان يتحول كسليمان حافظ الى شرس غضوب اذا نفذ صبره ، وما أكثر مكان يطول صبره ... فاذا غضب خرج من أهابه المقاتل الذى استعمل المسدس والقنبلة فى صدر شبابه والذى عاش ست سنوات فى مالطة مع الأسرى الألمان فى الحرب العالمية الأولى ، ولم يكن فى أحاديثهم الا سيرة المدافع والقنابل والمعارك .

واذ تلكاً مساعد عبود الأيمن ، رفع الدكتور صبرى منصور سماعة  
التليفون وخاطب بدر الدين هذا بشدة ، فقال بدر الدين مخاطبا الوزير . .  
- لا تكلمنى بهذه اللهجة . فأنا صديق البكباشى أحمد أنور !

( هنا نفتح قوسا بعد استئذان راوى المذكرات لنقول ان أحمد  
أنور كان فى ذلك الوقت صاحب سلطة ضخمة ، باعتباره قائد البوليس  
الجرى ، وصديقا شخصيا متفانيا فى الولاء لقائد الثورة الفعلى  
جمال عبد الناصر ، ونعود الى مذكرات فتحى رضوان ) .

فرد عليه الدكتور صبرى قائلا . . لا تذكر لى اسماء أحد . عليك  
لان تحضر ومعك الأوراق .

ولم يحضر بدر الدين . هل استشار أحدا ، ف قيل له لا تسأل فى  
هذا الوزير ؟ هل كان مطمئنا من تلقاء نفسه الى ان سقوطه فوق  
مستوى السلطان ؟

الله أعلم . . أما أنا فالذى أذكره ان الوزير لما أدرك انه لن يستطيع  
أن ييسط على الشركة سلطنة الوزارة شكا الى مجلس الوزراء هذا  
الموقف . ولم يكن جمال عبد الناصر موجودا فى المجلس . ألا اننى أذكر  
اننى فى اليوم التالى دخلت قاعة مجلس الوزراء فوجدتها خالية الامن  
صبرى منصور وجمال عبد الناصر وبينهما ورق كثير . . . وصبرى على  
عادته من العرض الهادى والحديث المرتب يذكر حقائق لم يالف عبد الناصر ،  
لا فى هذه الفترة ولا بعدها ، ان يسمعها من المدنيين .

وبعد ان أطل عبد الناصر بدوره صبره على صبرى منصور والاستماع  
إليه قال له على طريقته ..

— أحمد أنور صديقى • ولكن ليس معنى هذا ان له شأنا بوزارة  
التجارة والصناعة وسأصدر الاوامر بالا يتعرض لك فى عملك أحد •  
لا عسكرى ولا خفير •

ثم سكت عبد الناصر قليلا وقال • بكرة تروح الوزارة •  
فرد الدكتور صبرى منصور قائلا • لا مش رايح الوزارة ••• الا  
إنفذ كل ما طلبته بحذافيره •• أبقى أروح الوزارة ••

فقال عبد الناصر •• الورق الى أنت طلبته حيچيك أزاى مادمت  
كسبت فى مكتبك ؟

فقال صبرى منصور •• هو أنا حاخذ الوزارة معايا ؟ الوزارة فيها  
مكتب وموظفين ووكيل وزارة • وحين يخطرنى أخدم ان الأوراق الناقصة  
جاءت •• سأذهب الى مكتبى •

وانتهى الحديث الى هذا الحد عن هذا الموضوع •

وفى اليوم التالى كتب الوزير خطاب استقالة مسببا وانقطع عن  
العمل •• فطلب منى جمال عبد الناصر — بصفتى صديق صبرى وانى  
وشحته لدخول الوزارة هو وأربعة آخرين — ان أرجوه الاستمرار فى

العمل حتى يختار غيره • وقبل صبرى منصور الرجاء على مضض حتى بدأ  
ان الاستقالة نسييت •

وفى ذات ليلة كان صبرى عائداً من برج العرب مع زوجته فوجد  
على مدخل باب بيته فى مصر الجديدة الصحفى أمين عبد المؤمن رحمه الله ،  
الذى ابتدره فى الظلام ••

— هو صحيح معاليك سحبت استقالتك ؟

وفوجئ الوزير بصوت الشخص الذى لا يعرفه وقال له •• انت  
مين ؟ •• ومع ذلك أنا لم اسحب استقالتى !

واكتفى الصحفى بهذا التصريح • وذهب الى جريدته ليكتب خبراً  
يقول •• ( وزير التجارة والصناعة والتموين مصمم على استقالته ولم  
يسحبها ••• ) ورفعت الرقابة مضمون الخبر الى مجلس قيادة الثورة ،  
الذى اعتبر اعلان صبرى منصور لهذا التحدى استفزازاً ، فالتقط القفاز  
وأصدر قراراً بتعيين وزير غيره •

وفهمت فيما بعد ان خصوم الدكتور صبرى ، الذين كانوا يشكون  
من حزمه ومن شدته ، قلقوا لاحتمال بقائه فأوعزوا بمن أرسل المرحوم  
أمين عبد المؤمن لكى يتلقف هذا التصريح من فم الوزير ، ليذكروا  
السلطة بالأزمة ، وليذكروا الأزمة بالسلطة ! •

ولكن من هو الدكتور محمد صبرى منصور ؟

يقول فتحى رضوان فى مذكراته التى سمح لنا بهذه الاطلالة عليها ، والتى صرح لنا أنه لن ينشرها كاملة الا اذا تأكد ان حياته السياسية انتهت بحيث يستطيع ان يذيع من الأسرار ما يمس الآخرين . . ان محمد صبرى منصور يجب تقديمه بوصفه أحد المجاهدين من الاوائل فى الحركة الوطنية القائمة . فهو قد بدأ كفاحه الوطنى وهو بعد شاب أقرب الى أن يكون صبيا فى حدود الست عشر سنة . ففى ذاك العمر المبكر اتهم بمؤامرة تستهدف أحداث قلاقل مسلحة فى مصر . وزج به الى السجن ، فالمعتقل ، فالنفى الى مالطة . وقد فى مالطة من ١٩١٦ الى ١٩٢٠ .

وفى عام ١٩١٩ استقبل فى مالطة ، مع بقية زملائه من المجاهدين المصريين ، زعماء ثورة ١٩١٩ الذين وصلوا الى مالطة فى ٩ مارس . . ثم ودعهم مع بقية زملائه أيضا بعد شهر واحد . . أى فى ٨ أبريل من نفس السنة . والطريف أنه بعد ان وضعت ثورة ١٩١٩ أوزارها باصدار تصريح ٢٨ فبراير . . . أفرجت السلطة العسكرية البريطانية فى مالطة عن صبرى منصور وزملائه ، ولكنها لم تسمح له بالعودة الى مصر ليكون رابع أربعة من شباب الحزب الوطنى ، استعان بهم أولهم « فؤاد سليم حجازى باشا » فى تطعيم سلك وزارة الخارجية المصرية المنشأة حديثا .

وكان الثلاثة الآخرون . .

• عبد الملك حمزة . . الذى أصبح فيما بعد سفيرا لمصر فى تركيا . .  
• وحدثت بينه وبين كمال اتاتورك أزمة بسبب الطربوش الذى كان يرتديه .

السفير المصرى حمزة ٠٠ فقد كان كمال اتاتورك تملا على عاداته فى حفلة من الحفلات الرسمية الكبرى ، وما ان لمح الطربوش على رأس السفير حتى ابتدء بتعليق استفزازى ساخر على أصرار المصريين على ارتداء الطربوش ٠٠ فاحتج عبد الملك حمزة وانسحب من الحفل وانصرف ، مما اقتضى الغازى مصطفى كمال ان يمر على السفارة فى اليوم التالى ليقدم اعتذاره للسفير الأبى وانتهت الأزمة ١

« أما الثانى فهو أسماعيل كامل ٠٠ الذى قضى زهرة عمره ناصعة فى خدمة الدبلوماسية المصرية ، ووصل الى منصب سفير مصر فى الهند ، ووثق علاقته برجالها الى حد أننى رأيت نهرو يقبل أسماعيل كامل فى وجنتيه ويقول لى ان عائلتى كلها تعانقه » ٠ وفيما بعد أخرج أسماعيل كامل من موقعه فى عام ١٩٥٥ ، فى أثناء زيارة الرئيس الراحل عبد الناصر -وصلاح سليم وآخرين للهند فى أعقاب مؤتمر باندونج ٠ اذ ان السفير المصرى قدم صلاح سالم فى أحد الاستقبالات الرسمية باسم ٠٠ الماجور « صالح سليم » ٠٠ وكان من الواضح أنها زلة لسان ٠٠٠ ولكن صلاح سالم رحمه الله غضب وثار ، اذ كيف تطغى شهرة لاعب كرة مصرى على وزير وعلم ومن أعلام الثورة ٠

وصمم على إخراجه من السفارة ٠

وكان الثالث هو الدكتور صبرى منصور ٠ والطريف أنه لما عين صبرى منصور نائب قنصل فى لندن أرسلت اليه قائمة بغير المرغوب فيهم ،

فوجد اسمه على رأس القائمة ! « نفس ما حدث فى عام ١٩٥٨ مع أحسان ، عبد القدوس ، اذ دعى لمقابلة عبد الناصر فى دمشق ، فذهب الى مطار القاهرة ليفاجأ هو والوزراء الذين ركبوا معه بأن سلطات المطار تنزله من الطائرة لأنه ممنوع من السفر . وطلب هيكىل يومها تأجيل قيام الطائرة » . وقام بالاتصالات العاجلة التى أسفرت عن السماح لاحسان بالسفر » !

### السنهورى ... والاستقالة الثانية !

أما الاستقالة الثانية من حكومة الثورة ، فكانت استقالة الوزير الدكتور حسن بغدادى وزير التجارة والصناعة .. وكان سببها شيخ مشايخ القانون المصريين .. الدكتور عبد الرزاق السنهورى ... يقول :  
فتحى رضوان ..

« كان قد صدر القانون الخاص بمنح مباشرة الحقوق السياسية بالنسبة للوزراء الذين شاركوا فى مقاعد الحكم أيام السياسة الحزبية .. وانطبق هذا القانون بطبيعة الحال على الدكتور عبد الرزاق السنهورى .. فكان رأى الدكتور حسن بغدادى أستاذ الحقوق السابق فى الجامعة الى الى النقراشى القطب السعدى ، ألا أنه كان وزيرا فنيا وخيرا وأستاذا .. وكان دور السنهورى الحزبى ضئيلا غاية الضالة .. وليس من العدل اذن ان يطبق عليه قانون الحرمان من الحقوق السياسية »

واحترم مجلس الثورة وجهة نظر الدكتور البغدادي ولكنهم لم يتأخذوا بها . وقبلوا استقالته فى هدوء وبلا ضجيج .

ولكن الطرفين دوما على حسن العلاقة بعد ذلك ٠٠٠ اذ وجد الدكتور بغدادى من رجال القيادة معاونة كبيرة فى أعماله كمحام ٠٠ اذ كان وكيل شركات أجنبية كثيرة ، وأيطالية كثيرة بالذات ، وأهمها شركتنا الممقطم والمنتزة » .

على أن إبعاد القصة لا تكتمل ، طبعا ، الا بالحديث السنهورى أيضا ، وقصته مع الثورة .

وهنا يقول فتحى رضوان ٠٠

« كان السنهورى أستاذًا عظيمًا ٠٠ وكان يحتمل فى نفسى مكانا كبيرا فقد كنت طالبا فى كلية الحقوق ٠ أيامها دعوت الى مؤتمر سميتة مؤتمر « الطلبة الشرقيين » يضم الطلاب العرب والطلاب الشرقيين من هندو واندونسيين وغيرهم ٠٠ وتابعت هذه الحملة فى الصحف ٠٠ وذات يوم وجدت عند عامل التليفون فى كلية الحقوق دعوة من الأستاذ الدكتور عبد الرازق السنهورى لأتصل به ٠٠ وذهبت اليه فاذا به يشجع الفكرة ويساهم فى تأليف لجنة تحضيرية من أساتذة الجامعة برئاسة الدكتور على إبراهيم ٠٠ وأذكر أنه بلغ من حماس الدكتور السنهورى للفكرة أنه كتب مقالا فى جريدة السياسة الأسبوعية ، بدأه بالثناء على شخصى ، ولم تكن العادة فى ذلك العهد تسمح بأن يتحدث الاساتذة عن تلاميذهم فى مقالات منشورة ٠٠ ونمت علاقة المودة بيننا ، ولم يؤثر فيها أنه كان تلميذا وصديقا لثقلناشى ، أو أننا دخلنا فى حرب مع أستاذه عندما كان وفديا ، ثم حينما أصبح سعديا »



فلما قامت ثورة ٢٣ يوليو ، ورأيته من اليوم الأول مشاركا فى توجيه أحداثها ، وخصوصا فى الفترة السابقة على سقوط الملك « لأنه أعد وثيقة التنازل مع سليمان حافظ » . . لم يكن من رأى أن يضاعف الدكتور السنهورى نشاطه السياسى أو ان يقحم نفسه فى مجريات الأمور .

كان من رأى أن يبقى فى مكانه السامى لبقى له مقامه كقاضى القضاء فى مصر ، وتبقى له حيدته القائمة على استاذيته ودوره العلمى . . . وقد أكد هذا الرأى عندى اننى أعلم عنه طيبة القلب ، وانه ليس أهلا للمناورات السياسية .

وقد صارحته فى شىء من التأدب ببعض هذا الرأى حينما دعانا الاستاذ عبد الجليل العمرى على عشاء بمنزله بمصر الجديدة ، عقب الصلح الذى تم بين اللواء محمد نجيب والبكباشى جمال عبد الناصر وزملائه فى أثناء أزمة مارس الشهيرة ، وكانت القاهرة فى حالة اضطراب شامل واذا بنا ونحن على العشاء نفاجأ بأن الدكتور السنهورى يبرز ورقة كتب عليها شبه مشروع قانون لفض المنازعات بين رئيس الجمهورية ومجلس القيادة ويسند الى نفسه باعتباره قاضى القضاة هذه المهمة !

هنالك ابتسمت وقلت له على مسمع من الجميع : يا أستاذى . أنت هنا أشبه بشىء بمن يدخل فى عراك بين اثنين يحمل كل منهما سكيناً ليقتل صاحبه ، واذا بك تصيح بهما . . مكانكما فان المادة رقم كذا من القانون كذا تمنع القتل !

واحمر وجه الرجل واعاد ورقته الى جيبه •

وعندما بلغت أزمة مارس قمتهما بين عبد الناصر ونجيب ، كان  
السنهورى - كما خشيت تماما - من بعض ضحاياها !

كنا نتغدى فى منزل اللواء محمد نجيب •• وجاء من يخبرنا بأن  
مظاهرة قامت متجهة الى مجلس الدولة وانها موشكة ان تقتحم دار المجلس ،  
وان ضابط مخابرات يدعى حسين عرفه يقودها ، وان السنهورى محاصر  
داخل الدار ، يخشى على حياته •

وكان السبب أنه تولى رئاسة الجمعية العمومية لمجلس الدولة ••  
والجمعية كانت على وشك أن تصدر قرارا ضد مجلس الثورة ، وضد  
الاجراءات التى أخذها هذا المجلس فيما يتعلق بالحريات •

فاقترحت الى الفور ان يذهب من مجلس الثورة شخص معروف  
للجماهير ، يستطيع ان يردها عن اتجاههم دون الحاجة الى استعمال الشرطة  
والجيش واقترحت أن يكون هذا الشخص هو صلاح سالم بالذات ، لأنه  
أكثر الضباط ظهورا فى الصورة •

وفعلا لى صلاح سالم الدعوة وأسرع فى اتجاه مجلس الدولة •

فقلت لصلاح سالم •• الرجل فى قدر والدك ، وهو معذور • فهو  
كان محاصرا •• وقد كسر رصفه ، ولقد تعرض ولا شك لضغط عصبى  
شديد ، وهو بلا شك يتهم الجيش بتدبير المظاهرة •

وهاج صلاح سالم لهذا التفسير .. وتدخل عبد الناصر لتهديته .  
وإذا بأحمد حسنى وزير العدل يقول بمنتهى المفوية مخاطبا الضباط ..  
الناس تعبانة ويحسن إنهاء هذا الأضراب .

فصرخ جمال سالم فيه .. وأنت كمان فاهم أننا أحنأ الى عاملين  
الأضراب ؟ !

### واستقالات أخرى :

أما الاستقالة الثالثة من أول حكومة للشورة ، فكانت من أربعة وزراء  
دفعة واحدة .. وكان الأربعة ينتمون الى جماعة واحدة .

كانت وزارة اللواء نجيب مشكلة من ممثلى ثلاث هيئات .. ٧ من  
الحزب الوطنى ، و ٢ من الإخوان المسلمين ، و ٥ من جماعة الرواد ..  
ووزير واحد فنى ، هو المهندس مراد فهمى . وكان الوحيد الذى رشحه  
اللواء نجيب ، لأنه كان صديقا له .

وقد جاءت الاستقالة الثالثة من وزراء جماعة « الرواد » وهم تجمع  
أكاديمى ومهنى وارشترطى الفكر قديم ، ومعظمه من اساتذة الجامعات وكبار  
الأطباء .. وكان مؤسس الجماعة ، وأول رئيس لها أحمد حسنين باشا ..  
رئيس الديوان الملكى .

« وكان وزراء « الرواد » هم .. عبد الجليل العمرى وعباس عمار »

ووليم سليم حنا وعبد الرازق صدقي وفؤاد جلال • ثم حدث أن تقدم أربعة منهم ، فيما عدا فؤاد جلال بالاستقالة في اعقاب حوادث مارس • وكان بين الأربعة الدكتور عبد الرازق صدقي بطبيعة الحال •

الا ان الدكتور عبد الرازق صدقي ما لبث أن طلب مقابلة جمال عبد الناصر •• وقد روى لى عبد الناصر وهو يضحك أن الدكتور عبد الرازق صدقي طلب منه الا يقبل استقالته فسأله عبد الناصر عن سبب الاستقالة ثم عن سبب العدول •• فلم ير الدكتور عبد الرازق صدقي - وهو أصلا غير مشغول بالسياسة - حرجا من أن يقول أنه استقال لأن زملاءه قالوا له •• استقل ! •• ولما سألهم عن سبب استقالتهم لم يقدموا له سببا مقنعا سوى ان الدنيا ستتنقلب رأسا على عقب عما قريب •• الأمر الذى لم يحدث منه شيء •• ولأنه لا يعد نفسه من رجال السياسة فقد رأى من الأفضل ان يعود الى الوزارة !

نفس ما حدث فى استقالات أخرى توالى بعد ذلك •

فما أذكره أنه بعد قبول استقالة الدكتور عباس عمار زارنى فى مكتبى بمقر مجلس الوزراء ، اذ كنت نحييت من وزارة الارشاد وبقيت وزيرا للدولة •• وكان مكتبى يعلو مكتب البكباشى جمال عبد الناصر الذى أصبح رئيسا للوزراء •• فطلب الى المرجوم عباس عمار ان أسعى له لمقابلة جمال عبد الناصر ، وعلى الرغم من عدم رضائى عن محاولة المرجوم عباس عمار مقابلة الرئيس ، الا أنتى لبيت طلبه وانا أعلم عن خلق عبد الناصر أنه لن يقابله •• وقد حدث ذلك فعلا ، اذ بقى معى عباس عمار الى ما بعد

الظهر دون رد من صلاح الشاهد ، رجل المراسم وقتها في رئاسة الوزراء  
الذى كنت أوالى الاتصال به من حين لآخر وقد أخبرني المرحوم عباس عمار  
بعد ذلك أنه لم يقابل جمال عبد ألا في صحبة ضيوف أجنب بوصفه نائبا  
لمدير مكتب العمل الدولى .

وقد فعل عبد الناصر مثل ذلك مع الدكتور على الجريتل أيضا .  
ولكن على الجريتل لم يسع الى لقاء عبد الناصر الى أن دبر له محمد حسنين  
هيكل مقابلة معه ، بعد استقالة الجريتل بنحو أثنى عشر عاما .

وربما يفرض نفسه الآن سؤال يغذيه فضول القارى . . ألم يتعرض  
فتحى رضوان نفسه الى مثل ما تعرض له غيره من الوزراء وادى الى هذه  
الاستقالات ؟

لقد بدأت الحلقة الاولى من هذه الذكريات بقصة أزمة بينه وبين  
محمد نجيب ، دفعته الى تقديم استقالته ثم عدل عنها عندما زاره بتكليف من  
مجلس الوزراء - اعتذر له .

ولكن . . هل كفت الازمات بعد ذلك ؟

ألم يكن فى وزارة فتحى رضوان عسكريون يسببون له المتاعب ؟ ألم  
يتدخل أحد فى عمله ؟ ألم يجد نفسه فى صدام هنا أو هناك ؟

يقول فتحى رضوان ان كل هذا حدث !!

ويقول أنه لم يكن موفقا ، لا مع شباب العسكريين فقط ، بل مع  
الكلواء محمد نجيب نفسه . . . أكبرهم سنا ، ورئيس الحكومة التى  
هو وزير فيها !!



الرئيس محمد نجيب يزور فتحي رضوان في بيته وبينهما « عزة » كريمة

فتحي رضوان ( الآن زوجة وام ) .

---

وقال الملك سعود يصف جمال عبدالناصر: زين والله عجبي .. زين !

---

## ذو بان الجليل

لما يجرى فى دهاليز الحكم منطق ، ولكنه منطق خاص به ، يخالفه منطق سائر الناس . ومن هذا القبيل كانت علاقة « الوزير » فتحى رضوان « بالرئيس » محمد نجيب . فبغير سبب واضح على الأقل لفتحى رضوان « نهض حاجز من الزجاج بينهما فى أول مقابلة ثم جاءت قصة افتتاح مبنى

الاذاعة التي رواها فتحي رضوان في الفصل الأول من هذه الذكريات عندما وقف نجيب يلوم وزيره في خطاب مذاع على الهواء ، فيضطر الوزير للرد علنا وعلى رؤوس الأشهاد ٠٠ الى آخر القصة التي بدأت بها هذه الذكريات ٠٠ جاءت هذه القصة فحولت حاجز الزجاج الى حاجز من الجليد ٠

ثم جاء الحلاف الحاد بين نجيب والضباط الثوار الذي بلغ قمته في مارس سنة ١٩٥٤ ، ولما كان نجيب يعتبر فتحي رضوان من معسكرهم ، فقد كان الطبيعي أن يتحول حاجز الجليد الى جدران من الصلب ٠ ولكن حدث بعد ذلك كان العكس تماما ٠٠ ذاب فجأة كل الجليد ٠

ونترك الآن فتحي رضوان يروي التفاصيل الممتعة ، لهذه القصة المثيرة ٠

## طربوشى « الموعوج » :

يقول فتحي رضوان ٠

« كان لقائى الأول باللواء محمد نجيب ، بوصفه القائد المعلن للثورة بعد ساعات من الإفراج عنى ، وانتقالى على طائرة من المعتقل الى الاسكندرية بناء على طلب رئيس الحكومة ٠

كان هذا اللقاء على باب مكتب على ماهر ، وقد حييت يومها رئيس الثورة بعد ان حييت البكباشى أنور السادات الذى كان يلازمه ٠

وقد لاحظت للوهلة الأولى أنه رد على التحية باقتضاب وبلا حماس ٠



ولا أنكر أن أسلوبه في الرد ضيقني ، لأنني خشيت أن يكون قد وقع في نفسه أنني أحد الساسة الذين يقدمون أنفسهم للثورة لمطمع أو آخر • وبقيت فترة منقبض الصدر •

ثم حدث ذات مساء بعد أن دخلت الوزارة أن كنا مدعوين إلى حفلة مقامة في نادي القضاء تكريماً لمجلس الثورة • وقضت الصدمة أن أجلس في ركن من أركان النادي مع اللواء محمد نجيب • وبدأ يقص ذكرياته ، وكيف أن بعض الأشخاص نتطبع عنهم في ذهن بعض من يراهم صورة خالف حقيقتهم •• ثم استطرد قائلاً ••

ومن هؤلاء الأشخاص مثلاً فتحي بيه - يقصدني - وسليمان بك حافظ الذي كنت عضواً معه في محكمة عسكرية عليا ، وكان يرأسها هو • فأنا كنت أرى فتحي بيه في المحاكم وطربوشه معوج على جنبه • فكان هذا ممسا ••

« وبقيت تكملة الجملة معلقة في الفضاء إلى الأبد • فقد قوطع اللواء نجيب بمن يدعوه ويدعوننا للعشاء ، فبتر جملته دون أن أعرف ماذا كان يريد أن يقول بعد ( مما ••• ) •

غير أنني من ناحيتي لم أنس تعليقه هذا أبداً • حتى حانت لحظة صفاء في جلسة ود عقب صلاح علاقتنا واستقرارها ، فأكدت له بأن طربوشى لم يكن معوجاً في يوماً ما • وضحك • ولم نعد بعدها إلى هذه القصة •

« ولكن الذى ثبت لى بعد ذلك ، من أول يوم جمعتنا الوزارة ثم جمعنا مبنى واحد فقد كان مكتبى دون سائر زملائى فى مقر مجلس الوزراء وفى حجرة تعلو غرفة الرئيس نجيب مباشرة ، ثبت لى أن عددا من بطانة اللواء نجيب فى مكتبه كانت تنتمى الى الأحزاب السابقة أما بعلاقاتها العائلية وأما بميولها الذاتية • كانت الصورة عند كثيرين ممن يرون الأحداث من ظاهرها توحى بأننى وضعت يدى على الثورة أو على الأقل وزراء الثورة الضباط الى حد أخى أحمد حسين قال فى كتابه « فى ظلال المشنقة » - الذى وضعه عن فترة اعتقاله على ذمة قضية حريق القاهرة - عبارة مثل • • أنه كان لفتحي رضوان سبعة وزراء • • والى حد انه شاع وذاع أننى أعلن أننى كاتب خطب زعماء الثورة ، وأضافوا من عندهم اننى المسئول عن اتجاهات الثورة من الأحزاب ، وان الاذاعة فى عصمتى وخدمتى وعند طرف سبابتى !

أشياء مثل هذه قيلت وروجت • وهى أما محرفة وأما غير صحيحة على الاطلاق أصلا •

« الصحيح أننى رشحت حقا ، ربما سبعة وزراء ، أو ستة • ولكنى كنت أقل الوزراء نفوذا • لأن هدفى لم يكن النفوذ • ولأننى لم أطلب ولم أتوقع ولم أسع الى أن يكون لى ولاية على أحد منهم • ولا تصرفت على نحو يوحى بذلك •

ثم أنه لم ينشأ بيننا فى داخل الحكومة أى وع من التكتل أو الولاء

الخاص . وكان يحدث كثيرا بل ربما دائما أن يكون أقوى من يعارض وجهة نظري أثناء المداولات والاجتماعات بعض من أحسن الذين رشحتهم للوزارة . ولم يكن ذلك يترك في نفسي دهشة أو مرارة أو غضب .

غير أن الذائع المتاد أول شيء والواقع شئ آخر . ومن هنا فان هذا الصيت حاصرني كثيرا الى حد أن اللواء نجيب اعتبرني منذ البداية رجل الضباط الشبان . لا يحكم السن فحسب . بل بحكم العلاقة القديمة . كان هذا هو حظي . ولا حيلة لي فيه .

والنتيجة أنني تناسيت عنه تماما الى حد أنني لم أكن أمر عليه في مكتبه الذي كان مكتبي يعلوه - كما قلت - في مجلس الوزراء . الا وكان بيننا تليفون يكفي رفعه دون ادارة قرصه ليتم الاتصال بيننا - الا أنني لم استعمله قط . وكان هذا المسلك من جانبي أول خطوة في تصحيح نظرة الرئيس محمد نجيب تجاهي .

### ثم فتح نجيب قلبه :

ثم حدث شيء لم أسمع اليه ولم أفكر فيه وهو ان اللواء نجيب قرر أن يقوم برحلة الى النوبة ودعا الوزراء لمشاركته وقررت ان البى الدعوة ببساطة . اذ لم أتصور أن رئيس الجمهورية يسافر في رحلة رسمية وفي منطقة مهورة من الحكام السابقين . وهى النوبة ولا البى دعوته .

ولكن ظهر بعد ذلك أن هذه الزيارة كانت امتحان قوة . لأن التصدع

الذى وقع بين محمد نجيب وبين الضباط الشبان • والذى لم يكن ظاهرا:  
 يقدر كاف للعيان • كان يعمل عمله • • فمن كان على علم بهذا التصدع  
 امتنع عن تلبية دعوة محمد نجيب • وهكذا لم يشارك فى هذه الرحلة من  
 الضباط الا الصاغ خالد محي الدين الذى كان نصير اللواء نجيب بعد  
 ذلك فى حوادث مارس ١٩٥٤ •

« اذن فقد كانت رمية من غير رام • وقعت مشاركتى فى رحلة النبوة  
 فى نفس محمد نجيب موقعا حسنا والمرء يثاب رغم انفه أحيانا » •

بل أن ارتياح نجيب الى مشاركتى له فى الرحلة ارتقى الى مرتبة  
 الدهشة وهو يرانى مقبلا على واجبى كوزير دعاية فى اللقاء الخطب واعدادها  
 له • وكانت بعض الخطب بعد بناء على لمبه متضمنة أفكاره أو - وغيرها وكان  
 بعضها يثير تعليقات وتحليلات ( لعقلية ) قائد الثورة وأسلوبه فى  
 التفكير والعمل • •

والحق أن هذه الرحلة كانت ناجحة تماما • وكانت شعبية نجيب التى  
 صاحبته منذ وضع قدمه على مسرح السياسة تأخذ صوراً مضاعفة ومجسمة  
 بسبب تعليق أهل النبوة به الى حد أن أشيع أن والدته منها وهو غير  
 صحيح أذيع انها أصلا سودانية وهو أيضا غير صحيح •

« ولا أنسى من مشاهد هذه الرحلة ذات ليلة • أن خرج أهل النبوة  
 فى قرية من قراها يحملون المشاعل والشموع من كهوف الجبل على نحو

بدائي بانور أمي ساحر • استدعى الى وجداني صور الدعوات الدينية الأولى التي كنت تتخذ غالبا من المناطق الجبلية والصحراوية مسرحها • كدعوة عيسى بن مريم أو محمد بن عبد الله •

« وحدث أن اختلفنا على ظهر الباخرة التي كنا نتخذها مقراً لنا بمولد النبي عليه السلام الذي تصادف أن أهل علينا أثناء الرحلة • وطلب الى اخواننا ال أن القى كلمة في هذه الذكرى المباركة وفوجيء اللواء محمد نجيب ببعض المعلومات عن تاريخ الرسول تختلف تماما عن الافكار المحفوظة التي تردد في أمثال هذه المناسبة • • قدار بيننا حديث رقيق كله تآثر بعد ان انتهت الحفل • وخيل الى أن وساوس الرئيس ... تجاهي قد تهاوت » ١٠

ثم مرت أيام زاد بعدها التحرش العلني المتبادل بينه وبين الضباط الشبان وقد بدأ ذلك التحرش العسكري بشكوى من اللواء نجيب من سوء معاملته في الصحافة • ولا أنسى أنه عرض على المجلس المشترك المكون من ضباط القيادة ومجلس الوزراء شيئا نشر عنه في مجلة « روزاليوسف » ترجم عن جديدة أجنبية وكان يجب في رأيه أن تمنعه الرقابة إذ أن الصحفي الأجنبي ذهب الى أن نفوذ نجيب يتقلص وشمسه تغرب • وان السلطة الحقيقية في يد ضابط شاب هو جمال عبد الناصر •

#### الملك سعود يصف عبد الناصر :

هنا نعبّر منطقة أزمة مارس بين نجيب والضباط الشبان في مذكرات فتحي رضوان • لأن له رؤية خاصة تختلف عن الرؤية الشائعة لهذه

الآزمة • فهو أول رجل من صانعي السياسة في الخمسينات يقول ان هذه الآزمة في جوهرها لم تكن أزمة - بل ولم يكن شيئاً واضح المعالم أصلاً • وأنه - على حد التعبير المصري - لا يرى لها « رأساً من رجلين » ذلك لقوله بأن من بين ميع الاطراف المشتركة في الأزمة كان هناك طرف يعرف ماذا يريد • ويستطيع أن يحقق ما يريد ذلك الطرف هو الثورة أو جمال •

لكن فتحي رضوان وجد نفسه مع ذلك ، في قلب الأزمة عندما بلغت ذروتها • ذلك أنه كان رئيس بعثة الشرف الرسمية المرافقة للملك سعود في أول زيارة ملكية له لمصر • وكان الملك - من حيث لا يحتسب - في هذه الزيارة يلعب دوراً بارزاً في الوساطة بين جناحي السلطة العسكرية المتخاصة •

ولكن •• لنحاول أن نتعرف على الأحداث من خلال رواية فتحي رضوان ••

« عدت من السعودية بوصى رئيساً لبعثة الشرف الرسمية المصرية مرافقا للملك سعود على طائرة سعودية يتولى زمامها طيار أمريكي •• ووصلنا الى سماء مطار القاهرة • بدلا من أن تهبط الطائرة اذ بها تستدير وتحول حول القاهرة في دورات متعددة استغرقت ساعة •

أقول الحق بدأ القلق يعتريني رغم اننى حاولت التظاهر بالطمأنينة •• فقد كان أبسط شيء يمكن أن يفكر الانسان فيه هو معلق بين السماء والأرض وشبح نفاذ الوقود يقترب هو ما هو هذا الطارئ الذى يحول دون

أن ستقبل مطار العاصمة طائرة تحمل ملكا واعضاء حكومته. الا اذا كان هناك شيء غير مألولا ترى ما هو هذا الشيء غير المألوف ؟

هل عاد الملك فاروق مثلا ؟ وهل . . وهل . . وهل .

« هذه الخواطر ومثيلاتها حاصرتنى بينما كنت أقوم بدور الدليل السياحي للملك سعود . ونحن ندور فى سماء القاهرة عبر نفس المعالم عدة مرات . . فكان على فى كل مره أرى فيها الهرم أن أجد شيئا جديدا أقوله للملك عن الهرم . . . وكان لأبد أن أضيف فى كل مرة معلومات لم أقلها من قبل عن القناطر الخيرية والجامعة والنيل . وكل شيء . . لدرجة أن الملك سعود قال لى اضحكا . . والله بنعينك. وزير ارشاد للأمة العربية لأن كل دورة بتعطينا معلومات جديدة . » ! .

وخيرا جاء فرج الله . . ونزلت الطائرة فى مطار الماظه القديم وهو غير مطار القاهرة الدولى الذى لم تكن قد تم بناؤه .

وعلمت فور هبوطى من الطائرة أن سبب التأخير هو أن مجلس القيادة . وعلى رأسه اللواء نجيب . كان مشغولا فى نقاش ساخن متفجج فى القيادة . . الى أن الجميع نسوا موعد وصول الملك . !

وعلى الرغم من أنه كان من الواضح تماما ان الأمور تسير بين نجيب والآخرين فى طريق اللاعودة الا أن البرتوكول أملى على الجميع أن يرسموا

أعذب ابتساماتهم وهو يستقبلون الضيف الزائر ..

« وفي اليوم التالي نشرت الصحف حديثاً فونياً مسجلاً للواء نجيب مع مصطفى النحاس باشا وفيه نسب للواء أنه كان يغازل حزب الوفد الى درجة التحريض .

كان من الواضح أن الجو قد أكفهر تماماً .. ولكن حرية اللواء نجيب في الحركة كانت مقيدة باضراجه الى ملازمة الملك سعود .

وفعلا سافر نجيب مع الملك بالقطار الى الاسكندرية .. وكنت معهما .. وكان على ان أقوم بدور المضيف لأن الرئيس نجيب كان مشغول البال جدا ، وزاهدا في الكلام .

« ولما وصلنا للاسكندرية ركب الملك والرئيس سيارة التي تقل الرئيس والملك أمام ثكنات الجيش في الاسكندرية واستأذن محمد نجيب من الملك سعود ، لأن صراع الحياة والموت الذي كان دائرا في الجيش أملى على نجيب أن يتجه الى ضباط الاسكندرية مستغيثا ومحتسكا .

ومن هنا فوجئت بدعوتي الى الركوب الى جوار الملك مكان محمد نجيب !

وكنت قد خلعت طربوشى ولم يكن قد خلع رسميا بعد . فاعتذرت للملك لأننى أركب فى معينه حاسر الرأس .



فقال لى الملك ...

— هيك زين ..

• أى هذا أحسن

« وبركوبى مع الملك انقطعت عنى أخبار الأحداث الحاسمة التى وقعت فى ختام الأسبوع الثالث من مارس ١٩٥٤ • ذلك أن برناجنا كان مشحونا الى أقصى حد بالزيارات وأذكر أن الملك سعود صمم على أن يزور منزل عبد الرحمن عزام باشا فى أطراف ضاحية ( أبو قير ) وكان الطريق الى هناك شاقا بل وعرا • وتمت الزيارة رغم العناء ووعورة الطريق ، عدنا لنزور منزل محمد حسن العبد باشا المقاول المصرى الاثير لدى الملك • ثم عدنا صوب الباخرة المحروسة ونحن لم نسترح لحظة • وإذا بالملك بمجد مبارحة الاسكندرية الى القاهرة فى الليل يصمم على الاتجاه الى فندق هليوبولس بالاس ، ليلبى دعوة أحد كبار السعوديين فى مصر على وليمة عشاء على الطراز العربى • وكان الليل قد انتصف ونحن ننهى يوما بدأناه مع مشرق الشمس فى سفر من القاهرة الى الاسكندرية الى أبى قير • الى الميناء الشرقية الى القاهرة • فحملة الزيتون •

وودعت الملك وأرتميت على أقرب مقعد فى مدخل قصر الطاهرة ،  
أمنح نفسى لحظة راحة ضئيلة وكأنى استمد شحنه تدفعنى الى السيد -  
لتحملنى الى بيتى ..

وإذا بضجة في الخارج ! وإذا باللواء محمد نجيب داخلا مكفهر الز  
وفى أثره الدكتور عبد الرازق السنهوري :

« وعلمت في لحظات ان اعتداء ما قد وقع على اللواء نجيب في  
الصحراء بواسطة ضباط . ردد منهم أسم أحمد أنور . وآثرت الانسحاب.  
ونفسي منقبضة غاية الانقباض ، متوجسا أشد التوجس من آثار هذا الشقاق.  
على بنى وطني » .

ودعى جمال عبد الناصر لحضور اجتماع عاجل يديره الملك سعود .  
وامتد النقاش الى قرب الفجر وخرج الجميع والأعياء يكاد يقتاهم .  
واقتربت من المسلك أسأله عن المود الذي أمر عليه في الصباح بعض  
الوقت .

وكانت زيارتنا الصباحية للقناطر . وفيها علمت بأسرار الخلاف  
بين نجيب وعبد الناصر من الملك سعود الذي أخبرني بأنه بذل مساعيه  
الحميدة للتسوية . ولا أنسى أن الملك سعود أثنى ثناء على جمال عبد الناصر .  
وكرر وصفه بأنه « رجال ، أى رجل بحق . عجبني كثير والله عجبني » ..

على أن وساطة الملك لم تغير في النهاية شيئا .

وخرج نجيب وتولى السلطة عبد الناصر وزملاؤه الضباط الشبان  
ويرفض فتحى رضوان أن يقول مما يعلم من تفاصيل القصلا لأنه الزم  
نفسه الا يقول الا ما رأى بنفسه .

الشيء الوحيد الذى يضيفه هو أن حاجز الزجاج الذى نشأ بلا سبب بينه وبين نجيب والذى ذاب أثناء رحلة النوبة عاد مرة أخرى بسبب أزمة مارس لم يكن هناك منطق ، لا للحاجز ولا لزواله • ولا لعودته • ولا للالزمة نفسها من وجهة نظره •

وفى رأيه أنه يتحمل كثيراً من يحاول اخضاع كل شيء للتحليل المنطقى • وانه فى الحكم أيضاً توجد أشياء لا يمكن تفسيرها الا بسوء الحظ أو حسن الحظ •

وينفى فتحى رضوان بما رواه قد قصد الى رسم صورة نجيب رئيسا • وينفى أيضاً أنه فى الحلقة القادمة سيرسم صورة عبد الناصر حاكماً • لكنه فى الواقع سيرسمها وهو يروى أزماته فى الوزارة بعد أن تولاها عبد الناصر • وسنسمع منه حكم القاضى العادل • والاديب المتزن على شخصية هذا الزعيم وخلقه وسلوكه وطباعه •

وسنسمع منه أيضاً كيف ترك الوزارة آخر وحكمه على فتحى رضوان وزيراً :-



٢ نوفمبر ١٩٥٤ - المكان مجلس الوزراء والمناسبة وردت الأزمة بين نقابة  
الحامين والثورة وفتحى رضوان الوزير لا ينسى أنه فتحى رضوان الحامى ...  
وقد أحاط به « الزميلان » مصطفى برعى ، وعمر عمرى والأزمة على الوجوه  
تعلن عن نفسها .

---

كان مجلس الوزراء برئاسة جلسة استماع يكون فيها هو المتحدث وعبد والوزراء يستنون

---

صدام مع  
عبد الناصر

أخرج جمال عبد الناصر حافظة نقوده من جيبه الداخلي وقال في  
صام مخاطبا زميله موفق حموي رحمه الله ..  
- المشكلة كلها على كام جنييه ؟ يا أخى ابقى تعالى خسلهم متى  
أول كل شهر وبلاش توجع دماغى !

ولكن المسألة بالنسبة لموفق حموى لم تكن مسألة جنيهات ..  
المسألة أنه كان يشعر أن زملاءه الضباط الأحرار قد أصبحوا وزراء  
في حين أن فتحى رضوان يضمن عليه بالتعيين في الدرجة الأولى .. في  
وزارة الإرشاد ، التي كان فتحى رضوان وزيرها .. وترك فتحى  
رضوان يروى كيف جرت القصة .. وبدأ بها رسم صورة  
عبد الناصر .. حاكما !

يقول فتحى رضوان ..

« كان موقف حموى من أقرب انضباط الى قلب عبد الناصر  
وكان من أوائل من ضمهم خلايا الجيش الشورية .. وكان رفيقا  
لعبد الناصر في حصار الفالوجة . وبعد نجاح حركة ٢٣ يوليو خلف  
الصاغ حموى البكباشى أنور السادات في الاشراف على رقابة الصحف  
وكان هذا الموقع أحد المراكز الحساسة على خريطة السلطة الجديدة  
وهو تؤمن نفسها ضد التيارات الخفية والمعلنة .. ثم حدث أن ألغيت  
الاحكام العرفية في عام ١٩٥٧ عقب اعلان دستور ١٩٥٦ بمدة قصيرة  
إفانغيت بذلك وظيفة مدير الرقابة ونقلوه الى وزارة الإرشاد التي كنت  
أتولاه .. وكان لا بد له من اختصاص يتولاه » .

فكرنا بادئ ذي بدء في أن ننشئ له « مصاحبة » باسم مصلحة  
الصحافة ، تنتزع اختصاصاتها من اختصاصات مصلحة الاستعلامات .  
ولكن ذلك بدا أنه سيفتح باب تهب منه رياح الخلاف بين الضباط  
الزميلين موفق حموى ومحمد عبد القادر حاتم .. فعدنا عن الفكرة  
واكتفيت بتعيين الأخ موفق في وظيفة إدارية كبيرة بالوزارة .

ولست أريد هنا أن أغرق القارئ في تفاصيل إدارية، ولكن يكفي أن أشير إلى أن موفق خيل إليه بعد تعيينه بقليل إنني حول دون مزيد من الرقي له إلى درجة أعلى .. وإنني أثرت بها عليه آخرين .

وقد تكرر هذا الظن منه مرتين .. مرة حين فضلت عليّ المحقق المعروف الأستاذ إبراهيم زكي خورشيد الذي كان قد أتم تعليمه حين كان موفق لا يزال يتلقى علومه في المدارس الابتدائية ومرة ثانية حين فضلت عليه رجلاً دخل الخدمة قبل أن يولد موفق نفسه وهو المجاهد التقديم يوسف عبد الغفار أحد أبطال ثورة ١٩١٩ .

وكان من رأيي في الحالتين أن في شباب موفق وحداثة عهده بالتصدي للخدمة العامة ما يمكنه من الانتظار شهوراً إلى أن يحل أحدهما إلى التقاعد .. ولكن موفق كان له رأي آخر ، ولا أضن بالتماس العذر له من وجهة نظره فإنه رأى .. ( وهذا كلامه الذي قلته مرة في مواجهة ) بعض زملائه الأحداث منه خدمة وقد أصبحوا وزراء ..

وأذكر أنني قلت له .. عندك حق ولكن اذهب إلى الذي يعين الوزراء فلعله يعينك ولعله يضعك مكانى .. ولعل يوماً يجيء فأطرق يابك لأسألك أن تسوى استحقاقاتي في المعاش .. أما أنا فلا أستطيع لكى أعطيك ما تعتبره حقاً لك أن اسلب من هم في عمر والدك حقوقهم .

« فذهب موفق حموى يشكونى إلى عبد الناصر ، ويناشده أن

يكلمنى فى أمر ترقيته . فرفض عبد الناصر وأحاله على عبد الحكيم  
عالم الذى أبى بدوره أن يكلمنى وأحاله على أحمد حسنى وزير العدل  
الذى بادرنى ذاهلا فور اتصاله بى ..

انت مجنون ! .. الناس بتجرى وراء سائق عبد الناصر ..  
وراء انسكرى الى واقف أمام بيته .. وانت بتزعل زميله وصاحبه ؟  
انت مالك ما دامت لجنة شئون الموظفين المختصة بنظر ترقية  
الموظفين أفتت بوجوب ترقيته مرتين .. رقيه .. ما تبعد عن الشر  
وتغنى له

« ولكنى رفضت أن أبعد عن الشر ورفضت أن اغنى له ! وتكررت  
شكوى موفق منى ثلاث مرات : وتكرر الاتهام أحمد حسنى وزير العدل  
لى بالجنون ثلاث مرات . ولم ينل موفق الدرجة الأولى التى سعى  
إليها كل هذا السعى . الله بعد أن اتخذت اللجنة حكومية برياسة السيد  
زكريا محيى الدين خطوة معينة أزيح بمقتضاها أحد منافسى موفق عن  
الخدمة بعد منحه مدة اضافية وأحيل الى التقاعد .

والهم فى القضية كلها أن عبد الناصر رفض أن يطلب الى أن  
أعدل عما آراه حقا . وعرض حافضة نقوده الخاصة ليعوض صديقه عن  
« تقصيرى » .

**أعرض ! اتفضل أعرض !**

ولكن ، ماذا حين كان يصطدم عبد الناصر بوزير له ؟ فتحنى  
وضوان لديه ، هنا أيضا حكاية مشيرة ..  
قصة نادرة من مجلس الوزراء ..



جمال عبد الناصر ، على الأقل في الفترة التي عملت معه فيها  
وزيرا ، كان في الجملة دائما سمح الخلق لطيفا في المعاملة واسع الصدر  
وهو في مجلس الوزراء والمؤتمر المشترك لا يكاد يتكلم لا تأييدا ولا معارضة  
على عكس ما صار اليه الأمير حين أصبح رئيسا لمجلس الوزراء ..  
وأصبحت الأمور كلها في يده .

أفقد أصبح مجلس الوزراء برياسته جلسة استماع يكون فيها هو  
المتحدث وحده والوزراء ينصتون ويأخذون الملاحظات ويتلقون  
التوجيهات ، فإذا ما أراد أحدهم أن يعلق أو يتكلم كان عليه أن يطلب  
الاذن بالكلام .

ولكن عبد الناصر كان بشرا .. ويمكن أن يفقد أعصابه إذا لمس  
أحد عصبا حساسا عنده وقد واجهت هذه التجربة ذات ليلة في أحد  
اجتماعات مجلس الوزراء ..

كنت في تلك الليلة وزيرا للمواصلات ، وعرض الرئيس على  
المجلس موضوع فتح اعتماد بمبلغ كذا ألف جنيه لمواجهة مصروفات  
عيد الثورة السابق على تلك السنة .. فقلت مخاطبا الرئيس .. بهذه  
المناسبة أنا أريد أن أشير إلى أن الأخوين الصاغ عبد الله طعيمة والصابغ  
ابراهيم الطحاوي « وكانا أمينى الاتحاد القومى وقتها » وقد أذاعا على  
أعضاء التنظيم السياسى فى طول البلاد وعرضها أن من الممكن القدوم إلى  
القاهرة من سائر أنحاء الجمهورية وأطرافها على قطارات السكك  
الحديدية بتخفيض قدره ٧٥ ٪ من الأجر الرسمى بشرط إبراز بطاقة  
الدعوة إلى حضور المؤتمر العام ..

واستطردت قائلاً للرئيس .. أن سلطات السكة الحديد استغاثت  
بى من هذا القرار الذى لم تستشر فيه .. ولفتت نظرى الى النتائج  
الخطيرة التى يمكن أن تترتب على زحف عارم كهذا على امكانيات النقل  
المحدودة وبمثل هذه الخسارة الرهيبة على مرفق النقل وبمثل هذه  
السهولة التى يتجلى فى مجرد ابراز بطاقة دعوة مطبوعة على ورق  
خشن ، ويمكن اصطناعها بسهولة لأنه لا يميزها أى علامة خاصة  
أو اختام يصعب تقليدها وأفضت فى شرح هذا المعنى .

فاذا يعبد الناصر يرمقنى بنظرة احتياج مندهش ، ويتساءل ..  
ايه المناسبة ؟ انا بتكلم عن اعتماد لمصروفات عيد الثورة السابق ..  
فأنت موافق على الاعتماد والا مش موافق ، هذا هو السؤال ولا دخل  
له بتذاكر الدعوة اللى بتثيرها بدون مناسبة وبدون علاقة بالموضوع  
المعروض !

وفاجأنى هذه الالهجة التى لم أكن أعهد لها فيه . ولم يكن غيرى  
من الوزراء يعهد لها فلم أرد فى الحال .. ثم قلت .. المناسبة اننا فى صدد  
الاحتفال بعيد الثورة .. إفتقال .. لكن الموضوع مش عيد الثورة ..  
الموضوع فتح اعتماد مالى !

ثم تصاعد غضبه رحمه الله إفتقال .. يعنى انت عاوز تخرجنى ؟  
عاوز تعمل من الحكاية دى موضوع تعرضه على مجلس الوزراء يمكن  
يا أخى أنا إعطيتهم وعد .. ويمكن ان هذه الاجراءات انا موافق عليها ..  
فاتفضل اعرض وخذ الرى .. اتفضل اعرض ، وخذ الرأى .

بكرّر رحمه الله نفس العبارة عشر مرات تقريبا .. فلم أرد ..

فاستشاره صمتي ، وعاد يكرر نفس العبارة .. ثم أشعل سيجارة  
يطريقته العصبية المركزة التي كانت تلازمه عند الغضب وقام مطرقاً  
وإغادر قاعة الاجتماع دون أن يعلن رفع الجلسة !

وقمت على الفور في هدوء أجمع أوراقى وأضعتها في حقبتى وقد  
ساد الاجتماع وجوم شديد .. ولما هممت بالاتجاه ناحية الباب توطئة  
لمفادرة مقر مجلس الوزراء اتجه نحوى وقال لى .. جمال سالم ..  
ما تزعش أصله لم ينم الليلة ألى فأتت ولا دقيقة .

واقترب منى نور الدين طراف وهمس في أذنى .. واضح أن  
الموضوع نفسه كان معروضا على مجلس قيادة الثورة . ويظهر أن رأى  
المجلس كان من رأيك .. فأنت وضعت أصبعك على الجرح !

ولم أعقب .. سرت في اتجاه الباب .. وإذا بصلاح الشاهد  
يأتى لاهثا .. فيقول الحمد لله الفيتك .. الرئيس قال لى أحصلك على الباب  
ورجعك بأى طريقة .

وأصطحبنى صلاح الشاهد الى حجرة جمال عبد الناصر رحمه  
الله . وما كدت أدخل حتى عاتقنى وبدأ عليه تأثر شديد .. وتوالى  
دخول الضباط أعضاء مجلس القيادة . وكان أكثرهم وزراء عسكريون .  
وتبارى كل منهم في تطيب خاطرى والاعتذار لى .. وختم الرئيس عبد الناصر  
هذه الباقية من الكلام الطيب بأن قال لمن حوله ..

« كفاية كده الاجتماع .. إفضوا جلسة المجلس » .. ثم التفت

ناحيتي وقال لى .. الساعة ١١ - صباحا غدا أنا عاوزك! .. أوعى  
ما تجيش .

وفى الصباح ذهبت اليه فى الموعد المحدد . فأمسك بسماعة  
التليفون وطلب الصاغ عبد الله طعيمة وقال له .. يا طعيمة اللى يقوله  
السيد وزير المواصلات يمشى .

ويبدو لى أن طعيمة قال من على الطرف الآخر من الخط  
التليفونى .. أن التعليمات وصلت إفعلا الى سائر أنحاء لجان الاتحاد  
القومى .. فاذا ألفيناها فإن الناس مش حتيجى الاجتماع الكبير .  
فرد عبد الناصر قائلا .. يا سيدى ان شاء الله عنهم ما جم !

ومصادمات مع الذين حوله !

ان قصة خروج وزير من الوزراء لا تقل أهمية - ان لم تزد - عن  
قصة دخوله ، هناك وزراء يستقيلون وهناك وزراء يقالون .. وهناك  
وزراء يرزعون الباب وراءهم بشدة . وهناك وزراء يخرجون وقد تركوا  
الباب مواربا ليعاودوا الدخول منه بعد قليل أو كثير .. وأخيرا فإن  
هناك وزراء يلمعون بدخولهم الوزارة . ووزراء يلمعون بخروجهم منها !

ويقول فتحى رضوان أنه خرج بناء على طلبه .. بل بناء على  
الحاحه ، عند أول تعديل وزارى فى عهد الوحدة بين سوريا ومصر ..

وها نتركه ، يروى القصة بنفسه ..

« كان خروجي من الوزارة قرارا سابقا لي .. وقد حدث في الفترة الأخيرة السابقة على خروجي بعد الوحدة بأن توالى مصادماتي بمن حول عبد الاصر .. وأذكر أنني قدمت أكثر من استقالة .. اذكر انني في أعقاب الاستقالة من هذه الاستقالات اثر صدام من الاصطدامات ببعض الذين يحدقون بالقمة ، صارضته بقولي ...  
ان كل الذين حولك يريدون أن يغمضوا عيونهم ويفتحوها فلا يجدوني .

وكان مثل هذا الكلام يحرك شهية عبد الاصر لمعرفة التفاصيل جيدا . كان يسألني ماذا كان بينك وبين فلان وفلان وفلان .. وكان يدهشة أن يرى أن في جمعتي أشياء كثيرة وكبيرة وجاهزة .. فيعود يسألني ضحاکا ..

– طيب وماذا بينك وبين فلان وفلان وفلان ؟

فأقول .. أليس هذا الذي قلته كافيا لجعلني أتمل وينفذ صبري واطلب الراحة ؟ لقد قلت لك كثيرا .. انني لم أخلق وزيرا ، ولا أصلح لأن أكون وزيرا ، الا انني قد قبلت أن أركب هذا المركب الصعب لأنني كنت أحلم بانني أستطيع ان أفعل أفعل الى جانبك شيئا ، ان لم يكن في مجال السياسة العامة فعلى الأقل في مجال الثقافة .. وأذكرك يا أخ جمال . ( ثم عاد فتحنى رضوان فطلب مني أن أشطب عبارة يا أخ جمال وأكتب بدلها يا سيادة الرئيس لا يقول أحد انه يصول ويجول بعبارة تشف عن رفع الكلفة بعد ذهاب عبد الاصر ) .

وأذكرك يا سيادة الرئيس بأنك على سطح الباخرة الحربية وأنت في طريقك الى يوغوسلافيا وجدتنى أقف بعيدا عنك وكان الى جانبك كمال الدين حسين أو بغدادى .. فنظرت أنت الى الواقف معك وسألته صاحبك مش راضى يقرب ليه ؟ ثم نظرت لى وقلت لى وأنت ضحك .. المتاحف وأخذتها ( وكان كمال الدين حسين معارضا في نقل مصلحة الآثار من وزارة في التربية والتعليم الى وزارة الثقافة ) .. فلماذا تقف بعيدا ؟

واستطردت مخاطبا الرئيس عبد الناصر .. هل تذكر هذه الكلمة ؟ قال .. نعم ، قلت .. أنت قُلتها على سبيل المزاح وقد كانت في صميم الجد .. فما كان يبقينى في الوزارة الا مثل هذه الأمور .. ان أحترم الثقافة أن اخدم العمق ان اطارد الضحالة . ان انشىء المتاحف ..

فاجابنى عبد لناصر على الفور .. لقد اكتملت لك جميع الأجهزة الثقافية .

فقلت له أنا أيضا على الفور .. بقى ان اكون قادرا على ان اديرها!

فضحك رحمه الله وهو يهز ساقيه .. وكانت هذه عادته أن يهز ساقيه بشدة عند السير وعند الغضب ، واقفا أو جالسا .. ثم قال لى ..

— طيب ما تريدها ..

فقلت إنه .. ولما اكون مش قادر ؟

فقلت له .. ولما اكون مش قادر ؟

قال عبد الناصر .. و به الى خلاك مش قادر ...

قلت .. بعض الذى ذكرته لك يكفى لكى تعرف كيف .. اذا كنت فى حرب مع كل من حولك فى الصغيرة والكبيرة ،فماذا يبقى لى من وقت أو جهد لأصرفه فى العمل الصالح ؟ .

« خلاصة القول اننى كنت قد رتبت نفسى على انتهاز أقرب مناسبة للخروج من الوزارة فلما ذهبت الى البانيا ممثلاً لمصر بدعوة من جمعية الصداقة الالبانية العربية حدث ما عجل برغبتي فى الخروج .. لا لمناسبة تتصل بموضوع الزيارة بل لطارئ صحى ألم بى فاعطانى الحجة لكى أخرج فى هدوء وبلا ضجة .

وتفصيل ذلك اننى فى تيرانا عاصمة البانيا بينما كنت اتهاى لالقاء كلمتى مع انشراح الصدر والسرور لأننى قد اكتشفت فى البانيا شعباً عربياً فى صميم أوروبا لا يتكلم العربية وان كان بعض على ايمانه بالاسلام واثمائه للعرب بنواجزه لدرجة ان الخطب التى القاها الوزراء الالبانيون كانت دراسات مسهبة ودقيقة وجيدة عن اثر العرب والمسلمين فى الحضارة الأوروبية الحديثة ( بل اننى أستطيع أن أقول بدون مبالغة انه ليس فى وسع وزير مصرى أن يباريهم فى هذا العلم ولا فى الحماسة للعرب والمسلمين .. أقول بينما أنا أتأهب لالقاء وخطابى وأنا امتلىء انشراحا بهذه المشاعر اذا بى أشعر فجأة بهجمة (مفص)، لم أشعر بمثلها فى حياتى .

على لاننى تحاملت على نفسى وتجاهلت هجمة الألم حتى لا أفسد

للمناسبة ، والقيت خطابا بالعربية ترجم في الحال الى الالبانية وتناولت فيه بطبيعة الأمر قضية فلسطين . . ورأيت بعيني دموع الرجال والنساء تنهمر على خدودهم تأثرا لما قلته عن حالة اللاجئين الفلسطينيين . وما كدت أنتهى من الحديث حتى رأيتنى عاجزا عن ان اقوم وتقدم الوزير السوري مصطفى حمدون الذى كان وزيرا للشئون الاجتماعية في عهد الوحدة ومعه مجاهد جزائرى كان يحمل اسم « أبو خالد » يحملاننى حملا الى السيارة .

وباختصار قضية ليلة وبما فى ألم صاعق ، وان كانت قد خففت منه هونا الاسعافات الطبية التى تفضل بها على أستاذ الطب الباطنى فى جامعة تيرانا . فلما عدت الى القاهرة أجريت « رسم قلب » على يد الأستاذ الدكتور محمد ابراهيم شيخ أطباء القاهرة . ونظر الأستاذ العميد الى لوحة الرسم ونصحنى بأن ألزم الراحة .

أقول الحق . على الرغم من معاناته الصحية رددت فيما بين نفسى وبينى المثل المصرى القائل « بركة يا جامع » . يعنى اننى الآن أستطيع أن أخرج تحت مظنة العذر السياسى المشهور الأسباب الصحية . . دون ن تكون هذه الأسباب مجرد عذر سياسى !

مطلوب « المكننة » :

ولكن كيف تم ذلك ؟ يقول فتحى رضوان . .

كانت مشاورات التعديل الوزاري على وشك أن تبدأ ، وتسلمت



هرسم القلب وتقرير الأستاذ الدكتور محمد إبراهيم ليكونا ذريعتى .

وإذا بمكتبه المشير عبد الحكيم عامر يتصل بى ليدعونى الى مقابلاته بالقيادة المشتركة بمصر الجديدة .. وكنت أعلم أن الحديث سيدور عن الوزارة الجديدة ، ووقعت فى حرج ضاعف منه أنه كان مفروضاً أن أذهب لزيارة المتحف المصرى قبل صياغة التشكيل الوزارى الجديد بيوم واحد . واذ كنت أعلم علم اليقين اننى لن أدخل الوزارة الجديدة مهما كان ويكون ، فإن نفسى حدثتني بالأأ أذهب إلى المتحف . ولكننى لم أشأ أن يكون ذلك ارهاصاً بنيتى ، فقد قررت أن ذلك من حق القيادة السياسية وحدها . وذهبت الى المتحف ، وسمعت الكلمات تنبىء بما ينتظر الثقافة على يدى من أمال . وابتسمت إققد كانت ساعات بقائى فى خدمة الحقل الثقافى من موقع المسئولية معدودة ، وقلت لنفسى وأنا أجيل بصرى فى الذين يتبارزون فى اللقاء بالكلمات .. آه لو يدرون !

وقبيل لقاء المشير عبد الحكيم عامر بساعات ، التقيت بالمرحوم أحمد حسنى وزير العدل وآخرين ، وذلك فى نادى مصر الجديدة الرياضى ، وكان قريباً من مقر القيادة المشتركة وأفهمونى أن أسمى مدرج فى قائمة ترشيحات الوزارة الجديدة أمام موقع وزير الثقافة للتنفيذى . وسكت .

وعندما ذهبت الى مكتب المشير عامر وجدت عنده كلا من الدكتور مصطفى خليل والسيد حسن عباس زكى .. ولعلك لم تنس

اننى لم ادخل على ثلاثتهم وحدى وانما اكن معى صورة رسام انقلب،  
الكهربائى وتقرير الطبيب الأستاذ .

واعذرت فى الحال على مسمع من الدكتور مصطفى خليل والسيد  
حسن عباس زكى - امد الله فى عمريهما - عن دخول الوزارة الجديدة .

ولما كنت قد أدليت قبل هذا الاعتذار بحديث فى صفحة كاملة فى  
جريدة المساء ، عن خطط انقد فى الحقل الثقافى ، فقد ذكرنى حسن  
عباس زكى بذلك الحديث وقال لى :

- آمال مين اللى حينفد المشروعات دى كلها ؟

فقلت له .. كثيرون

وعدت أقول ضاحكا .. « انهم كثير » على حد رواية الشاعرة  
العربى .

بوضع المرحوم عبد الحكيم عامر حدا للحديث اذ قال .. انا  
مليش دعوة .. الرئيس حياخدك فى الوزارة .. وأنت وهو تتفقوا ..  
يعنى ترسوا لكم على بر » .

واذ هممت بالوقوف ، أطلق المشير عامر ضحكته من القلب وقال ..  
داحنا جايينك مخصوص الوزارة التنفيذية علشان تعكّن على  
صلاح البيطار وتخرجه .. آمال مين اللى حيعكّن عليه ؟ .

ذلك أن صلاح البيطار كان سيتولى الوزارة المركزية .. وكان  
قد طلب أصلا أن يكون وزيرا للدولة ، ولكن القيادة السياسية رأت  
أن تحدد أقامته داخل منصب وزارى محدد .. وريها بدا لمخططة  
السياسة أن وجود مثلى فى موقع العمل التنفيذى ما يلقى فاعلية  
البيطار - وهذا ظن لا أحاسب عليه .

وفى المساء زارنى الدكتور نور الدين طراف ، وكان قد اختير

رئيسا للمجلس التنفيذي ، ورجاني أن أعدل عن إستعفائي من دخول الوزارة فشكرته ، وصممت على رفضي .. وفي الساعة الثامنة مساءً طلبني المشير عبد الحكيم عامر على التليفون وسألني .. عملت ايه .. ده احنا مؤجلين النشرة للساعة ١١ علشانك .. اقلت له ..

ـ لقد أخذت رأى اندكتور نور الدين طراف في هذا .

قال لى المشير .. اسمعنى نور الدين ؟

قلت . لأنه طبيب . واعتذارى اعتذار صحى .

وفي اليوم التالى انعقد مجلس الوزراء . وقبل انعقاده تكلم جمال عبد الناصر عنى كلاما حسنا . ونشرت الأهرام فى صفحتها الأولى هذا الاطراء انطيط والتوديع الكريم .. ثم عاد فأرسل الى خطاب شكر .. ولم يكرر ذلك لآكه ـ فيما أعلم ـ مع أحد ممن خرجوا .

الى هنا تنتهى رواية فتحى رضوان عن خروجه من الوزارة .

ولكن هل كانت متاعبه الصحية ، ومتاعبه مع طراف الصراع حول القمة ، هما السببان الوحيدان لاصراره على الخروج ؟

الا يجوز أن يكون هناك سبب ثالث ، هو انه كان يرى نفسه جدر بمنصب وزير الثقافة المركزى .. حتى تتاح له السلطة التخطيط العام لثقافة دولة الوحدة الجديدة ؟

نجازف بهذا الرأى على مسئوليتنا ، وعلى أساس أن فتحى

رضوان - رغم مراجعته لهذه الحلقات - لا يملك الاعتراض على ما ليس منسوباً إليه .

وقد يكون من حقنا أيضاً ، وقد وصلنا الى خروجه من الوزارة ، ان نقيم حصاد عمله فيها . انه الذى وضع على خريطة السياسة فى مصر وزارة للدعاية « وهو يرفض كلمة اعلام لأنها فى رايه لفظ زائف .

وهو الذى انشأ الاذاعة المصرية الحديثة انشاء . وصنع لها شأنها الخطير الذى لعب دوره فى الخمسينات والستينات . . وفى وزارة الثقافة انشأ ١٦ جهازاً فى ١٦ جهازاً فى ١٦ شهراً ، ولم تكن عرفت اقبله أمثال هذه الأجهزة كأوركسترا القاهرة السيمفونى ، ومسرح العرائس ، ومدرسة وفرقة البالية ، وفرقة رضا ، ومعهد السينما وهيئة الكتاب ، ودار الوثائق . . الخ أما فى مجال المواصلات فكان من أبرز أعماله طريق مصر - اسكندرية الزراعى .

وسر فتحى رضوان فى اعتقادنا أنه لم يكن سياسياً فى عالم الثقافة ، وانما مثقفنا فى عالم السياسة . . ويكفى انه بدأ فى سن العشرين ، وفى سنوات الاضطراب والكفاح ، بترجمات لأساطير الكذب الأوربى وجدت مكاناً لها فى صحيفة « السياسة الأسبوعية » الى جانب تسيوختة من أمثال المازنى وطه حسين ومحمد حسين هيكل وغيرهم .

لقد فشلت فشلاً ذريعاً ! ونجحت نجاحاً رائعاً ! فشلت فشلاً ذريعاً لأننى لم أستطع أن أسلح الصبر وسعة الصدر والمداورة لكىبقى فى الوزارة قريباً من عبد الناصر ، قادراً على ان ابدى رأى بصراحة

وبقية موارد دون أن يغضب منى .. ومن الأحياء من يشهد بأنه كان يحدث بيننا مجاملات ومناقشات وأحيانا اصطدامات تصل الى درجة العنف .

ولكنى لم أشعر قط اننى فقدت صداقته ولا حسن ظنه .. ولكن اعصابى تعبت ، وهذا خطأ لا يجوز للسياسى ان يعترف به .

وفشلت ، ايضا لأن رغبتي في الكمال أمر لا يتفق مطلقا مع السياسة . فالسياسة هي الانتفاع بالممكن في انتظار الصعب والبعيد ، والانتقال منه الى الأقل امكانا وهكذا .. أما الفكر المثالى فهو فكر الكتاب ! الفكر الساسة .. والسياسيين في رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، خير المثل للتأني وسعة الصدر والانتقال من خطوة الى خطوة .

أما نجاحى ، فمن الذوق أن ادع غيرى يتحدث عنه !

ولعلنا قد افعلنا . وأشرنا الى بعض ثمار هذا النجاح .. نكن ما فقلنا فيه هو اقناع فتحى رضوان بأن يروى من ذكرياته أكثر مما روى !

اقمع انه سجل هذه الذكريات جميعا في مذكرات مكتوبة ، الا انه مصمم على أن الوقت المناسب لاذاعتها لم يحن بعد .. وله في ذلك حجج لم تقنعنا .. ولكن حججنا أيضا لم تقنعه !

فلم لا يحاول القراء معنا ؟



الى مكتب لينين في قصر الكرملين جلس فتي رضوان يكتب كلمه في سجل  
الزيارات في اثناء ابعده صداقه وثقافه الي موسكو .

د. عبد الوهاب البرلسي

ميروى لـ:

ضياء الدين ييبرس

عبد الناصر - حاكماً!

الى هنا وتنتهى شهادة الأستاذ فتحى رضوان ...

ثم يجلس الى منصبه الشهادة الطبيب الوزير : د . عبد الوهاب  
البرلسي .

ويروى الدكتور البرلسي شهادته ببساطة ، وصدق ، وبلا محاولة  
للتفسير والتحليل . ويرسم بها صورة - لم يرسم أحد مثلها قبل  
الآن - لمجلس وزراء عبد الناصر . ومن خلالها يرسم - دون قصد -  
صورة عبد الناصر نفسه رئيساً للوزراء ! .



• بحفلة وزير الإرشاد والثقافة ، فقد كان للفن والفنانين فيه نصيبا •



---

كان عبد الناصر مجيد الاستماع ويفتح صدره للنقاش ويتقبل الرأي المعارض

---

ما حدث  
فيما بين  
الناصرين

مجلس وزراء عبد الناصر

أولا حافظ بدوي :

أغرق جمال عبد الناصر في الضحك ، وكان قليلا ما يفرق في الضحك ، ثم قال للوزير الجديد : أنا ما كنتش عارف يا أستاذ حافظ ان عندك ١١ بنت وولد ٥٥ جايز لو كنت عارف كده قبل تشكيل الوزارة كنت ، كنت ٥٥

وتوقف عبد الناصر قليلا ثم قال : كنت اخترت لك وزارة غير  
وزارة الشئون الاجتماعية !

أما « الأستاذ حافظ » فقد كان حافظ بدوى وزير الشئون الاجتماعية  
الجديد . والتاريخ كان ٢٨ أكتوبر ١٩٦٨ ، والراوى هنا هو الدكتور  
عبد الوهاب البرلسى وزير التعليم العالى الجديد فى نفس الوزارة . وقد  
شهد الواقعة بنفسه هو والوزراء الجدد الأربعة الآخرون الذين دخلوا  
الوزارة لأول مرة فى نفس اليوم . وهم : الدكتور عبد العزيز كامل  
الذى عين وزيرا للأوقاف وشئون الأزهر ، وحمدي عاشور الذى عين وزير  
للملاذرة ، والدكتور عبد الوهاب شكرى وزير الصحة ، وحافظ بدوى  
نفسه بطبيعة الحال .

ويستطرد الدكتور البرلسى فى مذكراته التى ستصدر فى العام  
القادم تحت عنوان « وزيرى مع عبد الناصر » ، قائلا :

كان من التقاليد المتبعة أن يجتمع الرئيس لفترة من الوقت مع  
الوزراء الجدد بعد أداء اليمين الدستورية . وقد اجتمعنا مع الرئيس يومها  
فى مكتبه بقصر القبة لمدة ساعة ونصف . وكان الموضوع الرئيسى فى  
اللقاء هو موضوع المشكلة السكانية . وضرورة بذل المزيد من الجهد  
لموضع خطة قومية للحد من المعدل المرتفع للتزايد السكانى .  
وقال عبد الناصر لحافظ بدوى أنه يبنى عليه بالذات أمالا عراضا

فى اقناع الناس بتحديد النسل .

ولا أذكر الآن بالضبط من الوزراء الجدد الثلاثة الموجودين • ولعله  
للدكتور عبد العزيز كامل ، الذى قال للرئيس الراحل : أن خير وسيلة  
لاقناع الناس بتحديد نسلهم هى صورة الوزير الجديد وهو جالس بين  
أولاده وبناته الاحد عشر !

فسأل عبد الناصر بدهشة : هذا صحيح ؟

فقال حافظ بدوى : صحيح يا سيادة الرئيس • وكلهم يدعون لك  
بمؤمنون بمبادئك •• وقد أنجبناهم فى أيام الخير • أما الآن •

فقاطعه الرئيس ضاحكا : حثقول كده للناس فى تنظيم الأسرة ؟  
لا يا سيدى •• نشوف وزير تانى ما عندوش القبيلة دى ••

واتفقنا على أن ينتقل الاشراف على الدعوة لتنظيم النسل الى وزارة  
الصحة •• وكان أولاد الأستاذ حافظ بدوى — بارك الله له فيهم هم  
السبب !

### حدوة الحصان :

كنا خمسة دخلنا الى الوزارة ٢٨ اكتوبر ١٩٦٨ • وكان طبيعيا  
وطبقا للتقاليد المتبعة ، أن يكون مجلسنا فى اجتماعات مجلس الوزراء  
فى آخر طاولة الاجتماعات على طرفى حدوة الحصان • وكان على يسارى  
السيد حافظ بدوى • لانه الأحداث • فقد كان محليا حرا قبل أن يدخل  
الوزارة • وعلى يمينى كان يجلس الدكتور عبد العزيز كامل وهو

الأقدم • فقد كان نائبا لوزير الأوقاف من قبل • وكان عبد العزيز كامل هادئا دائما ، جادا فى غير تزمّت • ناصحا لى فى الازمات • وكان حافظ بدوى خفيف الظل يستفهم عن معنى أى كلمة تقال بلغة أجنبية خلال المناقشات !

وكان أمامى على الطرف الآخر من حدوة الحصان الدكتور عبد الوهاب شكرى وزير الصحة ، هادئا دائما • وانما كان ينفعل داخليا عند مناقشة امور وزارة الصحة ، وقد أثر على صحته تأثيرا كبيرا • أما خامسنا فكان حمدى عاشور المحافظ العتيد • وكان « راسخا » جدا ، لا يظهر انفعالاته • كما كان كيسا لبقا ، ومؤدبا الى أقصى حد •

ومع مضى الوقت والأقدمية فى مجلس الوزراء كانت مجالسنا تتقدم فى اتجاه مقعد الرئيس • وكان الوزراء يتبادلون « القفشات » بهذا الخصوص •• اذ كلما اقترب أحدها من مقعد الرئاسة يسأله زميله : « فاضل أد آيه » ؟ وكان المقصود : « فاضل أد آيه على الخروج » طبعاً الا فى حالة واحدة كان فيها الزميل مصمما على الوصول الى رئاسة المجلس ، وقد كان ••

وبمناسبة القرب من مكان الرئاسة • حدث مرة أن تغيب عدد من قدامى الوزراء فى مهام خارج القطر •• وكان مجلسهم بحكم أقدميتهم حول الرئيس عبد الناصر • ونظروا لتغييبهم رفعت أماكنتهم وأعيد ترتيب الأماكن الأخرى • وجاء ترتيب الدكتور عزيز صدقى تبعا لذلك على يمين

الرئيس مباشرة • فما أن اتخذ الرئيس مجلسه حتى بادر الدكتور  
عزيز صدقي قائلا :

— أنت قريب منى قوى يا عزيز

وضج المجلس بالضحك •

**استاذ الجامعة وقوائم المباحث !**

كانت علاقتى بزملائى الوزراء جميعا علاقة ود وأخاء وكنت أشعر  
بتأييد خاص لخطواتى فى التعليم العالى من بعض زملائى الوزراء  
الجامعيين ، وعلى الأخص الدكتور عبد العزيز حجازى وزير الخزانة ،  
والدكتور محمد حافظ غادم وزير التربية والتعليم آنذاك • ولكل منهما  
شخصيته المتميزة واسلوبه فى عمله وفى ابداء رأيه •

ولم يكن قد مضى على عملى وزيرا للتعليم العالى أكثر من ثلاثة  
أسابيع عندما قام اضراب فى جامعة الاسكندرية • إبدأ فى كلية الهندسة،  
ثم أدى سوء تصرف مدير الأمن بالاسكندرية الى سرعة تفاقم هذه  
الحركة واعتصام طلاب كلية الهندسة وتضامن باقى طلاب الجامعة  
معه •

وكانت الدوافع لهذا الاضراب مثل الدوافع التى أدت الى حركة  
قباير السابقة ، حالة انقلب والاضطراب والتمزق التى أعقبت هزيمة  
يونيو سنة ١٩٦٧ • وكنا فى شهر رمضان .. وكانت الأمور تتعقد

وتزداد سوءا ساعة بعد أخرى . وفشلت جهود محافظة المدينة أحمد كامل . ومدير الجامعة حسن بغدادى . وعميد الهندسة . فى انهاء اعتصام الطلاب . وزاد الأمور تعقيدا القبض على عدد كبير من الطلاب واحتجازهم .

واستمر اعتصام طلاب الهندسة أربعة أياما إيلياها كاملة قضيتها فى مكتبى . وكنت على اتصال دائم بالاسكندرية . بل انى سافرت صباح اليوم الثانى الى الاسكندرية فى قطار الصباح لتقييم الموقف . بنفسى ، وعدت مساء نفس اليوم رءسا الى الاجتماع الأسبوعى لمجلس الوزراء لأقدم تقريرا عن الأحداث .

ولا أدري كيف انتهى الاعتصام مساء اليوم الرابع ساعة الغروب . لكن المؤكد أن العناية الالهية كانت معنا . فقد تعب الطلاب من قلة الطعام والماء ، وقامت زوبعة هائلة اجتاحت الاسكندرية ، وسقطت على ثرها أمطار غزيرة ، وانقطع التيار الكهربائى ، فتسلل الطلاب خارجين من كلية الهندسة . وأغمضت الشركة عينها ( وكانت تحاصر المكان ) وتركتهم ينصرفون الى بيوتهم .

الا أن الأمر لم ينته عند هذا الحد . إفقد حدثت أخطاء بعد ذلك فى طريقة معاملة الطلاب كادت تعقد الأمور ، وتمكر الجوبين الحكومة والطلاب . . لولا أن تدارك عبد الناصر هذا الأمر فى الوقت المناسب ، وأفرج عن الطلاب المعتقلين ، وأحيل بعضهم الى مجلس التأديب

بالجامعة لخروجهم عن نظامها ، وعوقب بعضهم بعقوبات متفاوتة طبقاً  
للائحة الجامعة .

وكان تدخل عبد الناصر بعد أن تعقد الموقف نتيجة لتصرف خاطيء  
لأعضاء اللجنة المشتركة التي شكلها مجلس الوزراء من بين أعضائه  
من لساندها لجامعيين ، ومن بعض أعضاء اللجنة التنفيذية العليا  
هذه الفرصة لمعاقبته والطلاب ذوى الميول التي اعتبروها معادية للنظام،  
يمينية ويسارية . وجاءوا بقوائم قديمة من مختلف جهات الأمن بها  
أسماء الطلاب المراد عقابهم بالفصل أو المحاكمة أو الحبس .

هالنى هذا الموقف ! وهالنى جهل البعض بأسلوب التعامل مع  
طلاب الجامعة ، وأنا الذى قضيت حياتى كلها بينهم .

وحزنت أكثر لتصرف عضو فى اللجنة العليا ، كان أستاذاً فى  
الجامعة الى عهد قريب ، فقد حدث أن أوضحت لأعضاء اللجنة أن  
نظام تأديب الطلاب طبقاً لقانون الجامعة لا يسمح باتخاذ هذه الاجراءات  
العنيفة حيالهم ، وليس لهذه اللجنة سلطان لتأديب الطلاب لخروجهم  
على نظام الجامعة داخل حرمها . فثار الأستاذ الجامعى السابق وأفتى  
بأنه من الممكن تعديل مادة واحدة فى قانون الجامعة تسمح باتخاذ تلك  
الاجراءات !

كان هذا التفسير بالسبب الى قمة مأساة . وشرحت رأى .

وخرجت من الاجتماع مهموما ، قرب موعد السحور ، ومشققا لما قد  
يصيب الجامعات من جراء تلك الاجراءات المقترحة .

ثم ابلغت رأيي للرئيس عبد الناصر بطريق غير مباشر هذه المرة .  
وفوجئت صباح اليوم التالي بالرئيس يطلبني تليفونيا ، ويسألني لماذا  
لم اتصل به مباشرة ما دمت على خلاف مع اللجنة ؟

واجبت اني كنت سأفعل فور انتهاء اللجنة من أعمالها ، اذ ربما  
استطعت اقناع هؤلاء الاعضاء بوجهة نظري . فقال : ان ذلك ربما  
يكون متاخرا .

وطلب الى ان اقابلته في مكتبه ظهر اليوم التالي .

وفي مقابلة استمرت ساعتين في منزله في منشية البكري ، حيث  
كان يعمل معظم الوقت ، استمع الى رأيي في أسلوب التعامل مع الشباب  
أولا . ومع الجامعات ثانيا ، وأن ما يشعر به الطلاب يشعر به كل مواطن  
بعد هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ . كما ذكر الرئيس نفسه ، الا أن رد الفعل  
لدى الشباب بطبيعته أكثر حدة وأكثر اندفاعا عنه عند جيلنا الذي  
سبقهم .

واستمع عبد الناصر ، وكان من مزاياه حسن الاستماع .  
وعندما عدنا الى اجتماع اللجنة المشتركة بعد يومين كان اتجاها



أعضاء اللجنة التنفيذية العليا مختلفا كل الاختلاف ، وعلى رأسهم الأستاذ الجامعي نفسه ، عضو اللجنة العليا ، الذي اندفع يردد كلامي لعبد الناصر قائلا : انه لا ضرورة لتعديل قانون الجامعات ، وانه يكفي أن يحال الطلاب المخالفون الى مجلس التأديب في الجامعة ليرى فيهم ما يرى !

وقد كان .

### من يعارض عبد الناصر ؟

علمتني هذه الحادثة ، وكانت في أول عهدي بالوزارة ، أن يكون الاتصال مباشرا بعبد الناصر كرئيس للوزراء .

وقد ذكر هو ذلك مرارا في اجتماعات مجلس الوزراء . كان يقول للوزراء « أرجو الاتصال المباشر بي في أي وقت لأي أمر هام » . وكان البعض يفعل ذلك . وكنت منهم . وكن البعض يتحرج انتظارا للاجتماع الأسبوعي للمجلس الذي كان يعقد مساء يوم الأحد من كل أسبوع . الا انه خلال العامين اللذين قضيتهما في الوزارة مع عبد الناصر كان الاتصال المباشر مفيدا ومثمرا ومنجزا لكثير من الأعمال .

ولم يكن عبد الناصر طاغية كما يظن بعض الناس . كان دمثا الخلق ، مهذبا ، حازما ، واضحا ، صريحا ، يتفهم ما يعرض عليه ثم

صدر قرارا فيه . وكان اذا روجع في قراره يفكر ثلثية ، ويقنعك بوجهة نظره أو يتخلى عنها .

الا أن البعض سامحهم الله ، كان يفضل الموافقة على المناقشة !

وكانت له لفتات تتم عن تقديره للشعور الانساني . فقد حدث . عقب جلسة طويلة لمجلس الوزراء ، عرضت فيها دراستى عن تطوير كبير فى سياسة التعليم العالى ، يتضمن انشاء الجامعات الاقليمية . ( كانت حدثا جديدا فى مصر بطء تجرتى فى جامعة أسيوط ) حدث أن خرج وزير الاعلام لاعطاء ملخصا لما دار فى المجلس لمثلئ الصحافة . وكانت سياسة التعليم العالى الجديدة من أهم ما أقره المجلس فى ذلك المساء ، ولكن ، وعند خروج عبد الناصر من قاعة المجلس قال لوزير الاعلام « أذكر للصحافة ملخصا لكل ما دار فيما عدا موضوع التعليم العالى » !

كان محدثا لبقا ، ويبدو دائما انيقا مهذبا مجاملا ، وحدث أن شرحت له فى جلسة خاصة ما أنوى التقدم به لى مجلس الوزراء فى شأن . وكنت قد اتبعت هذا الأسلوب فى بحث الأمور الهامة مع الزملاء الذين يعينهم الأمر من أعضاء المجلس قبل عرض أى موضوع هام ، لاستفيد من مناقشتهم لما أعرضه قبل وضع تقريرى النهائى ، ولتكون المناقشة أكثر جدوى خلال اجتماع المجلس .

وفى اجتماعى بهذا الوزير فى مكتبى أهدى ارتياحا ، بل وحماسا .

لما عرضته عليه من أفكار ، ثم فوجئت في اجتماع المجلس بأنه المعارض الوحيد ، وبشدة . من بين من تحدثت إليهم من الزملاء !

أما لماذا تصرف على هذا النحو ، ولماذا لم يدل إلى بما أدلى به في المجلس من آراء أفهنا ما لا أستطيع أن أفسره إلى الآن .

ولم أناقشه فيما فعل . ولكن ما كنت له فيما بعد تصرفات أكثر غرابة .

كان لنا اجتماع دوري يعقد في شهر سبتمبر قبل بدء العام الجامعي بقليل نندرس فيه الأحوال السياسية ، وانعكاساتها على شباب الجامعة . وكان الاجتماع يضم الوزراء الجامعيين ، ( أى الذين كانوا أساتذة بالجامعات ) وبعض المسؤولين عن التوجيه السياسي إلى هذه الفترة وكانوا شعراوى جمعة وأمين هويدى وسامى شرف . ودار الحديث حول تحليل الموقف السياسى ، شاملا النشاط السياسى للطلاب ، ، ولما جاء دور الزميل الأستاذ الجامعى قال أن هناك بعض الأساتذة وخاصة في الدراسات الانسانية يؤثرون على الطلاب سياسيا من خلال محاضراتهم ، ويوجهونهم بطريق مباشر ضد النظام القائم ، وعلى حد تعبيرة « يدسون لهم اسم في العسل » . وإلى هنا كان النقد يمكن أن يكون مقبولا . ثم أضاف رأيا اعتبرته خيانة ، لا للجامعة فحسب ، بل للوطن كله . اذ قال الوزير الجامعى « كان الواجب أن الحركة التي أجريت في القضاء ( يقصد حركة التطهير التي كان أداتها السيد

مصطفى كامل اسماعيل وزير العدل ) تتبعها حركة مشابهة في الجامعات !!

وصدمت لدى سماعى هذا الراى من أستاذ جامعى سابق .  
وعلقت على هذا الكلام غير المستساغ بكلام كثير عن معنى الجامعة ومعنى  
الحركة الأكاديمية بالجامعة ، وعن وسائل الحوار مع أساتذة الجامعة ،  
واختتمت تعليقى بما معناه انه يستطيع أن يتفضل بتحمل مسئولية وزارة  
التعليم العالى ، ويقترح ما يشاء من إجراءات .

ولم يرد الوزير المزميل ، ولم يعلق . وحدث وجوم فى اللجنة ،  
ولم يعلق أحد على المناقشة لا من الوزراء الجامعيين ولا من السياسيين  
الحاضرين . وانتهى الاجتماع وبقيت الجامعة بسلام .

يشهد على هذه الواقعة الدكتور محمد حافظ غانم ، وكان وزيرا  
للتربية والتعليم ، وكان حاضرا هذا الاجتماع بطبيعة الحال . وقد أكدت  
له استنكارى لما حدث مرة أخرى ونحن نفادر قاعة الاجتماع .

هل كان الوزير الأستاذ الجامعى مخطب قط لاختبار رد الفعل  
للمثل هذا الاجراء ؟

هل كان فعلا يعبر عن رأيه هو ؟ هل كان « بالون اختبار » أطلقه  
المسؤولون السياسيون واكتفوا بمشاهدة رد الفعل لا لا أدري . . لكن  
النتيجة أن سلمت الجامعة وسلمت الحرية الأكاديمية .

ولتتم مأساة هذا الزميل الوزير المشار اليه ، فقد شاعت الظروف أن التقى به مصادفة في منزل صديق لى بعد وفاة عبد الناصر، وبعد أن ترك الوزارة . وعجبت مرة أخرى عندما سمعت منه نقدا لاذعا للمسؤولين السياسيين - الذين حضروا الاجتماع الذى هاجم فيه أستاذة الجامعة - دون الإشارة الى موضوع الاجتماع بطبيعة الحال ، وقوله انهم ( كانوا يهفرونه ) على حد تعبيره !

### طريقة تعيين وزير :

تمودت بدء العمل فى مكتب وزارة التعليم العالى فى التاسعة من صباح كل يوم . وفى صباح أحد الأيام - فى شهر ابريل من عام ١٩٦٩، على ما أذكر - دق جرس التليفون لحظة دخولى المكتب ، وإذا بالسيد محمد أحمد على الطرف الآخر يدعونى لمحادثة الرئيس .

وبعد التحية المعتادة قال عبد الناصر : أنت عارف أن الدكتور عبد الوهاب شكرى وزير الصحة لم تعد صحته تساعد على أعباء العمل . وقد استقال . وأنا عاوزك ترشح لى وزير للصحة .

قلت له : « أنا تحت أمرك » .

فقال : « لا ، ونعمل ايه فى التعليم العالى ؟ أنا عاوزا تختار لى وزيرك كده .

شكرت الرئيس لحسن ظنه ، ووعدت بالدراسة . فطلب الى الرد خلال يومين .

كانت مهمة شاقة . لكن آليت على نفسى أن أكون موضوعيا ، وأمسكن بالورقة والقلم ، وكتبت أسماء أربعة من الزملاء الأطباء . وأمام كل اسم وضعت درجة من عشرين لخمس خصائص : منها السن . وانصحة العامة والقدرة على التعامل مع الغير والدراية بالمشاكل الصحية . وكانت النتيجة ترتيب الأسماء تنازليا طبقا لمجموع ما حصل عليه كل منهم من درجات .

وكان الترتيب كما يلي :

- ١ - الدكتور عبده محمود سلام .
- ٢ - الدكتور أحمد السيد درويش .
- ٣ - الدكتور محمد ناجى المحلاوى .
- ٤ - الدكتور أحمد كامل مازن .

وعرضت هذه النتيجة على الرئيس فى لقاء لاحق بعد بضعة أيام :

فأعجبته الطريقة . وقال : « ايوه صحيح .. » الدكتور عبده سلام . اشتغل معنا كثيرا فى مجلس الخدمات الصحية ، وكان له دور كبير فى موضوع الأدوية » .

وقد كان واختار عبد الناصر الدكتور سلام اوزارة الصحة .

وكان الوزير التالى بعد وفاة عبد الناصر هو الدكتور أحمد السيد درويش . أما الدكتور ناجى المحلاوى فهو الآن رئيس جامعة عين شمس ، والدكتور أحمد كامل مازن هو الآن الوكيل الأول لوزارة الصحة .

والزملاء الأربعة تربطى بهم علاقات صداقة وثيقة . ولا اظنهم يعرفون شيئا عن هذا الموضوع ، او لعلى ذكرت بعد ذلك بعد أعوام لصديقى الدكتور مازن .

### غضب وزير المخابرات !

فى شهر سبتمبر فى عام ١٩٦٩ ، وبعد مضى عام على وجودى وزيرا للتعليم العالى ورئيسا للمجلس الأعلى للجامعات ، وعلى عن قرب مع القيادات العليا بالجامعات . . أصبح من الضرورى اجراء بعض التعديلات ، ودعم بعض مراكز العمل فى الجامعة .

وعرضت الأمر على الرئيس عبد الناصر ، فكان رايه انى أنا المسئول أمامه عن الجامعات وعن التعليم العالى ، وبالتالى فهو يترك لى الحرية المطلقة فى اختيار قيادات العمل فى هذه المواقع الهامة ، وقال لى بالحرف الواحد « ابعث لى الترشيحات انلى انت عاوزها ، وأنا موافق عليها مقدما . فأنت المسئول عن هذا العمل » .

أذكر ذلك لأن كثيرا من الناس يتقولون عن تدخل عبد الناصر في كل صغيرة وكبيرة ، وأنه كان يسيطر على من يعمل معه ، ولا يترك له حرية الحركة وحرية الفكر والمناقشة . وأقرر - والرجل اليس بيننا الآن ان هذا كله محض افتراء فلم أر منه أبدا في مناقشاتي أو لقاءاتي معه الا كل اذن صاغية وواعية ، ولم أجد منه أبدا الا كل دعم لما هو جاد ومفيد .

الا اني تذكرت ، بعد أن ترك لي الأمر في هذه الترشيحات أن أسلوب اصدار القرار الجمهوري يشغل هذه المناصب القيادية يسير في حلقة طويلة من البحث والاستقصاء عن أسماء المرشحين ، مما قد يخرج بها عن نطاق السرية وربما مس بعض أساتذة الجامعات بشائعات ليست حقيقية . . فما كان منه الا أن قال : « أبعض مشروعات القرارات الجمهورية الى مكتبتي رسا ونا اوقعها » .

بعد هذا الدعم الأدبي كان على أن ادقق كثيرا في الاختيار . وقمت باستشارة كبار معاوني لي . وقمنا بمراجعة شاملة لما لدينا من بيانات عن القيادات الجامعية الصالحة الشغل مناصب مديري ووكلاء وأمناء الجامعات . وكنا في اختيارنا موضوعين الى أقصى حد ممكن ، فلم تكن نترك الأستاذ الأقدم الا اذا كنا نعتقد من سابق علمه بأدائه في الجامعة انه لا يستطيع التصدي لهذه المهام .

وكان أن انتهينا من هذه الترشيحات ، واکنت تشمل مناصبه



المديرين والوكلاء والأمناء في الجامعات كلها تقريبا ، وأرسلت الى مكتب الرئيس ، 'فجاء الرد مساء اليوم نفسه « الرئيس اطلع على الترشيحات وهو يوافق عليها جميعا ، ويطلب اليك اخطار أصحابها » •

ولكن ..

وقبل أن أستدعى أصحاب هذه الترشيحات لابلاغهم بها ، اتصلت بي في مكتبي الأستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام • وسألني عن سيتولى لتك المناصب الرئيسية والهامة لينشر الخبر غدا في « الأهرام » ، فأخبرته انه لا يمكنني افادته قبل اعلام المرشحين انفسهم فقل : على الأقل مدير جامعة ومدير جامعة عين شمس . أنت تعلم انى أريد الا يسبقنى حد !

فوعده أن اتصل به مساء نفس اليوم ، عند الظهر . وقد كان المرشحان لهذين المنصبين هما الأستاذ الدكتور جابر جاد عبد الرحمن مديرا لجامعة القاهرة ، وكان أقدم عمدائها : والأستاذ الدكتور يوسف صلاح الدان 'قطب مديرا لجامعة عين شمس . وكان وكيلها •

وفي اليوم التالى قابلت باقى المرشحين من وكلاء الجامعات وأمنائها، ونشرت أسمائهم تباعا بعد ذلك .

الا انه حدث ما لم يكن فى حسابى اطلاقا • • فان هذا الأسلوب العملى والسريع لم يصادف قبولا لدى وزير اندولة لشئون مجلس

الوزراء . وكان السيد أمين هويدي الذي كان مسئولاً فعلاً عن العلاقات بين الوزارات ورئاسة الجمهورية ، وكان ، المفروض أن ترسل مشروعات القرارات إليه ليتخذ الإجراءات اللازمة ويعرضها على السيد رئيس الجمهورية . إلا أنه لم يكن على علم بما دار بيني وبين الرئيس في هذا الصدد . واعتبر ما اتخذته من إجراءات تجاوزاً له وتعدياً على اختصاصه .

والحقيقة اني لم أقصد أى إساءة أو تجاوز ، ولكنى كنت أعلم أن إرسالها للسيد أمين هويدي . وكان أيضاً مسئولاً عن جهاز المخابرات العامة ، معناه ضياع وقت طويل في البحث والتقصي عن هذه الترشيحات ولم أشأ كما ذكرت أن أعرض اساتذة للجامعات لهذا الأسلوب من البحث والاستقصاء .

أخذت على عاتقي مهمة إصلاح ذات البين بيني وبين السيد أمين هويدي . فقد كنت حريصاً على سلامة علاقتي مع كل الزملاء في مجلس الوزراء وأوضحت له أن الأسلوب الذي اتبعته كان بناء على تفاهم تام مع الرئيس شخصياً ، وللأسباب التي أوضحتها .

ومرت هذه الأزمة بسلام .

وكم أسعدنى فيما بعد ، وأنا الآن خارج الوزارة ، أن أرى من وشحوا وكلاء للجامعات طبقاً لهذا الأسلوب عينوا فيما بعد ( وبعد تركي

الوزارة ) رؤساء لهذه الجامعات . . بعد أن خلت هذه المناصب من شاغليها . مما يؤكد موضوعية الاختيار السابق .

### اللقاء السابق :

كان موعدي مع الرئيس الراحل ظهر يوم الأربعاء ٩ سبتمبر سنة ١٩٧٠ .

و كنت قد تعودت طلب مثل هذا الاجتماع كلما تراكم لدى عدد من الموضوعات الهامة التي تمس سياسة التعليم العالي . ناقشتها ودرستها وطلب عرضها على مجلس الوزراء ، إذا لزم الأمر .

وكان اجتماع سبتمبر هاما بالنسبة لعملي . فهو يسبق بدء العام الدراسي بالجامعات والمعاهد العالية .

اتصل بمكتبي الرئيس قبل الاجتماع . وأبلغني تأجيل الموعد الى ظهر الخميس . اى فى اليوم التالى - وأحب أن أذكر هذه التفاصيل . لأن هذا الاجتماع كان الأخير قبل وفاه عبد الناصر . وقبل تفجير الأزمة بين الملك حسين والفدائيين . . التى أعتقد انها كانت السبب المباشر فى الأزمة القلبية التى أنهت حياة الرئيس نتيجة الاجهاد والارهاق والانفعال .

وصلت الى مكتب الرئيس بمزله بمنشية البكرى فى الساعة الواحدة

ظهرا ، وكان المنزل خاليا الا من الرئيس . وكان الجو في المنزل حارا .  
ودخل الرئيس بملابسه البسيطة - القميص والبنطلون - ولاحظت  
حببات العرق على جبينه ، فتحركت حاستي الطبية وسألت عن صحته  
وعن سبب إيقاف أجهزة التكييف والجو اليوم حار . فقال « أنا أتلى قلت  
لهم يوقفوا التكييف لأن عندي برد وزورى واجعنى » .

أفألت الرئيس : هل استدعيت الدكتور على المفتى ؟ ( وكان  
طبيه الخاص في مثل هذه المسائل ) . فقال : لا . أخذت حقة ريفرين  
وبكره أبقي عال .

فأبدت دهشتي وقلت : ريفرين علشان شوية أنتهاب في الزور ؟  
ده دواء قوى جدا نلجأ اليه في الحالات الشديدة ، يا ترى مين اللى وصفه ؟

فرد قائلا : مفيش حد ، أنا اللى قلت كده علشان أخف سرعة  
أصل أنا وحدي في البيت . وكنت عاوز أسافر الاسكندرية اليوم ،  
الخميس ، ويمكن أخذ أسبوعين اجازة لأنى ما أخذتش اجازة ابدا السنة  
دى والأولاد في الاسكندرية . ولى مدة مشفتش عبد الحميد اللى فى  
البحرية ( نجل الرئيس ) . المرة الماضية رحى الاسكندرية وكان  
المفروض عبد الحميد يخرج يوم الخميس قبل عودتى للقاهرة ، ولكنه  
تأخر وسافرت من الاسكندرية من غير ما أشوفه . . وهذا هو السبب  
أن ميعادك كان الأربعاء علشان أسافر النهاردة . لكن حأجل السفر شوية  
لما زورى يرتاح .

ولكن الرئيس لم يأخذ هذه الإجازة . فبعد سفره إلى مرسى مطروح مباشرة بدأت أزمة المقاومة الفلسطينية مع الملك حسين . وعاد إلى القاهرة . وباقى انقصة إلى وفاته معروفة للجميع .

وخلال هذا اللقاء اختصرت فيما أردت أن أعرضه أشفاقا عليه . ولكنه كان صبوراً كالعادة ، حتى أنى عرضت عليه مشروعات يدر على الجامعات دخلاً إضافياً لمقابلة بعض المصروفات الاستثمارية ، يتلخص فى هدم وبيع المباني القديمة فى كل جامعة واستغلال فوائدها فى إنشاء الأقسام الجديدة المطلوبة . فوافق على الفكرة وطالب منى أعداد مشروع انقرر الجمهورى اللازم . فأخبرته أنه معد وسوف أرسله إلى مكتبه فى الصباح الباكر ، فسألنى :

— هو المشروع جاهز معاك ؟

فلما أجبت بالإيجاب قال :

— يا شيخ هات القلم نمضيه ، حد عارف بكره فيه إيه ؟

ووقع المشروع وفعلاً لم تكن نعلم « بكره فيه إيه » !

النهاية



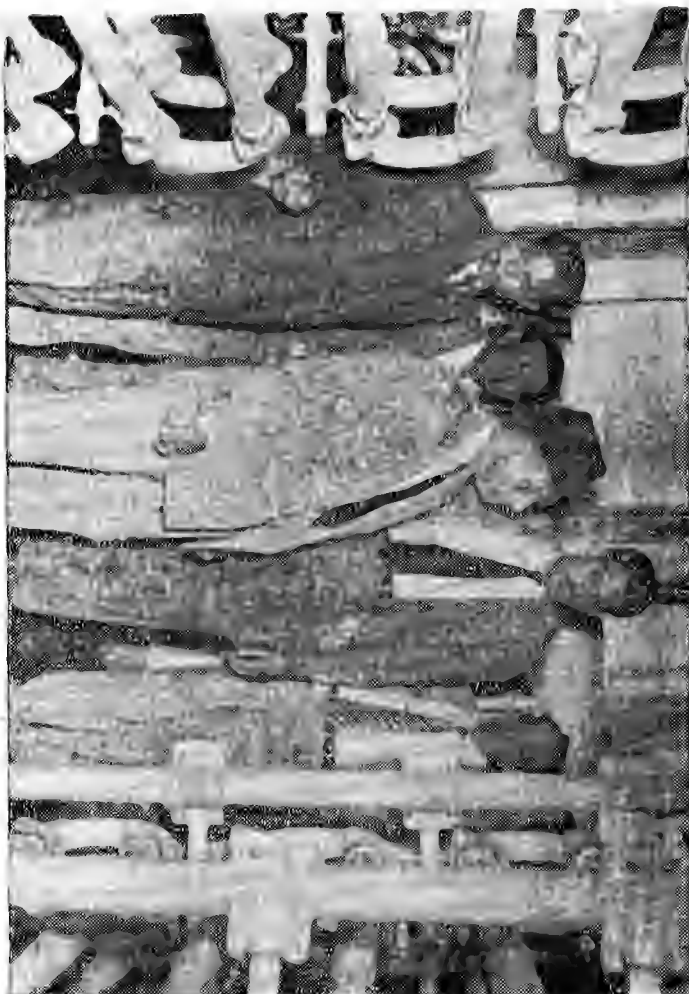


كان جواد حنفى فنى ولا كل الفتيان .. ذهب إلى بور سعيد في حرب ٥٦ ودفع  
بدمه ثمن تطهير سمعة اسم مصر وفداثية مصر .. وهذه صورة من حفلة تأبين .. وفيه  
فتحي رضوان الوزير يؤبى الشهيد . والى جانبه على زين العابدين ووالد الشهيد .

• ١٩٥٥ م ١٠







قضى رؤسوان وزير الأمانة وحوله المهندس مصطفي عامر والجارحي  
الممثلان في افتتاح أول محطة إرسال تنبئها الثورة .



في مستهل أيام الثورة .. سعت السلطة الجديدة ممثلة في سليمان حافظ وفتحى رضوان  
سعت السلطة المحتلة فيهما إلى نقابة الصحفيين . و نراهما على بابها ومعهما الصحفي الكبير  
حسين أبو الفتح الذى كان فيما بعد هو وآل أبو الفتح من ضحايا الثورة . والصحفي  
ذى الطابع الحساس مصطفى القشاشى - مكرتير عام النقابة وقتها .

---

● كتب ومؤلفات تحت الطبع  
● بقلم ضياء الدين بيبوس

---

### \* التاريخ السرى للنكتة السياسية في مصر :

دراسة شاملة تجمع بين الجدية والجاذبية والمنهج العلمى للنكتة السياسية في مصر ، بكل أسرارها وأصولها وجذورها ، مع تركيز هائل ودقيق على النكتة السياسية التى راجت في مصر ابتداء من ميلاد ثورة ٢٣ يوليو حتى هذه اللحظة .. والكتاب ليس فقط حصرا للفكاهات التى يتداولها المصريون منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حتى اليوم - وهذا في حد ذاته عمل مهم - وإنما الى جانب ذلك وفوق ذلك هو يقدم تأصيلا لهذه النكت ، وشرحاً لأهم الأسرار السياسية التى اكتشفتها واحاطت بها .. فهو كتاب اخبارى سياسى تحليلى جذاب .. يستكون مادته مفاجأة بمعنى الكلمة ..

## ✳ عبد الناصر والسادات في الميزان :

مقارنة صريحة ومباشرة وإخبارية وموضوعية ومتجردة بين شخصيتي وأسلوبى وعهدى وسياستى ومزاجى الرئيسين عبد الناصر والسادات .. فى كتاب من ذلك النوع الذى ينبغى فيه على مؤلفه أما أن يكتب كلاما جديدا ومفيدا وصادقا وأما أن يغلق فمه .. وقد اختر ضياء الدين بىبرس أن يكتب كلاما مفيدا وصادقا فى دراسة حافلة بالأسرار والأخبار سوف تعد من أكثر ما ظهر عن تاريخ مصر المعاصر صراحة وغرابة وإثارة ..

## ✳ ضاحكون حتى الدموع :

أسرار السياسة والصحافة والمجتمع فى مصر فى خلال الخمسين سنة الأخيرة .. من خلال ودراسات مفصلة عن عشرة من كبار الرسامين الكاريكاتوريين فى مصر .. مع نماذج تاريخية معاصرة من الرسوم الكاريكاتورية فى مصر والعالم ..

## ✽ الوقوف في المنوع :

فى أواخر عام ١٩٥٩ عقد المغفور له صلاح سالم ما يشبه المحاكمة أو المواجهة لضيء الدين بيبرس فى ندوة بمكتب المرحوم كامل الشناوى حضرها المرحوم ابراهيم ثوار وسعد الدين وهبة ومحمد عبد الجواد ( رئيس مجلس ادارة وكالة أنباء الشرق الأوسط ) والرحوم عبيد الامام وعبد العزيز عبد الله ( مدير تحرير الجمهورية ) وايزيس فهمى ( محررة دبلوماسية بالجمهورية ) .. واستهل صلاح سالم هذه المحاكمة قائلا لضيء الدين بيبرس : انا اعرض عليك امام هؤلاء الزلاء مبلغ الفى جنيه مصرى لكى تكتب جريدة الجمهورية مذكراتك .

ولكى نعرف غرابة ذلك العرض . نقول أن ضياء وقتها كان مجرد صحفى حديث العهد بدخول الصحافة ، فما الذى جعل صلاح سالم يعرض عليه هذا المبلغ - بجنيهاً ذلك الزمان - لكى يكتب مذكراته ؟ ثم ماذا أضاف الزمان الى ما يستطيع أن يكتبه منذ عام ١٩٥٩ حتى الآن ؟

هذا ما سيقدمه كتاب « الوقوف فى المنوع » بين دفتيه فى كتاب سيثير مزيدا من المتاعب والزوابع حول كاتبه .. فهو كتاب سيكون مزيجا من الذكريات والاعترافات والأسرار والأحداث الخطيرة الحقيقية بأسماء أبطالها وبلا رتوش . وسيكون تشريحا دقيقا لقطاع عريض من المجتمع

يضم صناع السياسة والأخبار ونجوم المجتمع وصناعيكة وكواليس الصحافة والثقافة والفنون بقنواتها المختلفة من مسرح وإذاعة وسينما وتلفزيون ..

### \* خليج البترول فوق بركان :

كتاب قبيلة . ولا نزيد !

### \* أسرار مصرية :

نظرة من ثقب المفتاح على أهم وأخطر ما في مذكرات بعض الشخصيات السياسية والعسكرية المعاصرة قبل ثورة ٢٣ يوليو ( مثل على ماهر باشا والنحاس باشا وفؤاد سراج الدين باشا ) .. ثم بعد ثورة ٢٣ يوليو ( مثل الباقوري وصالح الشاهد وجمال القاضي وآخرين ) .

## ✽ أوروبا كما لا يراها الآخرون

والكتاب واضح من عنوانه !

## ✽ محاكمة جمال عبد الناصر :

كيف ومتى وأين ولماذا انعقدت هذه المحاكمة ! ومن الذى رأس  
المحاكمة ومن الذى أقام الدعوى ومن الذى شهد بالحق ومن الذى شهد  
بالباطل ومن الذى ترافع ومن الذى جلس فى مقاعد المتفرجين !

ومتى وكيف وأين صدر الحكم ؟ ولماذا ؟

وما ها منطق الحكم ؟

وما هى حيثياته ؟

دراسة جادة ، شاملة ، جذابة ، حافلة ، بالأسرار والأخبار :

## ✽ أحمد بهاء الدين .. الشيخ ، والطريقة

ليس تاريخ أحمد بهاء الدين ، وليس دراسة لفكرة ، وإنما دراسة  
للمناخ الصحفى والسياسى والانسانى الذى أحاط بظهوره ، واثّر وتأثر  
فيه ، وتفاعل به ومعه ..

ولأن الكاتب صحفي ، ولأن المكتوب عنه صحفي ، فمن الطبيعي أن يحفل الكتاب بأسرار وتحليلات سياسية وصحفية بعضها يذاع لأول مرة ، وبعضها يكتب على وجه الصحيح . .

### ✽ الكتابة الثانية لقصة هيكل

في مارس ١٩٧٤ ، في أعقاب رفع الرقابة عن الصحف ، واعفاء محمد حسنين هيكل من منصبه في الأهرام وغضب السلطة عليه ، كتب ضياء الدين بيبرس في خلال سبعة أيام متتالية - بمعدل ١٨ ساعة عمل كل يوم - كتابا بعنوان « هوامش على قصة محمد حسنين هيكل » . وظهر الكتاب بعد عدة أسابيع . وحقق رواجاً لم يسبق له مثيل في العالم العربي . بل ان رواجه جاوز رواج كتب هيكل نفسها . وقالت بعض مراكز الرصد في بيروت أن كتاب ضياء الدين بيبرس عن هيكل يعد أكثر الكتب السياسية رواجاً في العالم العربي في السنين العشرين الأخيرة ، باستثناء كتاب « لعبة الأمم » ، وعلى الرغم من حظر دخوله في خمس دول عربية !! . .

وقد كان بقاء ضياء الدين بيبرس آمناً على حيلاته ومكانه في الصحافة المصرية بعد ظهور هذا الكتاب دليلاً لا ينقض على أن السادات كان ولا يزال صادقاً مع نفسه الى درجة الشرف حين أعلن عن حرية



الكلمة . وما من انسان قرأ هذا الكتاب - وبخاصة داخل مصر -  
الا وبصم بالأصابع العشر على أن حرية الكاتب في مصر آمنة الى اقصى  
الحدود ، حتى وان تجاوز هو الحدود في بعض الاحيان ، ذلك ان  
الكتاب ينصف هيكل ، ويتحدث عنه بأسلوب من يقف موقف الحياد  
بين هيكل والنظام في مصر . بل ان كاتبها سياسيا ذا تاريخ في مصر مثل  
أحمد أبو الفتوح قال لمؤلفه : لانك جعلت من هيكل الها صغيرا ..  
وأنا لا أرتضى هذا المنهج .. بينما قال خالد محيي الدين لمؤلفه في حضور  
عبد الرحمن الشرقاوي وصلاح حافظ : انه لم يستطع أن ينتزع نفسه  
من قراءة الكتاب من اللحظة التي قرأ فيها الصفحة الأولى حتى انتهى  
منه في ليلة واحدة . والله - أي خالد محيي الدين - نادرا ما أعجب  
واحترم أسلوب عرض لكتاب حديث مثلما أعجب واحترم أسلوب  
المؤلف رغم اختلافه - اختلاف خالد - مع المؤلف في نصف المعلومات  
السياسية الواردة في الكتاب .. وفي كل ما زعمه المؤلف - وتعبير  
الزعم طبعا على لسان خالد محيي الدين - من أن مصر كانت واقعة تحت  
السيطرة الشيوعية في فترة معينة من الستينيات !..

أما هيكل نفسه فلم يعاق بكلمة على الكتاب .. وان كان هناك  
قليلون من صدقوا أن ضياء لم ير هيكل ولم يتقابل معه منذ ١٩٥٩  
حتى الآن !!

ولم تكتب كلمة واحدة عن الكتاب مدحا او قدحا في مصر ..  
وانها كتبت عنه مئات المقالات هجوما ودفاعا في دول أخرى سمح فيها

بنداوله علنا • وقد أصيب الذين اقتنوه في مصر بشيء يشبه الصدمة  
الفعلية من فرط الدهشة التي انتابتهم لصراحة ضياء الدين بيبرس  
مفرعة بقى كل ما كتبه بين دفتي ذلك الكتاب ..

الآن يعيد ضياء كتابه ذلك الكتاب من جديد بعنوان : « الكتابة  
الثانية لقصة هيكل » .. وواضح أن الأمر ليس مجرد اصدار طبعة  
جديدة من ذلك الكتاب ( ملحوظة : طبع الناشر اللبناني منه سبع طبعات  
ولم يعترف للمؤلف الا بطبعتين !! ) .. وانما الأمر هذه المرة مقصود  
به إعادة الكتابة من جديد بكل ما تعنيه إعادة الكتابة من معنى يميزها  
عن مجرد الاضافة والتنقيح هنا وهناك .. باختصار سيكون الكتاب  
الجديد مفاجأة جديدة نضاف الى المفاجأة التي أحدثها ظهور كتاب  
هوامش على قصة محمد حسين هيكل » ..

مطبعة المعرفة



